الموعود

مجلة تخصصية تعنى بالمهدوية

&

الموعود

مجلة تخصصية تعني بالمهدوية
العدد الحادي عشر
شعبان المعظم ١٤٣٧ هـ. ق

تصدر عن:
مؤسسة المستقبل المشرق

المشرف العام:
السيد مسعود بورسيد آقايي

مدير التحرير:
رضى موسوى الجيلانى

الهيئة الاستشارية:
آية الله سامى البدرى، الدكتور جاسم حسين، الدكتور يحيى السماوى، الدكتور نسيم الخوئى،
الدكتور اديس هانى، الدكتور ابوالعزائم، الدكتور محمد عبده، الدكتور احمد هاشمى، الدكتور محمد صابر جعفرى، الدكتور صادق سرابى، الدكتور مسعود بورسيد آقايي، الدكتور نصرت الله آيتى،
الدكتور جلو جعفرى والدكتور رضى موسوى الجيلانى

مطبعة:
ناصر احمد پور

تصحيف:
على قنبرى

الكرافيك:
ابوالفضل بيكدلى نسب

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

فهرس المندرجات

فلسفة الظهور دراسة مقارنة بين الإسلام والمسيحية واليهودية ٥
الدكتور فيصل غازي جاسم

علاقة البداء بعلامات الظهور ٢٣
الدكتور محمدامين كورانى

من أشراط الساعة في "صحيح مسلم" (ت ٢٦١هـ) بين المعجم والدلالة ٣٣
الدكتور عبدالقادر سلّامي

دور الأسطورة في التصورات السياسية والإستراتيجية للغرب الإمبريالي ٤٧
الدكتورة جويدة غانم

المهدي المنتظر وعلم الغيب ٥٧
الدكتور أحمد راسم النفيس

دور المرأة المسلمة في تمهيد ظهور الإمام المهدي (ع) ٦٥
الدكتورة نعيمة ابن فارس

التحليل الفلسفي للمتغيرات: إجابة إسلامية عن الأسئلة الكونية بعد سقوط فلسفات التاريخ الغربية ٧٩
الدكتور محمد عبداللاوي

الفرق بين بعض العلامات الحتمية وغير الحتمية للظهور ٩٣
الدكتورة إيمان محسن

تنبؤات النبي محمد (ص) حول مصير العالم الإسلامي أشراط الساعة الصغرى ١٢٧
الدكتور خالد رمزي كريم

فلسفة الظهور دراسة مقارنة بين الاسلام والمسيحية واليهودية

الدكتور فيصل غازي جاسم[1]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الغر المحجلين وبعد....

فان الناس في كل انحاء العالم بصورة عامة مقتنعون حول موضوع المنقذ المنتظر الذي ينتظر ظهوره في آخر الزمان إلى قسمين قسماري ان من المهم معرفة كل ما يمكن من معلومات عن المنقذ المنتظر وكل ما يتعلق به وبوقت ظهوره وحقيقة شخصيته وغالبا ان هذه الفئة هي من المؤمنين بوجود الله الخالق لان كل الديانات السماوية وحتى الغير سماوية قد بشرت بظهور هذا المنقذ في آخر الزمان الذي ينهض حربا عالمية ضد الشر بكل صوره وينشر العدل والسلام في الأرض ونزول المسيح (ع) ومن ثم بعد هذا الزمن يبقى الاعدة عقود من السنين وتقوم القيامة وما تمثل من انتهاء وجود الإنسان على هذه الأرض وانتقاله إلى عالم آخر حيث يحاسب الله سبحانه وتعالى كل إنسان على عمله.

أما القسم الآخر فهم معتنقو الأفكار العلمانية أو الإلحادية حيث إنهم يرون أن كل ما ذكر عن هذا المنقذ ما هي إلا خرافات ومعتقدات آمنت بها الشعوب المتخلفة والمغلوبة على أمرها والتي كانت ترزح تحت سيطرة شعوب أقوى منها فنهبت ثرواتها بسراب الخلاص على يد انسان ذو قدرات خارقة تظهر حين غفلة من الزمن وينتقم لهم من مستعبديهم ويعيد لهم مجدهم وسيطرتهم التي وعدهم بها الله على بقية الخلق... وان هذا الاعتقاد ما يعتقد ويشيع الشعوب على الاستكانة للذل والخضوع ويعرقل كل من يسعى للتطور والتقدم للأفضل وهم يعتقدون أن كل من يبحث أو يخوض في هذا الأمر هو انسان يؤمن بالخرافات والمعتقدات البالية وما لا داعي لإضاعة الوقت في نقاشه والحوار معه حول الموضوع وهؤلاء يشكلون تقريبا وحدة واحدة في الرأي لا اختلاف في ما بينهم.

---

١. جامعة بغداد/مركز احياء التراث العربي.

وفي الحقيقة ان حتى البعض من المسلمين المؤمنين بظهور المنقذ العالمي يعتقدون أن من الأفضل عدم الخوض في هذا الأمر الآن لانه قد يسبب في شيوع حالة من التكاسل و التخاذل بين المسلمين عن السعي لتحرير فلسطين والقدس الشريف من الاحتلال الصهيوني البغيض (اكثر مما نحن عليه الآن).

وأما الذين يؤمنون بظهور هذا المنقذ العالمي فان الاختلاف في مايفهم ظاهر لكل منهم يدعي أن المنقذ المنتظر سيظهر من جماعته وأن الباقين واقعين في ضلالة وأن المنقذ سيقتص منهم لانهم لم يؤمنوا بظهوره (شخصيا) مع كل صفاته التي ذكر تماما كل أمة... بل أن الاختلاف حاصل مع أفراد الدين الواحد في صفات و العلامات التي تدل أو تخص هذا الشخص.

لاجل هذا اقتضت الضرورة البحثية ان يقسم البحث الى ثلاث مباحث

المبحث الاول: فلسفة الظهور عند المسلمين؛

المبحث الثاني: فلسفة الظهور عند المسيح واليهود؛

المبحث الثالث: الدراسة المقارنة بين الديانات الثلاث؛

الخاتمة؛

النتائج والتوصيات.

المبحث الاول: فلسفة الظهور عند المسلمين

الاعتقاد بالإمام المهدي المنتظر (ع) قضية أساسية في عقيدة المسلمين وقد شغلتهم وما تزال منذ بشّر خاتم المرسلين (ص) به، وأكد ظهوره في آخر الزمان في أحاديث جمّة، وفي موارد ومناسبات لا تحصى كثرة بلغت حدّ التواتر، فصار الاعتقاد به من ضروريات الاسلام. ومع ذلك فقد نجم في القرون الماضية وفي قرننا الحالي من أنكر وشكك فيه أما متأثراً بمناهج مادية او بسبب عصبية مذهبية أو بجهل بما أودع في الصحاح والمسانيد والسنن ومئات الروايات[1] عن طريق الفريقين السنّة والشيعة، ولقد ألّف العلماء المتقدمون والمتأخرون عشرات الكتب كما كتبت فصول أو دراسات تضمنت أدلة معتبرة واحتجاجات سليمة وقوية على وجود المهدي وصدق القضية بما لا ينبغي معه أن يرتاب فيه مسلم صحيح العقيدة يؤمن بما يخبر به الرسول (ص).

ولقد بلغ من رسوخ هذه العقيدة في الأمة المسلمة أن استغلها بعض الأدعياء، وادعوا المهدوية، ولكن سرعان ما انكشفوا وافتضحوا كما افتضح أدعياء النبوة، وقد حاول الدكتور أحمد أمين في كتابه (المهدوية في الاسلام) أن يجعل من ادعاء المهدوية سبباً للطعن على فكرة المهدي وأصالتها، ولكن العكس هو الصحيح. فالادعاء يدلّ على أن المدّعين يستغلّون حقيقة موضوعية، واعتقاداً راسخاً عند الناس، ثم لو صحّ أن الادعاء مبطل لأصل القضية، فلازم ذلك ابطال النبوات لكثرة المدّعين بها.

والأمر المثير للعجب أن يتصدى بعض أدعياء العلم والمعرفة قديماً وحديثاً للتشكيك والتشويش على الأمة المسلمة، لا لشيء الا بسبب قصور فهمهم عن ادراك أسرار هذه العقيدة،

١. راجع: المهدي الموعود المنتظر عند علماء أهل السنة والإمامية / الشيخ نجم الدين العسكري، وفيه أكثر من أربعمئة حديث من كتب أهل السنة. منتخب الأثر في الامام الثاني عشر ٧ / العلامة الشيخ لطف الله الصافي.

ومقاصدها السامية، أو بسبب غرض آخر، وليس لدى جميع المنكرين ما يدعم انكارهم من الأدلة والمستمسكات الموثوقة، بل الدليل قائم على خلاف مذاهبهم والبرهان ساطع وقاطع على صحة العقيدة في المهدي؛ للثبوت المتواتر كما تحكاه غير واحد منهم البرزنجي في الإشاعة لأشراط الساعة والشوكاني في التوضيح. والغريب أن هؤلاء يتوسلون بتمسك الذرائع، ويتعللون بتمسك التعللات التي توسل بها منكرو ما جاء من أنباء الغيب التي احتواها القرآن الكريم، أو التي نطق بها الرسول الكريم نبينا محمد (ص) كإنكارهم الإسراء والمعراج.[1]

إن قراءة متأنية لما أثاره المشككون من إشكالات، وما يطرحونه هذه الأيام من تشويشات، كما في مزاعم وادعاءات السائح، والقصيمي، وغيرهم من المشوشين ـ وهي لا تختلف عما طرحه الخصوم من قبلهم ـ الذين هم عن العلم بعيدون، وبمعرفة علم الحديث رواية ودراية أبعد ما يكونون، وبحقائق التاريخ وثوابته على أتم الجهل أو العناد، إن هذه القراءة ستوقفنا على سذاجة تفكيرهم وتهتم واختلال مناهجهم في التعامل مع هذه القضية الخطيرة.[2]

ومن هنا كان تصدي الإمام الشهيد الصدر رضي الله عنه لها بالبحث والدراسة وفق منهج علمي جديد يعتمد النقل الصحيح، والدليل العقلي السليم، ومناقشة القضية مناقشة هادئة رصينة متعرضاً لكل الإشكالات المثارة في المقام. والواقع أننا إزاء ما أثاره الخصوم قديماً وحديثاً لم نجد ـ في حدود تتبعنا القاصر ـ من درسها وناقشها بمثل هذا المنهج والأسلوب الذي اتبعه الإمام الشهيد الصدر.

المبحث الثاني: فلسفة الظهور عند اليهود والمسيحية

يعتقد اليهود أن المخلص الموعود هو من بني إسرائيل، وأنه من نسل النبي داوود، وقالوا إن هذا المخلص ـ والذي أسموه بالمسيح ـ سوف يخرج في آخر الزمان، فيقيم العدل ويصلح ما فسد من أخلاق الناس وسلوكياتهم، وتعم الأرض بعده مجتمعاً بالخير والبركات...

لم يحدد اليهود معالم شخصية هذا المخلص ولا مكان ظهوره، كما أحاطوه بالغموض واكتفوا بالقول إنهم ينتظرون هذا المخلص ليكشف هو عن نفسه عند ظهوره. وهذا الموقف من اليهود له أسبابه الخاصة الكامنة في أنفسهم، لأن ما جاء في أسفارهم لا يتفق مع رغباتهم وأهوائهم في كون هذا المخلص يعود إليهم نسباً...

فهم يجدون نصوص أسفارهم تبين شخصية لا تمت إليهم بصلة، لا من الناحية العقائدية ولا من الناحية النسبية، فهو ابن النبي الموعود في آخر الزمان الذي تدين جميع البشرية بدينه. ويكون هذا النبي من نسل إسماعيل بن إبراهيم (عليهما السلام) وليس هو من نسل إسحاق كما كانوا يتمنون. فعمدوا إلى إخفاء الكثير من معالم هاتين الشخصيتين وأحاطوهما بالرموز والكنايات كي لا يتعرف عليهما غيرهم من الأمم.

وعلى الرغم من ذلك فقد جاءت بعض النصوص واضحة المعالم بينة الحجة، كما في الفقرة (٢٠) من الفصل (١٧) من سفر التكوين وفيه: (لقد سمعت دعاءك بخصوص

---

١. راجع: تفسير ابن كثير ٣: ٩ مجاهداً تفسير اول سورة الإسراء.

٢. راجع مناقشة السائح وأشباهه في (نقد الحديث بين الاجتهاد والتقليد) للسيد محمد رضا الجلالي المنشور في مجلة تراثنا / العددان ٣٢ و ٣٣، السنة الثانية ١٤١٣هـ اصدار مؤسسة آل البيت.

إسماعيل. ها أنا أباركه وأثمره وأجعله كبيراً (أو عظيماً) بامادوا ثني عشر إماماً يكونون من نسله، وسيكون أمة عظيمة).[1]

هذا النص التوراتي جاء استجابة من الله تعالى لدعاء السيدة هاجر زوجة إبراهيم الخليل لابنها إسماعيل، بعدما عزم إبراهيم (ع) أن يأخذ هاجر وابنها إلى مكة المكرمة بيت الله العتيق، الذي لا زرع فيه ولا ماء.

والنص واضح على ما فيه من الرموز، فقد جاء في الحديث الشريف عن جابر بن سمرة قال سمعت رسول الله (ص) يقول: (لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة) ثم قال كلمة لم أفهمها، فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: (كلهم من قريش).[2]

وجاء في المزمور (٧٢) من مزامير داوود (ع) ما نصه: (اللهم أعط شريعتك للملك، وعدلك لابن الملك، ليحكم بين شعبك بالعدل، ولعبادك المساكين بالحق. فلتحمل الجبال والآكام السلام للشعب في ظل العدل. ليحكم لمساكين الشعب بالحق، ويخلص البائسين ويسحق الظالم. يخشونك ما دامت الشمس وما أنار القمر على مر الأجيال والعصور. سيكون كالمطر يهطل على العشب وكالغيث الوارف الذي يروي العطشى. يشرق في أيامه البر ويعم السلام إلى يوم يختفي القمر من الوجود، ويملك من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض).[3]

في بداية هذا النص يدعو النبي داوود (ع) ربه بإعطاء شريعة للملك. وهذا الدعاء لا بد وأن يكون بخصوص الشريعة الأخيرة التي تجمع كافة الأديان السماوية تحت ظلها وتهيمن عليها، كما بينت ذلك الفقرات اللاحقة من النص. فهذه الشريعة هي التي تحكم جميع الأمم والشعوب، لذلك عبر عن مالكها (الملك).

وجملة (وعدلك لابن الملك) إشارة إلى المخلص الموعود الذي يحكم بشريعة أبيه التي ستعم العالم، ويملك الأرض من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض. فهذه الفقرة جاءت لتؤكد أن المخلص الموعود الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، هو ابن صاحب الدين الخاتم الذي تهيمن شريعته على كافة العالم، وهو ابن النبي محمد (ص) وابنه المهدي كما جاء في الحديث الشريف.

فقد ورد عن علي (ع) قال: (قلت: يا رسول الله! أمنا ـ آل محمد المهدي أم من غيرنا؟ فقال: لا بل منا. بنا يختم الله به الدين كما فتح، بنا يستنقذون من الفتنة كما استنقذوا من الشرك، وبنا يؤلف الله بين قلوبهم، وبنا يصيرون بعد عداوة الفتنة إخواناً كما أصبحوا بعد عداوة الشرك إخواناً في دينهم).[4]

وجاء في الإصحاح (٤٦) من سفر أرميا ما نصه: (اصعدي أيتها الخيل، وبيجي أيتها المركبات، ولتخرج الأبطال، فهذا اليوم للسيد رب الجنود يوم نقمة الانتقام من مبغضيه فيأكل السيف ويشبع ويرتوي من دمهم، لأن للسيد الرب ذبيحة في أرض الشمال عند نهر الفرات).[5]

---

١. كتاب بشائر الأسفار بمحمد وآله الأطهار، ص ٥٥.

٢. صحيح مسلم ج ٦/ ١٤ الناس تبع لقريش والخلافة في قريش.

٣. كتاب بشائر الأسفار، ص ١٣٠.

٤. البيان في علامات مهدي آخر الزمان ص ٩٢.

٥. بشائر الأسفار ص ٢٣٩.

يشير هذا النص إلى واقعة عظيمة عند نهر الفرات، حيث يذبح هناك أحد أولياء الله المقربين، لأن النص ينسب هذه الذبيحة إلى (الله) مما يدل على سمو مكانته ورفعة مقامه. وسيقوم ولي الله وهو (السيد رب الجنود) بالانتقام لذبح هذا الولي المقرب، وقتل منفذيه بعد معارك عنيفة يخوضها ضدهم.

ولم ينقل لنا التاريخ ـ ولا الكتب السماوية ـ أن هناك ولياً لله ذبح عند الفرات غير الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) والذي يأخذ بثأره هو ولده المهدي (ع) كما جاء في تفسير الآية (٣٣) من سورة الإسراء عن الإمام الصادق (ع) حيث سئل عن قول الله تعالى: (ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً).

قال (ع): ذلك قائم آل (بيت) محمد (عليهم السلام) يخرج فيقتل بدم الحسين (ع) فلو قتل أهل الأرض لم يكن مسرفاً، وقوله (فلا يسرف في القتل) أي لم يكن ليضع شيئاً فيكون مسرفاً.

ثم قال أبو عبد الله (ع): يقتل والله ذراري قتلة الحسين (ع).[1]

جمع النصارى كتب وأسفار اليهود مع كتبهم وأسفارهم في كتاب واحد أسموه (الكتاب المقدس). وأطلقوا عليهذا الكتاب تسمية (العهد القديم) على كتب وأسفار اليهود، وأطلقوا على كتبهم وأسفارهم (العهد الجديد) أي العهد الذي يبدأ بظهور عيسى بن مريم (ع) على ساحة الدعوة إلى الله.

كما ان الإيمان بفكرة ظهور المصلح ثابت عند اليهود مدون في التوراة والمصادر الدينية المعتبرة عندهم، وقد فصل الحديث عن هذه العقيدة عند اليهود كثير من الباحثين المعاصرين خاصة في الغرب مثل جورج رذفورد في كتابه «ملايين من الذين هم أحياء اليوم لن يموتوا أبداً» والناتور الأميركي بول منرلي في كتابه «من يجرؤ على الكلام»[2] والباحثة غريس هالسل في كتابها «النبوءة والسياسة» وغيرهم.[3] فقد جاء في سفر «اشعيا» ما ترجمته «ستخرج من القدس بقية من جبل صهيون غيرة رب الجنود ستصنع هذا»[4]

وهذا الأمر واضح لا سيما لمن درس الديانة اليهودية، فلا يلمس مدى رسوخ هذه العقيدة فيها.

وقد أفرزت هذه العقيدة عند اليهود تحركات سياسية واسعة بهدف الاستعداد لظهور المنقذ العالمي الذي يؤمنون به.

وبسبب هذا التحرك عند اليهود في هذا المجال يشتمل على تحديد زمني لبدء مقدمات المنقذ العالمي الذي يبدأ من عام (١٩١٤م) ـ الذي هو عام تفجر الحرب العالمية الأولى ـ ثم عودة الشتات اليهودي إلى فلسطين وإقامة دولتهم التي يعتبرها اليهود من المراحل التمهيدية لظهور المنقذ الموعود ويعتقدون بأن العود إلى فلسطين هي بداية المعركة الحاسمة التي تنهي وجود الشر في العالم ويبدأ حينئذ حكم الملكوت في الأرض لتصبح الأرض فردوساً.

وبغض النظر عن مناقشة صحة ما ورد من تفصيلات في هذه العقيدة عند اليهود، فإن القدر المتيقن منها هو كونها فكرة متجذرة ومتأصلة في موروثاتهم الدينية بقوة بالغة، بحيث

---

١. الحجة في نائل في القائم الحجة ص ١٢٧، عن كتاب كامل الزيارات ص ٥٣.

٢. من يجرؤ على الكلام لبول منرلي ص ٢٩١ ط. بيروت لبنان.

٣. أهل البيت في الكتاب المقدس / أحمد الواسطي ص ١٢١، ١٢٢.

٤. سفر اشعيا نقلاً عن كتاب أهل البيت في الكتاب المقدس ص ١٢٢.

تمكنت اليهودية على أساسها أن تقيم تحركاً استراتيجياً طويل المدى وطويل النفس، استقبلت له الطاقات اليهودية المتباينة الأفكار والاتجاهات، ونحت في تجميع جهودها وتحريكها باتجاه تحقيق ماصورته قادة اليهودية لأتباعهم بأنه مصداق التمهيد للظهور المنتظر الموعود.

ومن الواضح إن الإيمان والاعتقاد بهذه الفكرة لو لم يكن راسخاً ومستنداً إلى جذور راسخة في التراث الديني اليهودي لما كان قادراً على إيجاد مثل هذا التحرك الدؤوب، وبشكل واسع وشامل لمختلف الطاقات والأتباع، فمثل هذا لا يمكن أن يأتي من فكرة طارئة غير مستندة إلى جذور عميقة متفق عليها.

آمن النصارى بوجود المخلص الذي سيقذ البشرية في آخر الزمان، اعتقاداً منهم بما هو موجود في (الكتاب المقدس) وقالوا إن المخلص الموعود الذي يُشيرون في أسفار العهد القديم - والذي أسماه اليهود بالمسيح - هو عيسى بن مريم. لذا أطلقوا عليه اسم (السيد المسيح).

حاول علماء النصارى تأويل ماجاء في أسفار العهد القديم، ليسيروا على أن شخصية المخلص الموعود هو نفسه عيسى بن مريم لكنهم واجهوا الكثير من الإشكاليات، لعدم تطابق أوصاف المخلص الموعود مع أوصاف نبيهم وما جرى معه. كالنص الذي أوردناه فيما تقدم، ونصه: (اللهم أعط شريعتك لملك، وعدلك لابن الملك).[1]

فلم يتمكن النصارى من إعطاء جواب مقنع لهذه الفقرة. فإذا كان عيسى هو صاحب الشريعة فمن يكون ابنه، وهو لم يتزوج أصلاً؟!. وإذا كان هو ابن الملك صاحب الشريعة الذي يبسط سلطانه على ممالك الأرض، فمن هو أبوه؟!.

وهكذا تبقى الإشكاليات في النصوص الأخرى التي أوردناها ساقطاً، كنبوءة الرب في الشمال عند نهر الفرات، وبقية النصوص الأخرى، كالنص التالي الذي جاء في سفر دانيال: (كنت أرى في رؤى الليل، وإذا مع سحاب السماء مثل ابن الإنسان، أتى وجاء إلى قديم الأيام، فقربوه قدامه، فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً، لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة، سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول، وملكوته ما لا يتعرض).[2]

النصارى يؤمنون بأن المسيح هو ابن الله، فمن يكون ابن الإنسان؟!. إن ابن الإنسان هو ابن صاحب الشريعة الذي يبسط سلطان شريعة أبيه على كافة الأمم والشعوب، وهو مهدي آل محمد (ص).

وكذلك عجز النصارى عن تفسير ما جاء في كتبهم وأسفارهم حول المخلص الموعود، ولم يتمكنوا من تفسيراً منطقياً يرضي العقل. ومثال ذلك ماجاء في سفر الرؤيا ليوحنا صاحب الإنجيل يوحنا، في رؤياه الثانية عشر:

١. (وظهرت آية عظيمة في السماء امرأة متسربلة بالشمس والقمر تحت رجليها، وعلى رأسها إكليل من اثني عشر كوكباً.

٢. وهي حبلى تصرخ متمخضة ومتوجعة لتلد.

٣. وظهرت آية أخرى في السماء. هو ذا تنين عظيم أحمر له سبعة رؤوس وعشرة قرون وعلى رؤوسه سبعة تيجان.

---

١. المزمور (٧٢) من مزامير داوود.

٢. بشائر الأسفار بمحمد وآله الأطهار ص ١٤١.

٤. ودنيه بحر تثب نجوم السماء فطرحها الى الأرض، والتنين واقف أمام المرأة العتيدة ان تلد حتى يبتلع ولدها متى ولدت.

٥. فولدت ابناً ذكراً أعتيداً ان يرعى الأمم بعصاً من حديد. واختطف ولدها الى الله والى عرشه.

٦. ولما رأى التنين أنه طرح الى الأرض اضطهد المرأة التي ولدت الإبن الذكر.

٧. فاعطيت المرأة جناحي النسر العظيم لكي تطير الى البرية الى موضعها حيث تعال زماناً وزمانين ونصف زمان من وجه الحية.

٨. فالقت الحية من فمها وراء المرأة ماء كنهر لتجعلها تجل بالنهر.

٩. فاعانت الأرض المرأة، وفتحت الأرض فمها وابتلعت النهر الذي ألقاه التنين من فمه.

١٠. فغضب التنين على المرأة وذهب ليصنع حرباً مع باقي نسلها الذين يحفظون وصايا الله وعندهم شهادة يسوع المسيح).[١]

هذه مقتطفات من رؤيا القديس يوحنا التي تحكي لنا ملحمة إلهية بشكل رمزي كنائي، يدور فيها صراع بين المرأة المتسربلة بالشمس والمكللة بإكليل من اثني عشر كوكباً ونسلها عند التنين، الذي هو رمز الطغيان والشر.

فسر علماء الكنيسة المرأة التي تتسربل بالشمس بأنها مريم (عليها السلام) وان الكواكب الأثني عشر التي فوق رأسها هم الحواريون أصحاب عيسى (ع) وان ابنها الذي يرعى الأمم بعصاه ـ وهو ما يرمز بنا الى المخلص الموعود ـ فسروه بأنه المسيح عيسى بن مريم.

التفسير ظاهر البطلان، بصريح نصوص الاناجيل الأربعة التي يدينون بها. فمريم لم يكن لها نسل كثير ـ كما نص الإنجيل ـ سوى ابنها عيسى (ع) وكذلك عيسى لم يكن له نسل قام بالجهاد في سبيل الله ومقاومة الطغاة والمستبدين بل ليس له ابن أصلاً.

كما ان عيسى (ع) نفسه لم يأمر أصحابه بالجهاد ضد المفسدين من رؤساء الكهنة والحكام وغيرهم بل جاءت دعوته سلمية، لأنه لم يجد الأعوان على ذلك. والذي يفهم من الاناجيل أيضاً أن مريم (عليها السلام) لم يكن لها اي دور في تبليغ رسالة السماء مع ابنها، حيث كان دورها هامشياً لا يتعدى كونها أم المسيح.

فالمرأة العتيدة في هذه الرؤيا، بالتأكيد هي ليست مريم بل هي امرأة أخرى لها نسل كثير يقاوم عون الظلمة والطواغيت، ولها ابن يخشاه هؤلاء الطغاة فيحاولون قتله (فيخطفه الله الى عرشه).

وهذه المرأة العظيمة هي فاطمة الزهراء (عليها السلام) التي كان لها دور عظيم في إرساء قواعد الإسلام الحنيف، وكذلك نسلها الذي قدم الكثير من الأموال والأنفس فداءً للإسلام، أولهم ابنها الحسين (ع) وأهل بيته الأطهار الذين قتلوا ظلماً عند نهر الفرات وهو من تشير اليه عبارة الإنجيل: (فتحة الرب في الشمال عند نهر الفرات).

وقد جاء في سنن ابن ماجة أن النبي (ص) قال: (إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاءً وتشريداً حتى يأتي قوم من المشرق معهم

١. مثار الأحقاد بهجوم آل الأطهار، ص٢١٩.

رايات سود فيقاتلون فيعطون ما سألوا، فلا يقبلون حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي فيملؤها قسطاً كما ملئت جوراً).[1]

أما تفسيرهم (الكوكب الأثنى عشر) بأنهم حواري عيسى (عليهم السلام) فهو أوهى من سابقه، وشهادة أناجيلهم التي بين أيديهم. فما جاء في الأناجيل يصرح بأن بعض هؤلاء الحواريين قد أنكر المسيح في ساعة الحقيقة، وأن بعضهم كان يشك في صدق حديثه، ما حدا به إلى أن يصرخ بهم متهماً إياهم بقلة الإيمان؟!.

ومنهم من تآمر مع رؤساء كهنة اليهود ليسلم إليهم لقاء حفنة من الدراهم. فهذا هو حال الحواريين الذين وصفتنا أناجيلهم، فكيف يكونون ـ وهم بهذا الحال ـ كواكب تهتدي بها البشرية؟!.

إن الكواكب التي تهتدي بنورها البشرية أئمة الهدى خلفاء النبي (ص) على أمته وأمناؤه على رسالته، أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم الحجة بن الحسن (عليهم السلام أجمعين) الذي يرعى الأمم بعصا من حديد، وهو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. وهو الذي يغيب شخصه عن الأبصار لئلا (اختلف ولد فاطمة إلى الله وإلى عرشه) كي لا يهتدي إليه طغاة بني العباس فيقتلوه.

فقد جاء في الحديث الشريف عن جابر بن يزيد الجعفي قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: لما أنزل الله عز وجل على نبيه محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)..

قلت يا رسول الله! عرفنا الله ورسوله، فمن أولي الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟.

قال (ص): هم خلفائي يا جابر وأئمة المسلمين من بعدي، أولهم علي بن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي المعروف بالتوراة بالباقر وستدركه يا جابر فإذا لقيته فاقرأه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم سميي وكنيي حجة الله في أرضه وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي ذاك الذي يفتح الله (تعالى ذكره) على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه للإيمان.[2]

أما القمر الذي هو تحت رجلي المرأة العتيدة، فهو رمز إلى صالحي شيعة أهل البيت (عليهم السلام) الذين هم كالقمر الذي يستمد نوره من الشمس. فهم يستمدون نور هدايتهم من نور الرسالة والولاية. وكون القمر تحت رجلي المرأة، فهذا كناية عن كون الشيعة هم المرتكز الأساس لتبليغ مهام الرسالة والولاية والدفاع عنها وعن حقوق أصحابها الذين هم أهل البيت (عليهم السلام): فهم كالأرض التي تثبت الإنسان عليها دعائمه ومرتكزاته.

وهناك نصوص أخرى عن المخلص الموعود موجودة في أناجيل وأسفار النصارى أعرضنا عن إيرادها مخافة التطويل.

---

١. مثائر الأبرار بهجة وآله الأطهار ص ٢٤٠.

٢. كتاب الإمام المهدي ص ٤٦٠، عن الدعوة السلفية ٣/ ٢٣٨.

جاء دين الإسلام ليؤيد ما جاء في الأديان السماوية السابقة، من وجود المخلص الذي يُبشر به، وسمي المخلص عند المسلمين بالمهدي. واعتبر الدين الإسلامي أن الإيمان به هو أصل من أصول الدين، لا يجوز لأي فرد تسبب إلى الإسلام إنكاره.

فلذا نرى أن النصوص التي تحدثت عن شخصية المهدي كثيرة جداً، وقد أحاطت بجميع خصوصيات هذه الشخصية التي ستكون من أمة الإسلام. ولكثرة هذه النصوص يمكن تقسيمها إلى نوعين من حيث دلالاتها.

(النوع الأول): من النصوص جاءت بخصوص عقيدة المهدي، كالأحاديث التي تحدد نسبه، والأحاديث التي تبين أوصافه وأحوال ولادته وغيبته. ومن هذه الأحاديث: ما أخرجه أبو داود وابن ماجة والطبراني عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله (ص) يقول: (المهدي من عترتي من ولد فاطمة).[1]

وما رواه الصدوق في (إكمال الدين) بإسناده عن عبد الرحمن بن سليط، قال: قال الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام): منا اثنا عشر مهدياً، أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وآخرهم التاسع من ولدي وهو الإمام القائم بالحق، يحيي الله به الأرض بعد موتها، ويظهر دين الحق على الدين كله ولو كره المشركون، له غيبة يرتد فيها أقوام ويثبت فيها على الدين آخرون، فيؤذون ويقال لهم: (متى هذا الوعد إن كنتم صادقين).[2]

ومن الأحاديث التي ذكرت ملامح المهدي (ع) ما روي عن الإمام الباقر بسنده عن آبائه (عليهم السلام) عن سيد العترة الطاهرة الإمام أمير المؤمنين (عليهم السلام) أنه قال وهو على المنبر: يخرج رجل من ولدي في آخر الزمان، أبيض اللون، مشرب بالحمرة، منحوت البطن، عريض الفخذين، عظيم شأس المنكبين، شامة على لون جلده، وشامة على شبه شامة النبي (ص).[3]

أما (النوع الثاني) من النصوص، فهي تلك التي تحدث عن خروج الإمام المهدي (ع) من بين الركن والمقام ليبدأ عملية التغيير.

منها ما روي عن أبي حمزة الثمالي قال: قلت لأبي عبد الله (ع): إن أبا جعفر (ع) كان يقول: خروج السفياني من المحتوم، والنداء من المحتوم، وطلوع الشمس من المغرب من المحتوم، وأشياء كان يقولها من المحتوم.

فقال أبو عبد الله (ع): واختلاف بني فلان من المحتوم، وقتل النفس الزكية من المحتوم، وخروج القائم من المحتوم.[4]

وأخرج نعيم بن حماد عن علي بن أبي طالب قال: (يخرج رجل قبل المهدي من أهل بيته بالمشرق، يقتل سبعة عشر شهراً، يقتل ويسئل ويتوجه إلى بيت المقدس فلا يبلغه حتى يموت).[5]

---

١. البرهان في علامات مهدي آخر الزمان ص٨٩.

٢. الإمام المهدي من المهد إلى الظهور ص٧٩.

٣. حياة الإمام المهدي ص٣٢.

٤. كتاب الغيبة للطوسي ص٤٣٥.

٥. البرهان في علامات مهدي آخر الزمان ص١٠٣.

وأخرج الدارقطني في سننه عن محمد بن علي قال: (لمهدينا آيتان لم تكونا منذ خلق الله السماوات والأرض، ينخسف القمر لأول ليلة من رمضان، وتكسف الشمس في النصف منه، ولم تكونا منذ خلق الله السماوات والأرض).[1]

وهناك نصوص أخرى تتضمن كلا النوعين وهي كثيرة أيضاً، ويمكن استخراجها من مصادر كلا الفريقين الشيعة والسنة.

إن عقيدة المخلص الموعود هي من الحقائق التي أثبتتها الديانات السماوية الثلاث بنصوص واضحة المعالم كالتي أوردناها آنفاً منها فيما تقدم. ولاحظنا في هذه النصوص كيف أنها ربطت بين المخلص الموعود والنبي الخاتم للأديان، مما يدل على وحدة العقيدة والنسب بين كلا الشخصيتين.

إن علماء اليهود والنصارى الذين وضعوا كتبهم وأسفارهم قد يمادرون يقيناً أن هذا المخلص الموعود ابن النبي الخاتم وهو رسول الله محمد (ص) كما قال الله (عزوجل) في كتابه العزيز: (الذين آتيناهم الكتاب من قبل يعرفونه كما يعرفون أبناءهم).

فاليهود تمنوا أن يكون هذا المخلص يهودياً من نسل داوود، لذلك حاولوا تأويل بعض النصوص وإخفاء البعض الآخر وتحريف جداً من عند أنفسهم، لأنهم عرفوا أن هذا المخلص هو من نسل إسماعيل ابن إبراهيم الخليل (عليهما السلام). ووضعوا في أسفارهم علامات خروج هذا المخلص بشكل لا يمت إلى الواقع بصلة، بل هي مجموعة من الأمنيات بالشراء وإذلال الآخرين.

أما علماء النصارى فقد قالوا إن المسيح الذي جاء ذكره في أسفار العهد القديم هو عيسى بن مريم، وهو المخلص الموعود. لكنهم توقفوا عند تفسير النصوص التي تدل على وحدة الكيان بين المخلص الموعود والنبي الخاتم.

إن عدم الإيمان بقدسية النصوص عند اليهود والنصارى هو الذي دفعهم إلى التحريف والتأويل وتضييع الحقائق إرضاءً لأهوائهم وشهواتهم، لذلك نرى أن فكرة المخلص الموعود تتناقض وللاتهاً في كلا الديانتين اليهودية والنصرانية.

فاليهود لم يحددوا هوية هذه الشخصية، ولكن وضعوا علامات لخروجه. أما النصارى فقد عينوا الشخصية ولم يحددوا علامات خروجه. والذي جاء في الدين الإسلامي، يضع حداً لهذه الإشكاليات والتناقضات التي وقع بها اليهود والنصارى.

فقد حدد الدين الإسلامي هوية هذا المخلص بدقة وسماه بالمهدي وصرح بأنه من نسل رسول الله خاتم النبيين، ودينه خاتم الأديان. ثم ذكرت الروايات علامات خروجه بتفاصيل دقيقة، مما يثبت بشكل قطعي إن هذا المخلص الموعود هو ابن النبي الخاتم.

وألفتنا النظر في بداية حديثنا إلى أن البشارة بالموعود المخلص لا تقتصر على الأديان السماوية الثلاث، بل جاءت هذه البشارة عبر الأنبياء والرسل الذين سبقوا هذه الأديان، وأولهم نبي الله آدم أبو البشر.

فدين الله واحد، ونهج الأنبياء والرسل واحد، وهو الدعوة إلى الله تعالى. وهذه الأديان السماوية الثلاث تعتبر الامتداد الطبيعي لنهج هؤلاء الأنبياء العظام (عليهم السلام) لذلك

١. المصدر السابق ص ١٠٧.

نرى أن كل البشرية ورثت هذه البشرى من مختلف الأديان سواء أكانت سماوية أم غير سماوية.

وأخيراً لابد من القول إن المخلص الموعود هو أمل البشرية في تحريرهم من شرور أعمالهم، وإن الله (سبحانه) وعدهم في كتبه التي أنزلها على أنبيائه بإرسال المصلح المنقذ لخلاصهم في آخر الزمان بعد أن تملأ الأرض ظلماً وجوراً فيملؤها قسطاً وعدلاً. إن الله لا يخلف الميعاد.

المبحث الثالث: الدراسة المقارنة

لا أعتقد أن بحثاً من البحوث الإسلامية قد نال اهتمام علماء الإسلام كموضوع الإمام المنتظر المهدي الموعود (ع) فقد بحث من جميع جوانبه على ضوء الكتاب والسنة، كما تطرق لبحثه غير واحد من رجالات العلم والمعرفة في الأديان والمذاهب السماوية الأخرى لأن الإيمان والاعتقاد بظهور المنقذ والمصلح العالمي المنتظر الذي يملأ ويشكل جوهرة الفكرة المهدوية في الإسلام كما هو موجود عندنا موجود في تلك الأديان والمذاهب أيضاً، والإيمان بفكرة حتمية ظهور المنقذ العالمي تعبر عن حاجة فطرية عامة للإنسان وتقوم هذه الحاجة على تطلع الإنسان إلى الكمال فهي فكرة قديمة وليست مقصورة على الإسلام، وقد تعرض القرآن لهذه الفكرة والوعد الإلهي بقوله تعالى: (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون).[1] فالزبور كتاب داوود، والذكر هو التوراة كما جاء في التفاسير ولابد أن يتحقق هذا الوعد الإلهي يوماً ما، وإن كان هذا اليوم هو آخر يوم من عمر الدنيا كما ورد عن رسول الله (ص): (لو لم يبق من الدهر إلا يوم واحد لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً).[2]

والآية الأخرى التي تشير إلى هذا الوعد الإلهي، قوله تعالى: (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين).[3]

وهذه الآية وإن وردت في شأن بني إسرائيل واستيلائهم على زمام الأمور بعد تخلصهم من قبضة الفراعنة ـ ولكن هذا التعبير (ونريد) يشير إلى إرادة إلهية مستمرة، ولذلك طبقت الآية في الكثير من الروايات على ظهور المهدي (ع).[4]

إن أمثال هذه الآيات التي لم نذكر الأنموذج منها، وغيرها من الآيات[5] شواهد على أن قيادة العالم ستنتهي لعباد الله الصالحين، وهذا الأمر لا خلاف فيه بين الأديان والمذاهب، وهذه الحقيقة من شأنها أن تساعد على إسقاط أربع شبهات في المسألة المهدوية في آن واحد.

فهي توضح أولاً: بطلان الشبهة القائلة بتفرد الشيعة بالقول بالمهدوية.

وثانياً: بطلان الشبهة القائلة بأن المهدوية أسطورة إذ ليست هناك أسطورة تحظى بإجماع الأديان السماوية وغير السماوية ويتبناها العلماء والمفكرون والفلاسفة.

---

١. الأنبياء: ١٠٥.

٢. صحيح الترمذي ٢: ٤٦ ومسند ابن حنبل ١: ٣٧٨.

٣. القصص: ٥.

٤. الغيبة للطوسي: ١٨٤.

٥. النور: ٥٥ وسورة التوبة: ٣٣ قوله تعالى: (ليظهره على الدين كله).

وثالثاً: بطلان الشبهة القائلة بدور اليهود في ايجاد العقيدة بالمهدوية بحجة ان الفكرة موجودة عند اليهود وغيرهم.

كما توضح رابعاً: بطلان الشبهة القائلة بان فكرة المهدوية وليدة الظروف السياسية الحرجة التي عاشها اتباع اهل البيت (عليهم السلام)، فان اكثر المظلومين والمضطهدين على مر التاريخ وعبر الزمن وفي شتى بقاع الارض ومع ذلك لم يعرف عنهم هذا الاعتقاد، وما اكثر الافراد والجماعات التي آمنت بهذه الفكرة بدون معاناة لظلم واضطهاد.

نعم لاريب بحصول عوامل ضغط واضطهاد دفعت باتجاه التمسك بالفكرة المهدوية اكثر لانها تمثل هذه الفكرة وهذا الاعتقاد واوجدتها من حيث الاساس.

ان الايمان بحتمية ظهور المصلح الديني العالمي واقامة الدولة الالهية العادلة في كل الارض من نقاط الاشتراك البارزة بين جميع الاديان والمذاهب، والاختلاف بينهم انما هو في تحديد هوية ومصداق هذا المصلح العالمي الذي يحقق جميع اهداف الانبياء والاوصياء. وسنبحث حول هوية هذا المنقذ والمصلح العالمي، وسوف نبرهن على انه قد وجد ولازال موجوداً ولكن غائب عن الانظار لمصلحة علمها عند الله سبحانه وتعالى، ويتطلب منا بحث كهذا الرجوع لمرويات الفريقين عن النبي (ص) والمصادر التاريخية ليتضح للجميع ان ذلك المصلح العالمي العظيم قد ولد في منتصف شعبان سنة (٢٥٥) من الهجرة في سامراء وهو المهدي محمد بن الحسن العسكري، الامام الثاني عشر من ائمة اهل البيت (عليهم السلام) الذي يملأ الله به الدنيا عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

وبهذا المعنى وردت روايات كثيرة عن النبي صلى الله عليه وآله واهل بيته (عليهم السلام) وهي تدل على تعيين نسب المهدي وكونه من اهل البيت (عليهم السلام) ومن ولد فاطمة (عليها السلام) ومن ذرية الحسين (ع) وهو الامام والخليفة الثاني عشر بعد الرسول (ص).[1]

والمتتبع للاحاديث الصحيحة الواردة في المهدي في كتب اهل السنة يجدها تنسجم مع روايات الشيعة وتؤكد حقيقة واحدة.

ولتوثيق ذلك نستعرض بعضاً من تلك الروايات التي تحدثت عن اسمه ونسبه ولقبه وخروجه آخر الزمان.

الامام المهدي الموعود في روايات اهل السنة

عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي، اسمه كاسمي وكنيته كنيتي، يملأ الارض عدلاً كما ملئت جوراً فذلك هو المهدي).[2]

وعن ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وآله: (المهدي حق وهو من ولد فاطمة).[3]

---

١. ان دليل الروايات على المهدي يتمثل في مئات الروايات الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله واهل بيته (عليهم السلام) راجع معجم احاديث الامام المهدي وكتاب منتخب الاثر للصافي الگلپايگاني والكتب الاخرى التي تحدث عن المهدي.

٢. تذكرة الخواص: ٣٤٣، منهاج السنة لابن تيمية ٤: ٨٦.

٣. تاريخ البخاري ٤: ٣٤٣، مستدرك الحاكم ٤: ٥٥٧.

وعن علي (ع)، عن النبي صلى الله عليه وآله: (المهدي منّا أهل البيت، يصلحه الله في ليلة).[1]

وعن حذيفة بن اليماني رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله فذكر لنا ما هو كائن، ثم قال: (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لطوّل الله عزّ وجلّ ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً من ولدي اسمه اسمي) فقال سلمان الفارسي (رض): يا رسول الله من أي ولدك؟ قال صلى الله عليه وآله: (من ولدي هذا) وضرب بيده على الحسين (ع).[2]

وعن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: (أنا سيد النبيين، وعلي بن أبي طالب سيد الوصيين، وإن أوصيائي بعدي اثنا عشر أولهم علي بن أبي طالب، وآخرهم المهدي).[3]

وهكذا نرى بأن الأحاديث والروايات الواردة في المهدي (ع) قد بلغت حدّ التواتر كما صرح بذلك الكثير من علماء مدرسة الخلفاء، منهم الشوكاني في كتاب عون المعبود وابن كثير في البداية والنهاية والحافظ الكتاني في كتاب نظم المتناثر في حديث المتواتر.

وقال صاحب عون المعبود في شرح سنن أبي داوود: اعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار، أنه لابد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت (عليهم السلام) يؤيد الدين، وينظر العدل ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية، ويسمّى بالمهدي، ويكون خروج الدجال بعده، وإن عيسى (ع) ينزل بعد المهدي، أو ينزل معه فيساعده على قتل الدجال، ويأتم بالمهدي في صلاته، وخرّج أحاديث المهدي جماعة من الأئمة منهم أبو داوود، والترمذي، وابن ماجه، والبزار، والحاكم، والطبراني وأبو يعلى وإسناد أحاديث هؤلاء بين الصحيح والحسن والضعيف.[4]

ولادة الإمام المهدي (ع) المصلح العالمي

ولد المصلح العالمي المنتظر الإمام الثاني عشر الحجة بن الحسن المهدي الموعود صلوات الله عليه وعلى آبائه في فجر يوم الجمعة النصف من شعبان سنة مئتين وخمس وخمسين هجرية قمرية (٢٥٥ هـ. ق) الموافق لعام ٨٦٨ ميلادي في مدينة سامراء.[5] وأبوه هو الإمام الحادي عشر الحسن العسكري (ع)، وأمه السيدة الكريمة (نرجس) وتسمّى، (موسن) أيضاً، وهي ابنة (يوشعا) قيصر الروم، ومن الأمم من نسل (شمعون) أحد حواريّ المسيح (ع). وكانت نرجس ذات منزلة رفيعة بحيث ان حكيمة ـ وهي أخت الإمام الهادي (ع) والتي تعتبر من أهم سيدات أهل البيت (عليهم السلام) ـ تخاطبها بقولها: (يا سيدتي).

---

١. سنن ابن ماجه ٢: ١٣٦٧ باب ٣٤ ح ٤٠٨٥ وصواعق ابن حجر: ١٦٣.

٢. مقتل الخوارزمي ١: ١٩٦، ينابيع المودة ٣: ٢٤ باب ٧٣، السيرة الحلبية ١: ١٢٣.

٣. فرائد السمطين ٢: ٣١٣ ح ٥٦٤، وراجع تفصيل ذلك في الموسوعة أعلام الهداية الجزء ١٤ خاتم الأوصياء المهدي المنتظر (ع).

٤. عون المعبود في شرح سنن أبي داوود ١١: ٢٦٢.

٥. أصول الكافي ١: ٥١٤، الإرشاد للمفيد: ٣٤٦، وفي بعض الروايات ان الإمام (عليه السلام) قد ولد سنة ٢٥٦ هـ، لمزيد من شاء إلى كمال الدين ٢: ٤٧، بحار الأنوار ٥١: ١٥.

وعندما كانت (نرجس) في الروم شاهدت أحلاماً عجيبة، ففي إحدى الليالي رأت في المنام نبي الإسلام الأكرم صلى الله عليه وآله والسيد المسيح عيسى (ع) وقد زوجها من الإمام الحسن العسكري (ع)، وفي حلم آخر شاهدت أمراً غريباً آخر وهو أنها قد أسلمت بدعوة كريمة من فاطمة الزهراء (عليها السلام)، لكنها كتمت إسلامها عن أسرتها ومن يحيط بها حتى ثبتت المعارك بين المسلمين وجند الروم، وقاد قيصر الروم بنفسه الجيش إلى جبهات القتال. ورأت نرجس في النوم من يأمرها أن تتخفى مع سائر الأسرى وقد هاد تسير مع فرقة المقاتلين التي تحرك نحو الحدود، ونفذت ما رأته بدقة، ولما وصلوا إلى الحدود أسروا جميعاً على يد بعض الطلائع من جيش المسلمين ومن دون أن يعرف المسلمون أن فيهم أعضاء من أسرة قيصر الروم فقد حمل المسلمون الأسرى إلى بغداد.

وقد جرت هذه الحادثة في أواخر مرحلة إمامة الإمام العاشر الهادي (ع)، وجاء مبعوث من الإمام الهادي (ع) يحمل رسالة منه مكتوبة باللغة الرومية وسلمها إلى (نرجس) في بغداد واشتراها من بائع الإماء وجاء بها إلى الإمام الهادي في سامراء، وعندئذ قام الإمام بتذكيرها بسلك الأحلام التي كانت قد رأتها من قبل وبشرها بأنها ستصبح زوجة للإمام الحادي عشر وقال لها: سوف يسيطر على كل العالم ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً. ثم إن الإمام الهادي (ع) أسند شؤون (نرجس) إلى أخته الجليلة (حكيمة) وهي من كبار سيدات أهل البيت (ع)، لتعلمها الآداب الإسلامية والأحكام الشرعية. وبعد مدة من الزمن أصبحت (نرجس) زوجة للإمام الحسن العسكري (ع).

وكان من عادة (حكيمة) أنها كلما زارت الإمام العسكري (ع) دعت الله أن يرزقها ولداً، وهي تقول: وخلصت عليه فقلت له كما أقول ودعوت كما أدعو، فقال: يا عمة! إن الذي تريدين الله أن يرزقك يولد في هذه الليلة، يا عمة! وهي ليلة عند نافلة يولد الليلة المولود الكريم على الله عز وجل الذي يحيي الله عز وجل به الأرض بعد موتها، فقالت حكيمة: ممن يا سيدي ولست أرى بنرجس شيئاً من أثر الحمل، فقال: من نرجس لا من غيرها. قالت: فوثبت إلى نرجس فقلبتها فلم أر بها أثراً من حبل فعدت إليه فأخبرته بما فعلت فتبسم ثم قال لي: إذا كان وقت الفجر فانظري لم بها الحبل لأن مثلها مثل أم موسى لم يظهر بها الحبل ولم يعلم بها أحد إلى وقت ولادتها لأن فرعون كان يشق بطون الحبالى في طلب موسى وهذا نظير موسى (ع) (يطوى سجل حكومة الفراعنة).

قالت حكيمة: فلم أزل أراقبها إلى وقت طلوع الفجر وهي نائمة بين يدي لا تتقلب جنباً إلى جنب حتى إذا كان في آخر الليل وقت طلوع الفجر وثبت فزعة فضمتها إلى صدري وسميت عليها، فصاح الإمام العسكري (ع) وقال: إقرأي عليها (إنا أنزلناه في ليلة القدر) فقلت أقرأ عليها، وقلت لها: ما حالك؟ قالت: ظهر الأمر الذي أخبرك به مولاي فقلت اقرأ عليها كما أمرني فأجابني الجنين من بطنها يقرأ كما أقرأ وسلم علي. قالت حكيمة: ففزعت لما سمعت فصاح بي الإمام العسكري (ع) لا تعجبي من أمر الله عز وجل إن الله تبارك وتعالى يطقنا بالحكمة صغاراً ويجعلنا حجة في أرضه كباراً فلم يستتم الكلام حتى غيبت عني نرجس فلم أرها كأنه ضرب بيني وبينها حجاب فعدوت نحو الإمام العسكري (ع) وأنا صارخة فقال لي: ارجعي يا عمة فإنك ستجدينها في مكانها، قالت: فرجعت فلم البث أن كشف الحجاب بيني وبينها وإذا أنا بها وعليها من أثر النور ما غشي بصري وإذا أنا

بالصبي (ع) ساجداً على وجهه جاثياً على ركبتيه رافعاً سبابتيه نحو السماء وهو يقول: (أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وان جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وان أبي أمير المؤمنين ثم عد اماماً اماماً الى ان بلغ إلى نفسه، فقال (ع): اللهم أنجز لي وعدي وأتمم لي أمري وثبت وطأتي واملأ الأرض بي عدلاً وقسطاً...).[1]

ولادة الإمام المهدي (ع) بين الإعلان والكتمان

إن تاريخ بني أمية وبني العباس، ولا سيما منذ عصر الإمام الصادق (ع) فما بعد، شاهد صدق على حساسية الخلفاء من الأئمة المعصومين، وذلك لأن هذه الشخصيات الكريمة كانت مورد اهتمام المجتمع واحترامه، وكلما مر الزمن ازداد نفوذهم وتعاظم حب الناس لهم، وبلغ الأمر بالخلفاء العباسيين ان رأوا سلطتهم في معرض الخطر، وبالخصوص عندما سمعوا ما اشتهر بين الناس من ان المهدي الموعود من نسل النبي ومن أحفاد الأئمة المعصومين وهو ابن الإمام العسكري وسوف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، ومن هنا فقد اتخذ الإمام العسكري لمراقبة شديدة، وجعل تحت النظر في مركز الحكم العباسي (سامراء) كأنه في وجده، وحاول العباسيون بكل ما أوتوا من قوة الحيلولة دون ولادة هذا الطفل وتربيته، إلا أن المشيئة الإلهية تعلقت بحتمية هذه الولادة ولذا باءت جميع محاولاتهم بالفشل الذريع وذهبت جهودهم أدراج الرياح، وقد جعل الله تعالى ولادته ـ مثل موسى (ع) ـ أمراً مخفياً، ومع ذلك فان الصفوة المختارة من أصحاب الإمام العسكري (ع) قد شاهدوا الإمام الموعود مرات عديدة في زمان حياة والده الكريم، وعندما استشهد الإمام العسكري (ع) فقد ظهر أيضاً إمام العصر (ع) وصلى على جثمان والده ورآه الناس في هذه الحالة ثم غاب عنهم.

ومنذ ولادة الإمام القائم (ع) وحتى شهادة والده الإمام العسكري (ع) فقد وفق كثير من الأصحاب المقربين للإمام الحادي عشر لرؤية الإمام المهدي (ع) أو للعلم بوجوده في دار الإمام (ع)، وأساساً فان طريقة الإمام العسكري (ع) قد جرت على الاحتفاظ بولده الكريم طي الكتمان، ولكنه في نفس الوقت كان يستغل الفرص المناسبة ليطلع أصحابه الموثقين على وجوده الشريف حتى يتولوا ذلك للشيعة، لئلا يبقوا في حيرة من بعده، ونشير هنا إلى بعض النماذج في هذا الشأن.

يقول أحمد بن إسحاق القمي ـ وهو من كبار شخصيات الشيعة والأصحاب المخلصين للإمام العسكري (ع) ـ: (دخلت على أبي محمد الحسن بن علي (عليهما السلام) وأنا أريد ان أسأله عن الخلف من بعده، فقال لي مبتدءاً: يا أحمد بن إسحاق ان الله تبارك وتعالى لم يخل الأرض منذ خلق آدم (ع) ولا يخليها إلى ان تقوم الساعة من حجة لله على خلقه، به يدفع البلاء عن أهل الأرض، وبه ينزل الغيث، وبه يخرج بركات الأرض.

قال: فقلت له: يا ابن رسول الله فمن الإمام والخليفة بعدك؟ فنهض (ع) مسرعاً فدخل البيت، ثم خرج وعلى عاتقه غلام كأن وجهه القمر ليلة البدر من أبناء الثلاث سنين، فقال يا أحمد بن إسحاق لولا كرامتك على الله عزوجل وعلى حجه ما عرضت عليك ابني هذا، انه سمي رسول الله صلى الله عليه وآله وكنيه، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

---

١. راجع خبر ولادة الإمام المهدي في الكتب التالية: كمال الدين ٢: ١٠٠ - ٩، والغيبة للشيخ الطوسي: ١٣٤، وبحار الأنوار ٢٥ - ١٢: ٥١، والصافة على المصادر والكتب الشيعية، قد نقل هذا الخبر وتاريخ الولادة جمع من علماء أهل السنة منهم ابن صبّاغ المالكي (المتوفى في ٨٥٥ ق) في كتابه الفصول المهمة في معرفة الأئمة والقندوزي الحنفي بذكر تاريخ الولادة (المتوفى ١٢٩٠ ق) في كتابه مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان.

يا أحمد بن إسحاق مثلي في هذه الأمة مثل الخضر (ع) ومثلي مثل ذي القرنين، ولعمر لغيبتين في غيبة لابد فيهما من الملكة الأمن ثبته الله عز وجل على القول بإمامته ووفقه فيها للدعاء بتعجيل فرجه.

فقال أحمد بن إسحاق: قلت له: يا مولاي فهل من علامة يطمئن إليها قلبي؟ فنطق الغلام (ع) بلسان عربي فصيح: (أنا بقية الله في أرضه، والمنتقم من أعدائه، فلا تطلب أثراً بعد عين يا أحمد بن إسحاق).[1]

ومن جملة الأشخاص الذين علموا بولادة الإمام الموعود (ع) واطلعوا عليها: السيدة الجليلة التقية حكيمة عمة الإمام، ونسيم خادم الإمام العسكري (ع)، وأبو جعفر محمد بن عثمان العمري النائب الثاني من نواب الإمام المهدي (ع) وغيرهم من العلماء والمحدثين في زمن الإمام العسكري (ع)،[2] والعجب ان الإمام العسكري (ع) في الوقت الذي كان يخبر الخواص من أصحابه بولادة المهدي، لم يخبر أخاه جعفراً بذلك، ولم يعرف جعفر أن لأخيه ولداً، ولعله كان يعلم ذلك ولكنه كان يتجاهل لأسباب وأهداف. سنشير إلى بعضها في البحث عن الإمامة المبكرة للإمام المهدي (ع).

الإمامة المبكرة للإمام المهدي (ع)

قبل وفاة الإمام العسكري (ع) بخمسة عشر يوماً، كتب الإمام رسائل عديدة لشيعته من أهل المدائن وسلّم الرسائل إلى خادمه أبي الأديان، وقال له: (امضِ بها (أي بالرسائل) إلى المدائن، فإنك ستغيب خمسة عشر يوماً وقد دخل إلي (سرّ من رأى) يوم الخامس عشر (أي من سفره) وتسمع الواعية في داري[3] وتجدني على المغتسل.

قال: أبو الأديان: قلت يا سيدي فإذا كان ذلك فمن الإمام بعدك؟

قال: من طالبك بجوابات كتبي فهو القائم بعدي، ومن يصلّي عليّ فهو القائم بعدي قلت زدني؟ قال (ع): من أخبر بما في الهميان فهو القائم بعدي.

ثم مضت مدة الإمام أن أساله عما في الهميان، وخرجت بالكتب (الرسائل) إلى المدائن، وأخذت جواباتها، ودخلت (سرّ من أي) يوم الخامس عشر ـ كما ذكر لي (ع) ـ فإذا أنا بالواعية (الصراخ) في داره وإذا به على المغتسل، وإذا بجعفر بن علي أخ الإمام العسكري بباب الدار، والشيعة من حوله يعزونه بوفاة الإمام (ع) ويهنئونه بالخلافة والإمامة، فقلت ـ في نفسي ـ إن يكن هذا الإمام فقد بطلت الإمامة. فقدمت فعزيت وهنأت، فلم يسألني عن شيء، ثم خرج عقيد (خادم الإمام العسكري) فقال: يا سيدي قد كفن أخوك، فقم وصلّ عليه، فتقدم جعفر بن علي ليصلّي على أخيه، فلما هم بالتكبير خرج صبي بوجه سمرة، بشعره قطط[4] بأسنانه تفلج[5] فجذب رداء جعفر بن علي وقال (تأخر يا عم، فأنا أحق بالصلاة على أبي) فتأخر

---

١. كمال الدين ٢: ٥٥.

٢. كمال الدين ٢: ١٠٤، بحار الأنوار ٥١: ٥.

٣. الواعية: الصراخ على الميت.

٤. أي: مجعد.

٥. أسنانه متوالية غير متراكبة بينها فواصل دقيقة

جعفر، وقد اربدّ وجهه واصفرّ، فتقدم الصبيّ وصلّى عليه، ودفن إلى جانب قبر أبيه الهادي (عليهما السلام) ثم قال الصبي: يا بصري هات جوابات الكتب التي معك، فدفعتها إليه، وقلت هذه سبعتان بقي الهميان.

بينما نحن جلوس، إذ قدم نفر (جماعة) من قم، فسألوا عن الحسن بن علي (ع) فعرفوا موته: قالوا: فمن الإمام بعده؟ فأشار الناس إلى جعفر،[1] فسلموا عليه، وعزّوه، وهنّوه، وقالوا: إن معنا كتباً وأموالاً فتقول ممن الكتب؟ وكم المال؟ فقام جعفر ينفض أثوابه ويقول: تريدون منّا أن نعلم الغيب؟!

فخرج الخادم (أي: خادم الإمام المهدي (ع)) فقال: معكم كتب فلان وفلان، وهميان فيه ألف دينار، عشرة دنانير منها مطلية (بالذهب). فدفعوا إليه الكتب والمال، وقالوا: الذي وجّهك لأخذ ذلك هو الإمام... إلى آخر الحديث).[2]

وترى جعفراً يصرّ على باطله ولا ينازل عنه، وقد حمل إلى الخليفة المعتمد العباسي عشرين ألف دينار، لما توفي الحسن العسكري وقال له: يا أمير المؤمنين... تجعل لي مرتبة أخي الحسن ومنزلته!

قال الخليفة: إعلم أن منزلة أخيك لم تكن بنا، إنما كانت بالله عزّ وجلّ، ونحن كنا نجتهد في حط منزلته والوضع منه، وكان الله عزّ وجلّ يأبى إلا أن يزيده رفعة، لما كان فيه من الصيانة والعلم والعبادة.

فإن كنت عند شيعة أخيك بمنزلته فلا حاجة بك إلينا، وإن لم تكن عندهم بمنزلته ولم يكن فيك ما كان في أخيك، لم نغن عنك شيئاً.[3]

نعم تولّى الإمام المهدي (ع) بعد وفاة أبيه (ع) إمامة المسلمين في صغر سنه وكان عمره آنذاك خمس سنين وهذه الإمامة المبكرة كانت ظاهرة واقعية في حياة أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، فالإمام الجواد (ع) والإمام الهادي تولّيا الإمامة في الثامنة أو التاسعة من عمرهما وحينئذ لم يعهد هناك اعتراض فيما يخص الإمامة المبكرة للإمام المهدي (ع) ويكفي دليلاً ومثالاً لظاهرة الإمامة المبكرة قوله تعالى: (يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً)[4] وقوله تعالى: (فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً* قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً)[5] فإن الله الذي أعطى يحيى الحكم وهو صبيّ وأعطى النبوة لعيسى وهو في المهد صبياً قادر على إعطاء الإمامة لعدد من أولياءه ومنهم الإمام المهدي (ع) وهو في سن الصبا، وقد تحقق ذلك فعلاً ولا حاجة لمزيد من الأدلة لإثبات ذلك بعد ما ذكرنا من الكتاب الكريم من المصاديق المشابهة.

المصادر

- الاحتجاج أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، من علماء القرن السادس، تحقيق: الشيخ إبراهيم البهادري والشيخ محمد هادي به، بإشراف العلامة الشيخ جعفر السبحاني، نشر

١. كمال الدين للشيخ الصدوق ٢: ٤٧٥ ط طهران سنة ١٣٩٥هـ.

٢. المصدر السابق.

٣. المصدر نفسه.

٤. مريم: ١٢.

٥. مريم: ٢٩ و ٣٠.

أسوة، التابعة لسلطة الأوقاف والشؤون الخيرية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ

- الإرشاد الشيخ محمد بن النعمان المفيد (ت / ٤١٣ هـ)، طبعة طهران / ١٣٧٧

- الاصول العامة للفقه المقارن العلامة محمد تقي الحكيم، الطبعة الثانية / مؤسسة آل البيت: لإحياء التراث ـ بيروت ١٩٧٩

- أصول الكافي الشيخ محمد بن يعقوب الكليني (ت / ٣٢٩ هـ)، نشر المكتبة الإسلامية ـ طهران ١٣٨٨هـ

- الإشاعة لأشراط الساعة السيد الشريف محمد بن رسول الحسيني البرزنجي ثم المدني (ت / ١١٠٣ هـ)، الطبعة الأولى، نشر عبد الحميد أحمد حنفي ـ القاهرة ١٣٧٠هـ، شارع المشهد الحسيني.

- بحار الأنوار العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي (ت / ١١١١ هـ)، طبع دار الكتب الإسلامية ـ طهران.

- العلامة أبو منصور حسن بن يوسف الحلي (ت / ٧٢٦ هـ)، تحقيق: الدكتور مهدي محقق، نشر مؤسسة آستانة رضوي ١٣٦٨هـ

- تبصرة الولي فيمن رأى القائم المهدي السيد هاشم البحراني، نشر مؤسسة المعارف الإسلامية ـ قم.

- التصوف والكرامات الشيخ محمد جواد مغنية، طبعة بيروت. ١٩٧٩

- تاريخ الغيبة الصغرى محمد الصدر، نشر دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت.

- غاية المأمول شرح التاج الجامع للأصول الشيخ منصور علي ناصف، المطبوع بهامش التاج الجامع للأصول.

- الفتاوى الواضحة الشهيد الإمام محمد باقر الصدر، نشر دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت.

- الفصول المهمة ابن الصباغ المالكي (ت / ٨٥٥ هـ)، مطبعة العدل ـ النجف الأشرف.

- الفصول المهمة في تأليف الأمة العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين، نشر مؤسسة البعثة ـ طهران.

- موسوعة الإمام المهدي نشر مكتبة الإمام أمير المؤمنين ٧ ـ أصفهان، مطبعة الخيام ـ قم ١٤٠١هـ

- معجم أحاديث الإمام المهدي تأليف ونشر مؤسسة المعارف الاسلامية ـ قم / الطبعة الأولى ١٤١١هـ بإشراف الشيخ علي الكوراني.

- المهدي الموعود المنتظر عند علماء أهل السنة والإمامية الشيخ نجم الدين جعفر بن محمد العسكري، نشر مؤسسة الإمام المهدي ـ قم ١٤٠٢هـ

- كتاب بشائر الأسفار بعهود وآله الأطهار، اصفهان مطبعة الخيام قم ١٤٣٢

- الإمام المهدي من المهد إلى الظهور. نشر المكتبة الإسلامية ـ طهران ١٣٨٨هـ

- المحجة فيما نزل في القائم الحجة ص ١٢٧، عن كتاب كامل الزيارات. الطبعة الثانية / مؤسسة آل البيت: لإحياء التراث ـ بيروت ١٩٧٩.

علاقة البداء بعلامات الظهور

الدكتور محمدامين كورانى[1]

إن الحديث عن الإمام المهدى (عج) وعلامات ظهوره هو حديث عن أخبار غيبية وحوادث فى المستقبل.. وهذا مايثير التساؤل: هل لابد لكل تلك الاخبار الغيبية والتنبوات المستقبلية من أن مايلزمنا أن نتطرق الى (البداء) كموضوع فلسفى وعقدى، له علاقة وطيدة وحساسة بموضوع الذمام المهدى (عج) وعلامات ظهوره... فالبداء فى الإصطلاح: ظهور شىء بعدما كان خافياً على الناس. بمعنى: أن الله سبحانه وتعالى قد يظهر شيئاً على لسان نبيه أو وليه أو فى ظاهر الحال لمصلحة تقتضى ذلك الإظهار، ثم يبدو فيكون غير ماقد ظهر أولا... وهذا مطلق من قوله تعالى فى كتابه الكريم (يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) الرعد/٣٩... وقوله تعالى: (ثم بدا لهم من بعد ماراوا الآيات) (يوسف/٣٥. ولذا، ينسب البداء الى الله سبحانه وتعالى بمعنى: البداء انبداء منه، واذا نسب إلى الناس فهو بداء لهم، فالبداء من الله هو إظهار ماخفى على الناس، والبداء من الناس بمعنى ظهور ماخفى له وهناك نوع من البداء ما اصطلح على تسميته (بالبداء الغيبى أو الاخبارى) وموردة خبر النبى (صلى الله عليه وآله) أو خبره الائمة عليهم السلام عن وقوع أمر مافى المستقبل... وما يعنينا البحث عنه هنا، هو خصوص الخبر فى علامات ظهور الإمام المهدى (عج) الأكل خبر وليس بداء لله وللناس، ويقرب ذلك قوله تعالى (وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) الزمر/٤٧ وهنا يثار سؤال: هل كل علامات ظهور الإمام المهدى (عليه السلام) التى دونت فى كتب الأخبار وأثبت صحة سندها، لابد من وقوعها وتحققها؟ أم أن البداء يتطرق اليها؟

وللجواب على السؤال... لابد من تقسيم علامات الظهور الى قسمين:

---

١. الدكتوراة فى التاريخ والدراسات الإسلامية من الجامعة العالمية، بيروت.

أمور وعلامات موقوفة: إن الأصل في أنها موقوفة، مالم توجد قرينة أو دليل يستدل به على الحتم، وقد ذهب جهابذة العلماء كالمفيد والصدوق والطوسي) إلى أن الأصل في هذا النوع من الأخبار أنه من الموقوف، مالم يستدل على خلاف ذلك بقرينة تدل على حتمه... كقوله عليه السلام (السفياني من المحتوم)... وعليه فإن كثيراً من علامات الظهور حتى ما صح سنده، هي من الأمور الموقوفة، أي معلقة على مشيئة من الله تعالى، أي من الجائز أن لا يقع بعض منها، وتكون قابلة للتغيير أو التبديل أو التقدم أو التأخر. إن هذه الأمور والآيات والعلامات الموقوفة، لها ارتباط باللوح الآخر (لوح المحو والإثبات). أما إذا لم يقع الخير أو الحدث (أي حصل فيه البداء) فإن ذلك يكشف عن فقد شرط، أو عروض مانع، اقتضى التأخير بعدم تحقق الخبر.

أمور وعلامات محتومة: إن العلائم المحتومة، هي الأخبار التي لابد من تحققها، وهي التي تحدث قطعاً ولهذا أشد الارتباط بالظهور، وتكون مقارنة لملظهوره عليه السلام. ولا علاقة للبداء فيها، باعتبار أن البداء في المحتوم ينافي حتميته.

إن علائم الظهور المحتومة هي خمس كما في الرواية عن عمر بن حنظلة قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: (قبل قيام القائم خمس علامات محتومات: اليماني، والسفياني، والصيحة، وقتل النفس الزكية، وانخسف بالبداء).[1]

وهذه العلائم متصلة بالظهور، وليست هناك فاصلة زمنية بينها وبين ظهور الإمام المهدي (عج)، وإن لم تحدد المدة أو الفترة، لكن مايفهم منها أن تلك العلائم ستتحقق في نفس سنة ظهور الإمام أو قبلها بسنة.

وبناء على ماورد في المصادر أنه مما الريب فيه أن من علائم الظهور علامات تحدث قبيل الظهور أو متصلة به، وفي مقابل هذه العلائم التي توصف بالمتصلة هناك علامات غير متصلة، وهي تحدث خلال الغيبة الكبرى.

الأثر التربوي للإيمان بالبداء

إذا كان البداء هو تمكين العبد من تغيير المصير بإتيانه الصادقة وأعماله الطاهرة، فهو يبعث الرجاء في نفس العبد ويكون نظير تشريع قبول التوبة والشفاعة وتكفير الصغائر بالاجتناب عن الكبائر، فتشريع الكل لأجل بعث الرجاء وإيقاده ونوره في قلوب المكلفين حتى لا يأسوا من روح الله، ولا ينكبوا عن الصراط المستقيم، بتصور أنهم بأعمالهم السابقة صاروا من الأشقياء وكتبت عليهم النار تقديراً حتمياً لا تبديل فيه.

فلو علم الإنسان أنه سبحانه لم يجف قلمه في لوح المحو والإثبات، وله أن يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء، يسعد من يشاء ويشقي من يشاء، لسعى في إسعاده وإخراجه من ديوان الأشقياء، وتسجيله في زمرة السعداء، إذ ليست مشيئة جزافية غير تابعة لضابطة خاصة، بل إذا تاب وعمل بالفرائض وتمسك بالعروة الوثقى يخرج من سلك الأشقياء ويدخل في صنف السعداء وبالعكس، وهكذا كل ما قدر في حقه من الأجل والمرض والفقر والشقاء، يمكن تغييره بالدعاء والصدقة وصلة الرحم وإكرام الوالدين وغير ذلك، فالكل لأجل بث الأمل في قلب

---

١. كمال الدين للصدوق، ج ١، ص ٦٥٠؛ غيبة الطوسي، ص ٤٦٧؛ غيبة النعماني، ص ١٨٩؛ بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٠٤؛ إعلام الورى، ص ٤٢٦؛ منتخب الأثر، ص ٤٢٩.

الإنسان، وعلى هذا فالاعتقاد بذلك من ضروريات الكتاب وصريح آيات وأخبار الأئمة الهداة.

وبهذا يظهر أن البداء من المعارف العليا التي اتفقت عليه كلمة المسلمين وإن غفل عن معناه الجمهور (ولو عرفوه لأذعنوا له)

وعلى ضوء هذا البيان يتمكن من فهم ما جاء في فضيلة البداء في الروايات عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، مثل ما روى زرارة عن أحدهما (الباقر أو الصادق عليهما السلام): «ما عبد الله عزوجل بشيء مثل البداء»[1]

ولقد أدرك قوم يونس إمكان تغيير التقدير بالتوبة والعمل الصالح، فلما نزل بهم العذاب مشوا إلى رجل من علمائهم، فقالوا: علمنا دعاء ندعو به لعل الله يكشف عنا العذاب، قال: قولوا: يا حي، حين لا حي، يا حي محيي الموتى، يا حي لا إله إلا أنت، قال: فكشف عنهم العذاب.»[2]

وتعتقد الإمامية أن الأشياء مشروطة بشروطها، وموقوفة على تمامية عللها، وإيجاد مقتضياتها، بشاركهم في ذلك كافة المسلمين، وإن اختلفوا معهم في اللفظ، إلا أنهم اتفقوا معهم في المعنى ولما كان البداء معناه تعليق أمر على آخر، وحصول المشروط عند تحقق شرطه، فإن أمورا تستحصل بإن مضاعفة الأرزاق وتأخير الأعمار عن آجالها مشروطة بالدعاء وصلة الأرحام، وعلى العكس فإن نقض ذلك مشروطة بتلقية ما أمر به أن يوصل وهو الرحم، وارتكاب ما نهى أن يرتكب وهو الظلم إلى غير ذلك.

قال الحجتي: (ثم انه يستحيل أن يكون المراد بالبداء في الحتوم، البداء في خصوصيات لا في أصل وقوعه، كخروج السفياني وذهاب بني العباس ونحو ذلك)[3]

وبالرغم من ذلك فلا يمكننا تحديد الحتوم الذي يقع البداء فيه؛ لما في ذلك تعلق بعلم المكنون وإرادته المنزهة عن أن تنالها معارفنا أو تدركها عقولنا.

أولاً: البداء وقيام الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام):

إن ظهور الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام) وقيامه من أكيد الأمور الحتوم به بل هو أكثر من ذلك، باعتبار قيامه (عليه السلام) وعد إلهي، قال تعالى في كتابه الكريم (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) النور/ ٥٥. فهذا وعد إلهي صريح للمؤمنين، الذين قاسوا الظلم والعذاب بأن يستخلفهم في الأرض، أي أن يوفقهم سبحانه وتعالى لبسط نفوذهم وسلطتهم وسيادتهم على العالم أجمع، وهذا لم يتحقق على مدى التاريخ، منذ العصر الغابر إلى عصرنا الحاضر.. إذن فهو ما سيتحقق في مستقبل الدهر يقيناً، طبقاً للوعد الإلهي القطعي غير القابل للتغيير أو التبديل أو التخلف أو المحو (أي غير قابل للتدخل البداء فيه).

إن ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) وقيامه، من الأمور حتمية الوقوع، ولا يتدخل الله سبحانه وتعالى للتغيير فيها، مع قدرته على ذلك، إذ أن ذلك يتنافى مع صفاته الربوبية و مع حكمته ورحمته... فمثلاً: الله قادر على فعل القبيح وعلى الظلم ولكن يستحيل صدورهما منه، قال تعالى (ولا يظلم ربك أحداً) الكهف/ ٤٩. لأن ذلك يتنافى مع عدل الله، مع كونه

---

١. البحراني: ٤/ ١٠٧، باب البداء، الحديث ١٩.

٢. تفسير ابن كثير ٤/ ٥٣٠.

٣. السفياني وعلامات الظهور محمدية، ص ١٠٢.

لا يفعل التصحيح وكذا قيام القائم المهدي (عليه السلام) من هذا القبيل باعتباره وعداً إلهياً والله سبحانه وتعالى لا يخلف الميعاد. وورد عن الحسين بن علي بن ابي طالب (عليه السلام) قال: (لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم، حتى يخرج رجل من ولدي، فيملأها عدلا وقسطا كما ملئت جوراً وظلما)[1]

ثانياً: علامات الظهور والامور المحتومة: إن علائم الظهور المحتومة هي خمس كما في الرواية عن عمر بن حنظلة قال: سمعت اباعبدالله (عليه السلام) يقول: (قبل قيام القائم خمس علامات محتومات: اليماني، والسفياني، والصيحة، وقتل النفس الزكية، والخسف بالبيداء)[2]

وكذلك الحديث المروي عن ابي عبدالله (عليه السلام): (قلت له السفياني من المحتوم؟ فقال: نعم، وقتل النفس الزكية من المحتوم، والقائم من المحتوم، وخسف البيداء من المحتوم، وكف تطلع من السماء من المحتوم، والنداء، قلت وأي شيء النداء؟ فقال: مناد ينادي باسم القائم واسم ابيه)[3]

وهذلك روايات عديدة وكثيرة تحدد هذه المحتومات الخمس حتى ان هذه النصوص بلغت حد التواتر.

إن العلائم المحتومة، هي الاخبار الملقى للناس من تحققها، وهي التي تحدث قلقاً ولما أشد الارتباط بالظهور، وتكون مقارنة لظهوره عليه السلام... ولا علاقة للبداء فيها، باعتبار أن البداء في المحتوم ينافي حتميته، لأن معنى البداء هي الشيء هو العدول عنه، فحتمي الوجود يصبح بواسطة البداء غير حتمي وكذلك العكس... وهذا رأي معظم أساطين العلماء كالسيد أبي القاسم الخوئي[4] والسيد جعفر مرتضى العاملي[5] والشيخ الطوسي حيث قال في غيبته: «... جميع ذلك، كالاخبار عن الحوادث في المستقبل، إلا أن يرد الخبر على وجه يعلم أن مخبره لا يتغير، فحينئذ يكون، ولاجل ذلك قرن الحتم بكثير من المخبرات، فاعلمنا أنه مما لا يتغير اصلا فعند ذلك نقطع به»...[6] وعليه نؤكد إن العلامات المحتومة لا يبدو منه فيها.

والذي علق عليه العلامة المجلسي في موسوعة البحار حيث قال: «لعل للمحتوم معان يمكن البداء في بعضها... ثم انه يحتمل أن يكون المراد بالبداء في المحتوم، البداء في خصوصية لا في أصل وقوعه كخروج السفياني قبل ذئاب بني العباس ونحو ذلك»[7]

وهناك أحاديث كثيرة تذكر هذه العلامات الخمس، وتؤكد على حتميتها، أي تحقق الخبر فيها، وذلك باكتمال شرائطه وفقد موانعه وتمامية عناصر علته.

إن المحتومات الخمس من أكيد العلامات، وأوثقها وأتم رواية... والقول بعدم تخلف البداء فيها هو الرأي الراجح... وبافتراض تدخل البداء فيها (الرأي الآخر) أي تغير إحدى هذه العلامات الحتمية الخمس، فمثلاً: محو صورة السفياني، مما سيؤدي الى محو صورة الخسف باعتبار الخسف بجيشه، كما سيؤدي محو السفياني الى محو الأصهب والأبقع وربما معركة قرقيسيا أو

---

١. الارشاد للمفيد ج٢، ص٣٤٠؛ اعلام الورى، ص٤٠٩؛ بحار الانوار ج٥١، ص١٣٣.

٢. اكمال الدين للصدوق ج٢، ص٦٥٠؛ غيبة الطوسي ص٤٦٧؛ غيبة النعماني ص٨٤؛ بحار الانوار ج٥٢، ص٢٠٤؛ اعلام الورى، ص٤٣٦؛ منتخب الاثر، ص٤٣٩.

٣. غيبة النعماني، ص١٧٢؛ منتخب الاثر، ص٤٥٥.

٤. هذا ما سار محمد تقي بحكمته، كما ذكر في كتابه السفياني ص١٠٢.

٥. وذكر رأيه في كتابه: دراسة في علامات الظهور، ص٤٠٣.

٦. غيبة الشيخ الطوسي، ص٢٦٥.

٧. بحار الانوار ج٥٢، ص٢٥١؛ غيبة النعماني، بحار الانوار ج٥٢، ص٢٤٩.

بعض منها، وكذلك فتنة الشام، وفتن العراق، وحتى جزء كبير من صورة اليماني والخراساني وغيرذلك، مما سيحوا غلب علامات الظهور... لذا نؤكد على أن المحتوم لايبدو الله فيه.

ثالثاً: توقيت ظهور القائم (عليه السلام)

دلت الروايات العديدة بالنص على التوقيت أو تعيين وقت محدد لظهور الإمام المهدي (عليه السلام) وتكذيب من وقت لظهوره (عليه السلام) ووقتاً معيناً، لأن ذلك سر من أسرار الله عن محمد بن مسلم قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام): (يامحمد من أخبرك عنا توقيتاً فلاتهابه أن تكذبه، فإنا لانوقت لأحد وقتاً[1]) عن الفضيل قال: سألت اباجعفر (عليه السلام) هل لهذا الأمر وقت؟ فقال: (كذب الوقاتون، كذب الوقاتون، كذب الوقاتون[2]) عن عبدالرحمن بن كثير قال: كنت عند أبي عبدالله (عليه السلام) إذ دخل عليه مهزم فقال له: جعلت فداك أخبرني عن هذا الأمر، الذي ننتظره متى هو؟ فقال: (يا مهزم كذب الوقاتون، وهلك المستعجلون، ونجا المسلمون، وإلينا يصيرون[3])

فمضمون أخبار كثيرة تدل عليان ظهور الإمام الحجة عليه السلام أمر مخفي، قد أخفاه الله تعالى عن الناس لحكمة... إن وقت الظهور، وإن كان محدداً في علم الله الأزلي، ولكنه بالنسبة إلى علله وشرائطه ينبغي أن لايفترض له وقت محدد.

إن توقيت الظهور باعتبار علاماته، وخصوصاً ماصرحت الأخبار بقرب حصولها من زمن الظهور وما تتضمن هذه العلامات من توقيت، مثل خروج السفياني في رجب، والصيحة في رمضان، والخسوف والكسوف في رمضان، وقتل النفس الزكية قبل خمسة عشر يوماً من الظهور، فإن هذا يوكد بان العلامات لو وقعت لدلت على قرب الظهور، وهذه قضية صادقة لا تشتمل على التوقيت المنهي عنه على الاطلاق، وإنما هو توقيت إجمالي، فإن عدم الاطلاع على زمان وقوع هذه العلامات، يلزم بطبيعة الحال الجهل بزمن ظهوره عليه السلام وعدم تحديد وقته.

إن الحكمة الإلهية شاءت أن يكون وقت ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) فجائياً من أجل إنجاح يوم الغدير المقدس، باعتبار أن تاريخ الظهور لو كان محدداً ومعروفاً، لكان من أشد العوامل على فشل الثورة العالمية وفناء الدولة العادلة، فإنه يكفي أن يحتمل الأعداء ظهوره في ذلك التاريخ، فيجتهدوا للقضاء عليه، في أول أمره وقبل نجاح ثورته واتساع حركته... بالإضافة إلى ذلك فإن المومنين المخلصين سوف يصابون بإحباط وخيبة أمل، عندما يعرفون وقت ظهوره عليه السلام ويكون بعيداً جداً عن عصرهم ما سيؤدي إلى الكسل والخمول وعدم توفر الدافعية للإخلاص أكثر وأكثر وتلاشي الطموح بان يصبحوا من أنصاره وأعوانه، وكذلك عدم الدعاء له بتعجيل الفرج. (اللهم عجل فرجه، وسهل مخرجه)

رابعاً: علامات الظهور والأمور الموقوفة

إن الأصل في علامات الظهور والأخبار الغيبية أو حوادث المستقبل إنها موقوفة، مالم توجد قرينة أو دليل يستدل به على الحتم، وقد ذهب جهابذة العلماء (كالمفيد والصدوق والطوسي) إلى أن الأصل في هذا النوع من الأخبار انه من الموقوف، مالم يستدل على خلاف ذلك بقرينة تدل على حتمه... كقوله عليه السلام (السفياني من المحتوم)... وعليه

---

١. غيبة النعماني، ص١٩٥؛ غيبة الطوسي، ص٢٦٢؛ بشارة الاسلام، ص٢٩٨؛ بحارالانوار، ج٥٢، ص١٠٤.

٢. غيبة الطوسي، ص٢٦٢؛ بحارالانوار، ج٥٢، ص١٠٤؛ منتخب الاثر، ص٤٦٣.

٣. غيبة النعماني، ص١٩٨؛ غيبة الطوسي، ص٢٦٢؛ بحارالانوار، ج٥٢، ص١٠٤؛ بشارة الاسلام، ص٢٩٩؛ منتخب الاثر، ص٤٦٣.

فإن كثيراً من علامات الظهور حتى ما صح سنده، هي من الأمور الموقوفة، أي معلقة على مشيئة من الله تعالى، أي من الجائز أن لا يقع بعض منها، وتكون قابلة للتغيير أو التبديل أو التقدم أو التأخر. إن هذه الأمور والآيات والعلامات الموقوفة لها ارتباط باللوح الآخر (اللوح المحو والإثبات). . . فإذا أخبر النبي (صلى الله عليه وآله) أو أحد المعصومين (عليهم السلام) بشيء، فلا بد أن يستند في أخباره إلى شيء يكون مصدراً لأخباره ومستنداً لاطلاعه. . . فإذا تحقق شيء مما أخبر عنه (عليه السلام) وهي كثيرة جداً فإن ذلك يكشف عن تحقق شرائطه، وفقد موانعه، واكتمال عناصر علته. . . أي أن الأحداث سارت على طبيعتها لتحقق ذلك الخبر.

أما إذا لم يقع الخبر أو الحدث (أي حصل فيه البداء) فإن ذلك يكشف عن فقد شرط، أو عروض مانع، أقتضى التأثير بعدم تحقق الخبر (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) الرعد/٣٩. جعل الوقف هو الأصل في الخبر إنما هي إحتمال دخيار وقوع البلاء أو تجميل الخيرات كالفرج وغير ذلك إلى الفرد (المسلم)، فجعلة السيء وعدم توسله وعدم تضرعه يقع المخبر عنه، ويجري الأمر إلى غاية، وبعله الحسن أو توبة وتوسلا إلى الله تعالى ينكشف منه ذلك ويتعجل الفرج. . . ولهذا روي أنه (ما عبد الله عز وجل بمثل البداء)

وخلاصة القول. . . أن البداء يتدخل في علامات الظهور الموقوفة، ويطرق إليها، أي تكون قابلة للتغيير والتبدل، ومن الجائز عدم وقوع بعضها.

العلامات المحتومة

وهي العلامات التي لا تستطيع قانون البداء، والبداء كما هو معروف عند الإمامية لغة (هو الظهور) فلا يستطيع أن نفسر لنا من أفعال الله تعالى ما كنا نظن خلافه سواء كنا نعلم أو لا نعلم شرطه، وتقول العرب بدا لي شخص في طريقي أي ظهر، وقال الله عز وجل: (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) الزمر/٤٧.

العلامات غير محتومة

وهي العلامات التي يقع فيها البداء والتي تكون قابلة للتغيير والتبديل. ولتوضيح معنى المحتوم وغير المحتوم وعلاقته بالبداء ونوصيه يجب تفصيل ذلك فيما يلي:

ينقسم الحتم والبداء إلى نوعين، هما: (الحتم الزماني والبداء الزماني) و (الحتم الذاتي والبداء الذاتي). (الحتم الزماني: معناه ان الشيء من المحتوم الذي لا يقع فيه البداء والتغيير والتبديل والمحو والإثبات في الزمان والذات.

اما البداء الزماني: فهو ان الشيء من المحتوم بالذات والذي يقع فيه البداء في الزمن دون الذات وهي (بداء التأجيل)

اما الحتم الذاتي: فهو ان الشيء لا يقع فيه البداء ذاتاً حيث لا يمكن محوه ولا يمكن ان يؤجل.

واما البداء الذاتي: فهو ان يقع البداء في الشيء بذاته وان يحو او ان يقع فيه المحو الذاتي.

الحتم والبداء

لشرح وتوضيح حالات الحتم والبداء بالأدلة نذكر هذه الرواية التي وردت عن ابي عبد الله (عليه السلام) عندما سئل: هل يبدو لله في المحتوم؟ قال: (نعم. قلنا له فنخاف ان

يبدو له في القائم فقال: ان القائم من الميعاد والله لايخلف الميعاد)

وشرح ذلك يكون فضمن السياق الاتي: حيث ان اليماني والسفياني لايقع فيهما البداء الذاتي ولكنه يمكن أن يكون فيه البداء الزماني تحقيقا لرواية الامام الصادق (عليه السلام)، فهنا يكون البداء في المحتوم زمانيا فقط وبذلك يمكن تغيير زمان حدوث قيام اليماني والسفياني بتاجيله مثلا لعام او اكثر حسب المصلحة في التخطيط الالهي لقضية الامام المهدي (عليه السلام) فبذلك نستطيع القول بامكانية حدوث البداء الزماني لا الذاتي ولكن لو تحققت علامتي اليماني والسفياني في القيام فهنا سيكون لزاما تحقق الصيحة في شهر رمضان وقتل النفس الزكية حيث تكون من ضمن الحتم الزماني والذاتي ولاوجود للبداء فيها بسبب تحقق اليماني والسفياني فلاجله يكون التكامل في خطة ظهور الامر المقدس للامام المهدي (عليه السلام) وقيامه في مكة.

اما المحتوم الموعود فهو الذي لايقع فيه البداء ذاتا وزمانا ومصداق وذلك لانه من الميعاد كما جاء في الرواية السابقة الذكر عن الامام الصادق (عليه السلام) (... قلنا له: فنخاف أن يبدو الله في القائم، فقال: ان القائم من الميعاد والله لايخلف الميعاد)

اما المحتوم غير الموعود فهو ايضا محتوم ولكنه ليس من الميعاد الذي وعد الله به فهو يتعرض إلى البداء الزماني كالسفياني او البداء في المصداق كندولة بني العباس، وقد ورد عن ابي حمزة الثمالي قال: قلت لابي جعفر (عليه السلام): (خروج السفياني من المحتوم؟... إلى أن قال- وطلوع الشمس من المحتوم واختلاف بني العباس في الدولة من المحتوم)

العلامات اللابدية الوقوع

إن بعض الروايات تؤكد لابدية الوقوع لبعض العلامات كالرواية السالفة الذكر حيث تذكر حكومة بني العباس وغيرها مع العلم انها غير محتومة.

بل اللابدية توجب الوجوب او الالزام، فهذا توجد علامات لابدية التحقق ارتباطها بقضية الامام المهدي (عليه السلام) ليس على نحو الشرط (الجزء) او الشرط في قضية الامام لكي تكون من المحتوم انما علاقتها بجوانب خارجية وبظروف خارجية.

عدد العلامات: هناك مجموعة من الأحداث الطبيعية وغير الطبيعية، وكذلك تطورات سياسية واجتماعية وردت في الكتب والأخبار، وتحدثت عن علامات الظهور إلا أنها لايعلم مدى صحتها والأخذ بها. ويبدو من كثرة الروايات الواردة في المقام أنه قبل ظهور الإمام المهدي (عج) تحدث أحداث لامحالة منها، فبعضها محتومة ولابد من وقوعها كما أن هناك أحداث ليست مهمة ولاينبغي الالتفات إليها، كما أن هناك روايات وتحت عناوين مختلفة تشير إلى بعض العلائم.

نوع العلامات: لظهور الامام الحجة (عج) علائم شتى لكن أغلب هذه العلائم ليست من العلائم المجزومة وقوعها عند الظهور، فضلاً عن صحة سندها ودلالتها والإشكالات ماقد يرد عليها.

العلامات الحتمية وغير الحتمية

من بين علامات الظهور علامات واضحة حيث أطلق عليها علائم الظهور الحتمية، والمقصود من هذه التسمية هي مقابل ما يطلق عليه علائم الظهور غير الحتمية، فالعلائم الحتمية تلك العلامات التي ستتحقق دون اي قيد وحدوثها ضرورية لابد منها حيث أن ظهور الإمام مقترن بوقوع تلك العلامات.

والجدير للذكر أن حتمية وقطعية حدوث هذه العلائم للدلل على أن عدم وقوعها ستحيلة، بل إذا توفرت الشروط والمقتضيات وعدم وجود مانع في تحققها ستكون مجزومة الحدوث بإذن الله تعالى.

يستفاد من الروايات المتعددة والصحيحة المتوفرة في المصادر، ستنتج منها علائم خمسة حتمية من علامات الظهور ذكرت في سياق البحث، وهي: خروج السفياني، وخروج اليماني، و الصيحة بين السماء والأرض وقتل نفس الزكية، والخسف بالبيداء

في مقابل هذه العلائم الحتمية هناك علائم غير حتمية، اي أنها علائم تحققها مشروطة بقيود وشروط بعبارة أخرى، أن الإمام يظهر ولكن ظهوره (عج) ليس منوطاً بها، فهذه العلائم قد تتحقق أو لا تتحقق.

من العلامات غير الحتمية عند ظهور الإمام المهدي (عج)

كثرة الموت الفجاة

الزلازل

كثرة الحروب والفوضى

الخسوف والكسوف غير مقت

كثرة الأمطار... الخ...

العلامات المتصلة بالظهور وغير متصلة بالظهور

استناداً على الروايات التي تحدث عن علائم الظهور يكشف أن هناك علائم متصلة بالظهور، وليست هناك فاصلة زمنية بينها وبين ظهور الإمام المهدي (عج)، وإن لم تحدد المدة أو الفترة لكن ما يفهم منها أن تلك العلائم ستتحقق في نفس سنة ظهور الإمام أو قبلها بسنة

وبناءً على ما ورد في المصادر أنه مما لا ريب فيه أن من علائم الظهور علامات تحدث قبيل الظهور أو متصلة به وفي مقابل هذه العلائم التي توصف بالمتصلة هناك علامات غير متصلة، وهي تحدث خلال الغيبة الكبرى.

العلائم غير العادية

إن حدوث علائم الظهور هو كحدوث بقية الظواهر الطبيعية تابعة لنظامها في الكون، لكن بعض الروايات تحدثت عن وقوع بعض هذه العلائم بصورة غير طبيعية حتى أن من يسمع بها يتصور أن وقوعها يتوقف على إعجاز خارق للعادة، فعلى نحو المثال: طلوع الشمس من المغرب أو الصيحة التي تسمع في السماء، فإن ما يفهم من ظاهرها أنها لا تتحقق إلا على الطريق الإعجاز، وحدوثها عن مجراها الطبيعي قضية غير معتادة، نعم، لعل بعض العلامات لها معنى كنائي وأنها غير صريحة في وقوعها على خلاف تقديرات المجرى الطبيعي.

الجدير بالذكر أن هناك أحاديث كثيرة وردت في كتب الحديث والروايات عن علائم الظهور، ولكن بما أن سند أغلب هذه الروايات ضعيف، فلا يعول عليها، ومن ناحية الدلالة هي غير منجزة أيضاً، منح قراءة علامات الظهور في خضم الأخبار السياسية والعسكرية المتسارعة التي تمر على العالم الإسلامي، يتساءل كثير من المؤمنين عن علاقة هذا الحدث أو ذاك الخبر بعلامات ظهور الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام)، فقد مل الناس من الظلم وضجروا من الجور فكثر تطلعهم للبحث عن المنقذ والمخلص وزاد اهتمامهم بالقضية المهدوية وصب تركيزهم للبحث عن إرهاصات اليوم الموعود لعلهم يجدون إشارة أو بصيص أمل لقرب الفرج... مما يتطلب من المؤمنين التحلي بمزيد من الوعي الثقافي والفكري ليساعدهم على فهم واستيعاب الروايات الشريفة الخاصة بالملاحم والفتن، بالإضافة للتأكيد على مجموعة من الثوابت التي يجب مراعاتها عند قراءة علامات الظهور وملامح الفرج، وهي كالتالي:

أولاً: معرفة العلامات وتقسيماتها: لابد من معرفة أن علامات الظهور تعني تلك الأخبار أو الحوادث التي ستقع في المستقبل وتكون مؤشرة على الظهور وقد أخبر بها الرسول (صلى الله عليه وآله) أو أهل بيته (عليه السلام)... إذاً نحن نتعامل مع روايات صادرة عن المعصومين (عليهم السلام)، فيجب أن يكون التعامل ذات صفة شرعية وعلمية وبتجرد عن الهوى والمزاجية والسطحية عند قراءتنا للروايات الملاحم والفتن يجب مراعاة التقسيمات التالية:

- لابد أن نفرق بين علامات قيام الساعة وبين علامات ظهور الإمام المهدي (عج) حتى لا يلتبس علينا الأمر وننصاب بسوء فهم عند قراءتنا أو اطلاعنا على الروايات الشريفة التي تتحدث عن أخبار المستقبل وآخر الزمان.

- لابد من معرفة علامات الظهور (المحتومة) والتي لابد وأن تقع والتي لا يتدخل البداء في كلياتها ولها الكثير من الارتباط بالظهور وتكون مقارنة له كما سبق وذكرنا ها...

ثانياً: إدراك الأبعاد التربوية للعلامات: ليس المطلوب من المعصومين (عليهم السلام) أن يذكروا كل خبر سيحدث في المستقبل ويشيروا إليه في رواياتهم الشريفة أو ربطه بالقضية المهدوية، بل نجدهم (عليه السلام) يختارون من الأحداث والأخبار المستقبلية ما فيه مصلحة من أذاعة والإفصاح عنه وهنا لابد من معرفة الأهداف التربوية والعقائدية من وراء ذكر هذه العلامة أو تلك، حيث أن معرفة العلامات تعتبر حالة تعبئة (تثقيفية) تحصن المؤمن من مخاطر المتاهات الفكرية، علماً بأن الهدف الأساسي من ذكر العلامات هو:

بعث الأمل وزرع التفاؤل في النفوس عبر مختلف القرون والأجيال

الإيعاز للمؤمنين إلى قرب الظهور للتنبيه إليه

خلق حالة إيجابية في روحية الانتظار والإستعداد النفسي للظهور

تحصين الأمة من الرايات الضالة والمنحرفة

من هذا نعرف أن علامات الظهور بشكل عام تجعل العلاقة بين الأمة وإمام زمانها (ع) علاقة واعية متقدة وذات ارتباط مستمر ومخزون روحي كبير تغذيه الروايات الشريفة الخاصة بالعلامات، ولذا صيغت الروايات بلغة كلية عمومية مقصودة، يمكن أن تنطبق على قرون محتملة.

ثامناً: المحافظة على سرية حركة الظهور: أن علامات الظهور هي أشبه برسائل خاصة من المعصومين (عليه السلام) الى شيعتهم ومحبيهم برأي ومسمع من الأعداء، لذا لا تقصر أن يضع الرسول (صلى الله عليه وآله) واهل بيته (عليه السلام) اسرار الظهور في متناول أجهزة الاستخبارات العالمية مما يؤدي الى فشل الحركة في بداية انطلاقتها، ولذا نفهم سبب صيانة اخبار وعلامات الظهور بصورة رمزية خاصة وبغموض مقصود بلغة كلية عامة مراعاة لحساسية هذه الأخبار لدى موسسات الكفر العالمي واستداداته، وهذا ما يؤكد اعتماد لغة التميز باعتباره جزء من مهمة المحافظة على السرية التامة وعدم ألحاق الضرر بحركة اليوم الموعود.

رابعاً: قراءة علامات الظهور بصورة شاملة: يطلب من المؤمنين والباحثين أن يقرأوا علامات الظهور كلها وبصورة دقيقة وشاملة، وليس كل علامة او خبر مستقل عن بقية العلامات والاحداث، فلابد من ربط العلامة الواحدة بجميع العلامات والاحداث الأخرى المرتبطة بها.

خاتمة القول: عند الحديث عن علامات الظهور لابد من التأكيد على ثوابت اساسية وجوهرية بان تكون واضحة للجميع ومن المسلمات: إن قراءة العلامات يجب أن لا تشغلنا عن معرفة الأبعاد الأخرى للقضية المهدوية مثل الجوانب العقائدية وشرائط الظهور وواجبات الأنتظار وتهيئة النفس، الابتعاد عن التوقيت المنهي عنه وعدم تصديق من يحدد سنة الظهور. إجتناب إسقاط الروايات الشريفة أو تطبيق شخصيات عصر الظهور على واقعنا الحالي او على اشخاص بعينها وعدم الجزم عند تحديد القرائن للعلامات. كذلك في هذا السياق التأكيد على أن يكون الحديث عن ملامح يوم الظهور مقدمة لتقوية وزيادة ارتباط المؤمنين العاطفي بإمام زمانهم (عليه السلام)، حيث أن من واجبنا في عصر الغيبة أن نعد أنفسنا لنكون من جنده لإحتمال ادراك زمن خروجه (ع)، نسأل الله أن يوفقنا لذلك، فكم نحن نتوافون لرؤية الإمام روحي فداه، وحريصون على الانضمام الى حركة الفتح التاريخية الفريدة.

من أشراط الساعة في "صحيح مسلم" (ت ٢٦١هـ) بين المعجم والدلالة

الدكتور عبدالقادر سلّامي[1]

ملخص

لمّا كانت الألفاظ الغريبة والتراكيب العجيبة تبلغ أكثر من غيرها على جلب المحجّ والدلائل، فتشّ اللّغويّون وأصحاب المعاجم في كلّ ما عُنِيَ بالغريب كغريب القرآن وغريب الحديث وغريب اللّغة. فحرّروا منها مادّ غوامضه وتركوا مادّ غواغه.

وتعدّ ألفاظ الحديث النبوي الشريف مصدرا مهمّا لمتن اللّغة العربية إذ أنّها ألفاظ صادرة عن أفصح العرب قديما وحديثا، وهو النّبي، صلى الله عليه وسلّم، وقد اضطلع عدد من الأجلاء بجمعها وشرحها في كتب "الأسانيد" بعد "صحيح الإمام مسلم" (ت٢٦١هـ) من أجلّها وأوثقها.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ هذا الكتاب حفل بدلائل أشراط السّاعة منها ما جاء في غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلاّم و"الفائق في غريب الحديث" و"النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) أنّ رسول الله، صلى الله عليه وسلّم، قال: (إذا رأيت مكّة بعجت كظائم، وساوى بناؤها رؤوس الجبال، فاعلم أنّ السّاعة قد أظلّت).

وتسعى الدراسة الموالية إلى رصد الأحاديث الدّالة على علامات السّاعة فيها ما اختلاف في اللّفظ وما اتفاق في المعنى من جهتي المعجم والدلالة.

---

١. قسم اللغة العربية وآدابها ـ كلية الآداب واللغات جامعة تلمسان الجزائر.

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على حبينا ونبينا محمد خير الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه وإخوانه إلى يوم الدين.

أما بعد.

فإن لقيام الساعة علامات وأشراط، علّمنا إياها حبينا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وحذّرنا منها وأعطانا صلى الله عليه وسلم كيفيات تجنّبنا الوقوع في فتنتها.

وبالنظر إلى أهمية هذا الحدث الجلل، ألّف فيه علماء كثر وجمعوا أشراطها وصنّفوها إلى أشراط صغرى ووسطى وكبرى، ومن أمثلة هذه الأعمال موسوعة أحاديث الفتن وأشراط الساعة للدكتور همام عبد الحميد سعيد والدكتور محمد همام عبد الرحيم، وكتاب نهاية العالم للداعية محمد العريفي، وأشراط الساعة وذهاب الأخيار وبقاء الأشرار لعبد الله الحسيني... وغيرها.

والجدير بالذكر، أن هذه الجهود الحديثة قد سبقها الكثير من الأعمال اللغوية التي وقفت على ألفاظ الساعة، فدرستها وضبطت دلالاتها، كما أشارت إلى حياة هذه الألفاظ وتاريخها، فكتب الغريب والمعاجم اللغوية على اختلافها والتي جعلت الأحاديث النبوية الشريفة ثانية أهم مصادر جمع المادة العربية، على رأسها جمعا البخاري ومسلم.

فما معنى أشراط الساعة؟ وإلى أي مدى تغيرت دلالات الألفاظ بين أصل ما وضعت له وبين سياق الحديث؟ وكيف صنفت أحاديث أشراط الساعة في صحيح مسلم؟

١. التعريف بالإمام مسلم

هو إمام أهل الحديث الحافظ، الصادق المجود، مسلم بن الحجاج بن مسلم بن وردبن كوشاذ كنيته أبو الحسين، القشيري نسبا، وبو قشير قبيلة عربية معروفة النيسابوري، ولد سنة ٢٠٦هـ وقيل ٢٠٤هـ الموافق لسنة ٨٢٢م، ونشأ في أسرة كريمة،

وتأدب وتعلم في بيت علم وفضل، فكان أبوه ممن يتصدرون حلقات العلم، ولذا اشتد اعتناؤه بتربية ولده وتعليمه؛ فنشأ الإمام شغوفا بالعلم ومحبا لجمع الحديث النبوي الشريف.[٢]

أكثر الإمام مسلم من التردد عليه والاستفادة من الإمام البخاري، وكان يعرف له فضله وعلمه، والعجب أنه لم يخرج له في صحيحه حديثا».[٣]

تتلمذ على يد الإمام مسلم عدد كبير من العلماء الأجلاء، منهم الإمام الترمذي، وعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي.

جاء في كتب التراجم أن الإمام مسلم قد ترك ـ عليه رحمة الله ـ: كتاب الانتفاع بأهب السباع. والطبقات المختصر. والأسماء والكنى والمسند الكبير على الرجال وصحيح

---

١. ينظر: مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، ١/٣١ [المقدمة]

٢. ينظر: مسلم صحيح مسلم: ١/٣١ [مقدمة المحقق] وبو يحيى الدين النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، ١/١٩، وصبحي صالح: علوم الحديث ومصطلحه، ص ٣٩٨، وشمس الدين محمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٢/٥٥٨.

٣. محي الدين النووي: صحيح مسلم بشرح النووي: ١/١٩، وينظر محمد محمد أبو زهو: الحديث والمحدثون، ص ٣٥٦.

٤. ينظر: محي الدين النووي: صحيح مسلم بشرح النووي: ١/١٩، وشمس الدين محمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء: ١٢/٥٧٩.

مسلم. وغيرها من المؤلفات.

وعن وفاة الإمام مسلم قيل إنه بعد عقده مجلسا لمذاكرة، أين وكر له حديث لم يعرفه، فانصرف إلى منزله، وأوقد السراج، وقال لمن في الدار لا يدخل أحد منكم هذا البيت، فقيل له: هديت لنا سلة فيها تمر، فقال قدموها، فقدموها إليه، فكان يطلب الحديث ويأخذ تمرة تمرة، فيمضغها، فاصبح وقد فني التمر ووجد الحديث،

وتوفي بعدها بعشية يوم الأحد، ودفن يوم الاثنين في رجب سنة ٢٦١هـ [١]

٢. التعريف بـ "صحيح مسلم"

هو من الكتب الجامعة لحديث النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم، وهو «حد أصول الإسلام ومصادر التشريع بعد كتاب الله - عزوجل.» [٢] ولا تطلق لفظة الصحيح «إلا على كتابي البخاري ومسلم». [٣]

فالنظر إلى أهمية الكتاب، اشتدت عناية العلماء به من شارح ومختصر ومترجم لأبوابه وشراح لمقدمته، إلى غير ذلك من الدراسات، نحو: [٤] التحرير في شرح صحيح مسلم للأصفهاني. والمعلم بفوائد صحيح مسلم للمازري. وغير ذلك كثير ومختلف باختلاف الأوجه المتناولة في دراسة صحيح مسلم، كيف لا وهو؟؟ «أحد أصول الإسلام ومصادر التشريع» [٥]

_ ترتيب الأحاديث الشريفة:

رتب الإمام مسلم الأحاديث النبوية الشريفة بطريقة خاصة، ليكون التعامل مع أحاديث نبينا صلى الله عليه وسلم أكثر سهولة وليونة، فجمع الإمام مسلم «الأحاديث المتناسبة في مكان واحد» [٦] بمختلف الروايات والألفاظ، وصنفها على ما أسماه كتابا، والكتاب: بجمع الأحاديث ذات الموضوع الواحد مضمنة بدورها إلى أبواب. مع العلم، أن ترتيب الأحاديث ضمن الباب الواحد لم يكن عشوائيا وإنما حسب الرواة وهم ثلاث:

الأول: ما رواه الحفاظ المتقنون.

الثاني: ما رواه المتوسطون في الحفظ والإتقان.

الثالث: ما رواه الضعفاء.

---

١. شمس الدين أبو القاسم الزمخشري محمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٢/ ٥٨٠ ومسلم بن الحجاج: المنفردات والوحدان، ص. ١٥، ومسلم بن الحجاج: الكنى والأسماء، ص ١٦ ومجد الدين ابن الأثير الجزري: جامع الأصول في أحاديث الرسول ١/ ١٨٧ ومسلم بن الحجاج: صحيح مسلم: ١/ ٤٥ [مقدمة المحقق].

٢. محي الدين النووي النووي: صحيح مسلم بشرح النووي: ١/ ١٩ وشمس الدين محمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء [مقدمة المحقق] ص ٥.

٣. صبحي صالح: علوم الحديث ومصطلحه، ص ١١٨.

٤. محي الدين النووي النووي: صحيح مسلم بشرح النووي ١/ ٥ [مقدمة المحقق].

٥. شادي محمد جميل عياش: دلالة سياق اسم الفاعل في الحديث النبوي الشريف صحيح مسلم أنموذجا، ص ١٣.

٦. محمد محمد أبو زهو: الحديث والمحدثون، ص ٢٨٢.

٣. تعريف أشراط السّاعة

الشرط لغة:

الشَّرط في معاجمنا «بالتحريك: العلامة... والشَّرط: رذال الماء... يقال: الغنم أشراط المال، والأشراط أيضا: الأشراف... وأشرط ابله وغنمه إذا أعدّ منها شيئاً للبيع، وأشرط فلان نفسه لأمر كذا، أي: أعلمها له وأعدّها».[١]

والشَّرط عند ابن منظور: «العلامة... والاشتراط: العلامة التي يجعلها الناس بينهم، وأشرط طائفة من إبله وغنمه: عزلها وأعلم أنها للبيع... ومنه سمّي الشرط لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها».[٢] و«اشترط القوم كذا: جعلوا بينهم علامة... والشرط: العلامة».[٣]

ويصيف الإمام الزمخشري: «قيل للأوائل كل شيء يقع: أشراطه، ومنه أشراط الساعة».[٤] وهي من «الأضداد: يقع على الأشراف والأذال».[٥]

وخلاصة القول، إن أشراط السّاعة جمع شرط بفتح الرّاء: هي العلامة التي كانت توضع على الغنم وغيرها لتمييزها عما سواها، ثم تطلق على أفراد الشرطة على سبيل المشابهة، لأنهم علموا بعلامات خاصة حتى يعرفوا، كما أن الشرط هو ما يسبق الحدث من علامات.

الشرط اصطلاحاً:

انتقلت دلالة الشرط من المعنى اللّغوي إلى معنى إسلامي جديد، يطلق على «العلامات التي يكون بعدها قيام السّاعة».[٦] فأشراط الساعة: «العلامات، واحدها شرط، بالتحريك... : ما يكون من الناس من صغار أمورها قبل أن تقوم السّاعة».[٧] والتّصديق بأشراط السّاعة يقوّي الإيمان، لاسيما وأنّ في الكثير منه علامات تنبأ بها النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلّم قبل ما يربو على أربعة عشر قرناً.

٤. الساعة بين اللغة و الشرع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: «لا تقوم السّاعة حتى تطلع الشمس مغربها.»[٨] وقال صلى الله عليه وسلّم: «بعثت أنا والسّاعة كهاتين».[٩] والسّاعة عند الفيروز آبادي

---

١. أبو نصر إسماعيل الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية، ص٥٩٢.

٢. جمال الدين ابن منظور: لسان العرب ٤/ ٧٤٦ [شرط]، ومجد الدين الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص ٨٦٧-٨٦٨ [شرط].

٣. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ص٤٧٩ [شرط].

٤. جار الله الزمخشري: أساس البلاغة ١/ ٥٠٢ [شرط].

٥. مجد الدين ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر ص ٤٧٤ [شرط].

٦. محمد بن عبد الرحمن العريفي: نهاية العالم، ص١٩.

٧. مجد الدين ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر ص ٤٧٤ [شرط].

٨. محي الدين النّووي: صحيح مسلم بشرح النووي، ٢/ ١٩٣.

٩. المرجع نفسه، ١٨/ ٨٥.

هي: «الوقت الحاضر.. والقيامة أو الوقت الذي تقوم فيه القيامة، والهالكون».[١]

وأصل اللفظة [موع] وجمع ساعة: «الساع والساعات.. والساعة: القيامة... وساعة سوعاء: أي شديدة».[٢] «الساعة جزء من أجزاء الوقت والحين وإن قل، وجزء من أربع وعشرين جزء من الليل والنهار، وآلة يعرف بها الوقت بالساعات والدقائق والثواني، والساعة الشمسية، صورة أو رسم على هيئة معينة يعرف بها الوقت بواسطة الشمس... والتواع من الليل: الهدء.»[٣]

والساعة في الأصل «تطلق بمعنيين أحدهما أن تكون عبارة عن جزء من أربعة وعشرين جزءا هي مجموع اليوم والليلة... ثم استعير لاسم يوم القيامة... بيد أنها ساعة خفية يحدث فيها أمر عظيم وهائل، الوقت الذي تقوم فيه ساعة.»[٤]

وعليه، انتقلت دلالة الساعة من معناها العام: وهو الوقت من الليل أو النهار، لتدل على ما هو خاص بالقيامة والحشر، وسبب تسميتها بالساعة هي كونها: «تفاجئ الناس في ساعة، فيموت الخلق كلهم بصيحة واحدة.»[٥]

٥. أشراط السّاعة في صحيح مسلم

جمع الإمام مسلم الأحاديث النبوية الشريفة الصحيحة، وصنفها حسب موضوعاتها في كتب، ليسهل التعامل معها والاطلاع عليها، فجعل الأحاديث المتعلقة بموضوع واحد، في كتاب واحد، وقسمت الكتب إلى أبواب، «فهو مبوب في الحقيقة، ولكنه لم يذكر تراجم الباب فيه.»[٦]

ومن ضمن هذه الكتب نجد [كتاب الفتن وأشراط الساعة]، وقد قسم إلى أبواب كثيرة، تتناول علامات الساعة وفتن آخر الزمن، غير أننا قد نجد أحاديث نبوية شريفة أخبرتنا عن هذا الموضوع الجلل، ومضمنة في طيات كتب أخرى من الصحيح.

ومن نماذج ألفاظ أشراط الساعة وتراكيبها ما يلي

أولاً: النموذج الأوّل: نزول الفتن

عن أسامة أن النبي صلى الله عليه وسلم: أشرف على أطم* من آطام المدينة، ثم قال: «هل ترون ما أرى؟ إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر.»[٧]

---

١. محمد العريني: نهاية العالم، ص١٩.

٢. المرجع نفسه: ١٩

٣. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ص ٤٦٣ [موع].

٤. مجد الدين ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤٥٤ [موع].

٥. محمد العريني: نهاية العالم، ص١٩.

٦. محي الدين النووي: صحيح مسلم بشرح النووي ١/ ٤٦.

٧. محي الدين النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، ١٨/ ١٠ [كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب نزول الفتن كمواقع القطر] * الأطم: هو القصر والحصن للأل المدينة بحجر: أبو نصر إسماعيل الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية: ٤٤

وقال الرسول صلّى الله عليه وسلّم: «ستكون فتن، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه، ومن وجد فيها ملجأ فليعذ به»[1]

الشاهد هنا ـ الفتن، وهو جمع فتنة، «والفتن: الفضل والمال، ومنه البيت فتنان: أي لونان، حلو ومرّ، والإحراق... والفتنة بالكسر: الحجارة... وإعجابك بالشيء، وفتن يفتن فتنا وفتونا، وافتتن، والضلال، والإثم والكفر، والنميمة والعذاب، وإذابة الذهب والفضة، والإضلال، والجنون، والمحنة، والمال والأولاد، واختلاف الناس في الآراء.»[2]

فأعظم بها من لغة تحمل فيها اللفظة هذا العدد الجميل من المعاني والدلالات المتنوعة فبالإضافة إلى ما سبق، إن للفتنة تعاريف أخرى: «الفتنة: الامتحان والاختبار، تقول: فتنت الذهب إذا أدخلته النار لتنظر جودته.. وفتنت المرأة إذا ولدت.. والفاتن: المضل عن الحق»[3]

وأما الشيطان: «بالفتح هو الشيطان، لأنه يفتن الناس عن الدين... وقد كثرت استعاذة من فتنة القبر وفتنة الدجال وفتنة المحيا والممات... فتنهم بالنار أي: امتحنهم وعذبهم... ثم كثر حيث استعمل بمعنى: الإثم والكفر والقتال والإحراق والإزالة والصرف عن الشيء.»[4]

وخلال هذه التعريفات، توصلنا إلى أن الفتن وكثرتها من أشراط الساعة التي حذر نا منها النبي صلّى الله عليه وسلّم، ولهذا انتقلت دلالة الفتن من المعنى الخاص: وهو إحراق الذهب او الفضة، لتبيان مدى جودتها، لتدل على معنى جديد، امتحان الناس واختبارهم في دينهم وإغرائهم بشتى طرق التضليل والعذاب والأولاد والقتل، والآثام والمال وغيرها مما يصرفهم عن الدين، فيتبين المؤمن التقي من غيره.

ومن أنواع الفتن التي تدل على قرب القيامة، وهو ساعة الحشر والنشور، نجد: «فتنة المنكر الحرام والمال الحرام، ونقص العلم وخيانة الأمانة والفواحش وغيرها.»[5]

ثانياً: النموذج الثاني: الآيات العشر تكون قبل الساعة

عن حذيفة بن أسيد الغفاري ـ رضي الله عنه ـ قال اطلع النبي صلّى الله عليه وسلّم علينا ونحن نتذاكر، فقال: «ما تذاكرون؟ قالوا: نذكر الساعة قال: "إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات." فذكر: الدخان، والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم (عليهما السلام)، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف، خسف

[الأم].

١. محي الدين النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، ١٨/١٠ [كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب نزول الفتن كموقع القطر].

٢. مجد الدين الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ١٥٦٧ [فتن].

٣. أبو نصر إسماعيل الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية، ص ٨٧١ [فتن].

٤. ابن الأثير الجزري: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٦٩١ [فتن].

٥. يُنظر: محمد العريفي، نهاية العالم: ٣٢.

بالمشرق، وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم.»[١]

يضم هذا الحديث الشريف عشر علامات من علامات الساعة، ولعلها العلامات الكبرى، وبما أن فتنة المسيح الدجال هي أعظم فتنة على ظهر الأرض على الإطلاق.[٢] ولكونها مستمرة لإعادة بعث سيدنا المسيح عيسى (عليه السلام)، فإن من الواجب الوقوف على الألفاظ المفتاحية فيه.

أ) لفظة المسيح

المسيح من «مسح يمسح، وتمسح بالأرض، ومسح الأرض: أي ذرعها... والمسحاء: الأرض المستوية ذات حصى صغار لا نبات فيها... والماسحة: الماشطة... والمسيح: القطعة من الفضة والدرهم الأطلس: مسيح. والمسيح: عيسى عليه السلام، والمسيح: الكذاب الدجال، والمسيح: العرق.»[٣]

ويؤكد ابن الأثير أن: «قد تكرر فيه ذكر المسيح (عليه السلام) وذكر المسيح الدجال، أما عيسى عليه السلام، فسمي به لأنه كان لا يمسح بيده ذا عاهة إلا برىء، وقيل لأنه كان أمسح الرجل لا أخمص له، وقيل لأنه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن، وقيل: لأنه كان يمسح الأرض: أي يقطعها، وقيل: المسيح: الصديق، وقيل هو بالعبرانية مشيحا فعرب، وأما الدجال فسمي به، لأن عينه الواحدة ممسوحة... وقيل لأنه يمسح الأرض أي يقطعها.»[٤]

والمسيح من المشترك اللفظي بين النبي عيسى عليه الصلاة والسلام وبين المسيح الدجال، فأما سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام فسمي بذلك لأنه كان يمسح على المريض فيبرأ بإذن الله، وقيل غير ذلك، وأما المسيح الدجال فسمي بذلك لأنه كان يمسح الأرض أو لأن عينه ممسوحة.

وعليه، فإن دلالة المسيح مشتقة من «مسح، مسحه بالماء والدهن، ومسح رأسه: أمره يده عليه، ومسح يده على رأس اليتيم، ورجل أمسح الرجل: لا أخمص له، وامرأة مسحاء... فلان إذا ذكر نزول المسيح، شبح جسمه بالمسيح: بالعرق... ومن المجاز...: فلان مسحج به أي يتبرك، ورجل ممسوح الوجه: لا عين ولا حاجب.»[٥]

إذن، تلتقي الدلالات المعجمية مع الاصطلاحية، ويتأكد أن أصل تسمية المسيح عيسى عليه السلام وهو المسح على المريض، فيشفى بإذن الله، أو أنه ولد ممسوحا بدهن أو مسحه الأرض إذا قطعها.

وأما المسيح الدجال عليه لعنة الله، فسبب التسمية هو أيضا المسح، إذ كانت عينه ممسوحة، وقيل لأنه كان يمسح الأرض: أي يقطعها، وقال صلى الله عليه وسلم في وصفه: «الدجال أعور العين اليسرى جفال الشعر معه جنة ونار فناره جنة وجنته نار».[٦] والجفال هو: «الكثير الشعر المجتمعه»[٧]

---

١. محي الدين النووي: صحيح مسلم بشرح النووي: ٢٨/١٨.

٢. ينظر: محمد العريفي: نهاية العالم: ٢٢٦.

٣. أبو نصر إسماعيل الجوهري: الصحاح ص١٠٧٩ [مسح].

٤. مجد الدين ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر ص٨٦٩ [مسح].

٥. جار الله الزمخشري: أساس البلاغة ٢/٢١٢ [مسح].

٦. محي الدين: صحيح مسلم بشرح النووي: ٥٨/١٨ [كتاب الفتن وأشراط الساعة باب ذكر الدجال].

٧. همام عبد الرحيم سعيد ومحمد همام عبد الرحيم: موسوعة أحاديث الفتن وأشراط الساعة ص٧٢٢.

ب) لفظة الدخان

من أشراط الساعة أيضا الدخان، والمقصود بها حسب الإمام النووي هو: «دخان يأخذ الكفار، ويأخذ المؤمن منه كهيئة الزكام.»[1] فهل هذا هو المعنى الحقيقي والوحيد للفظة؟

يقول الله تعالى في كتابه العزيز: **فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين**،[2] وفيه اختلاف: إذ ذهب البعض إلى أن هذا الدخان: «هو ما أصاب قريشا من الشدة والجوع عندما دعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم، حين لم يستجيبوا له، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا مثل الدخان.»[3]

وأكد آخرون أن الدخان من: «الآيات المنتظرة التي لم تلت بعد، وسيقع قرب يوم القيامة.»[4]

وأصل الدخان في المعاجم: «دخت النار - دخنا، ودخت - ودخال: دخت القتة: نفرت وثارت.. والدخان ما يتصاعد عن النار من دقائق الوقود غير المحترقة.»[5]

وعليه، فإن الدخان من علامات الساعة وأشراطها، وقد ورد اللفظ أن معناها لم يختلف بين المعجم والسياق، وإنما اختلف وصفها وموعد ظهورها، بل وصدورها أصلا أو عدمه.

ج) لفظة الدابة أو الجساسة

من علامات الساعة أيضا خروج الدابة، وقيل: «دابة طولها ستون ذراعا، ذات قوائم ووبر، وقيل: هي مخلوقة الخلقة تنتظر عدة من الحيوانات يخدع جبل الصفا، فتخرج منه ليلة جمعة، والناس سائرون يخدع جبل الصفا، فتخرج منه ليلة جمعة، والناس سائرون إلى منى.»[6]

وأصل الكلمة: «دب على الأرض يدب دبيبا، وكل ماش على الأرض دابة ودبيب، والدابة التي تركب.»[7] ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في باب جواز صلاة النافلة على الدابة في السفر في كتاب صلاة المسافرين، عن ابن عمر: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بحمته حيثما صلى الله عليه وسلم توجهت به ناقته.»[8]

وفي رواية «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على حماره»[9] وفي الحديث: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسبح على الراحلة في أي وجه توجه، ويوتر عليها، غير أنه لا

---

١. محي الدين: صحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٤٠ [كتاب الفتن وأشراط الساعة- باب الآيات التي تكون قبل الساعة].

٢. الدخان: ١٠.

٣. محمد اليمني: نهاية العالم، ص ٣٤٦. وينظر: أبو القاسم الزمخشري: تفسير الكشاف، ص ٩٩٩.

٤. المرجع نفسه، ص ٣٤٧ وينظر المرجع نفسه، ص ١٠٠٠.

٥. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ص ٢٧٧ [دب].

٦. مجد الدين ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ص ٢٩٥ [دب].

٧. الجوهري: الصحاح: ٢٥٧ [دب].

٨. محي الدين: صحيح مسلم بشرح النووي، ٥/ ٢١١ [كتاب صلاة المسافرين باب جواز صلاة النافلة على الدابة في السفر].

٩. المرجع نفسه ٥/ ٢١٢ [كتاب صلاة المسافرين باب جواز صلاة النافلة على الدابة في السفر].

يصلّى عليها الكتيبة.»[١]

تكون الدابّة المقصودة في هذا الحديث الشريف: الناقة أو الحمار أو الراحلة بصفة عامّة.

وأمّا دابّة الأرض التي تسبق يوم الحشر فهي الجسّاسة والتي ذكرت حكايتها في حديث نبوي طويل جاء فيه: «فدخلوا الجزيرة، فلقيتهم دابّة أهلب كثير الشعر، لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقالوا: ويلكم ما أنت؟ فقالت: أنا الجسّاسة. قالوا: وما الجسّاسة؟ قالت: أيها القوم، انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق، فأقبلنا إليك سراعا، وفزعنا منها، ولم نأمن أن تكون شيطانة.»[٢]

والجسّاسة هي: «الدابّة التي رآها في جزيرة البحر، وإنما سميت بذلك لأنها تجسّ الأخبار للدجال.»[٣] وهي «الدابّة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق... قيل إنها دابّة طولها ستون ذراعا، ذات قوائم ووبر، وهي مجتمعة الخلقة.»[٤]

د) لفظة الخسوف

أخبرنا الحديث الشريف عن الخسوف الثلاث: الأول بالمشرق والثاني بالمغرب والثالث بالجزيرة العربية، فما هو الخسوف؟

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «خسفت الشمس في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلّم يصلي فأطال القيام الأول، ثم ركع فأطال الركوع جدا.»[٥]

فالخسوف المقصود هاهنا هو: «خسف القمر: أي ذهب ضوؤه، ولا يقال كما يقولون إذا خسف في الدنيا... وقد ورد الخسوف في الحديث الشريف للشمس، والمعروف لها في اللغة الكسوف.»[٦]

والخسف: «التقصان والهوان، وأصله أن تحبس الدابّة على خير علف، ثم يا ستعير فيوضع موضع الهوان... خسف البئر: إذا حفرها في حجارة فغيّث جاءه كثير»[٧]

وخسف المكان يخسف خسوفا: «ذهب في الأرض، وخسف الله به الأرض خسفا، أي غاب به فيها...»[٨] وأمّا خسوف الأرض وهو المقصود في الحديث الشريف عن

---

١. الحج نفسه، ٥/ ٢١٣ [كتاب صلاة المسافرين، باب جواز صلاة النافلة على الدابة في السفر].

٢. الحج نفسه، ١٨/ ٧٦ [كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة].

٣. مجد الدين ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ص ١٥٣ [جسس].

٤. محمود محمد الطناحي: من أسرار اللغة العربية في الكتاب والسنة، ص ٦٠٠ [جسس].

٥. النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، ٦/ ٢١٠ [كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف].

٦. محمود محمد الطناحي: من أسرار اللغة العربية في الكتاب والسنة: ١/ ٥٠٤ [خسف].

٧. مجد الدين ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ص ٢٦٣ [خسف].

٨. الجوهري (الصحاح)، ٣١٩ [خسف].

أشراط الساعة، وهو «غوْر الأرض.»[1] ومعناه انشقاق الأرض بشكل معاجن وخلال ثوان، تبتلع الأرض فيها كل ما كان عليها.

ه) لفظة السنة

من علامات الساعة وأشراطها، قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليست السنة بأن لا تمطروا، ولكن السنة أن تمطروا وتمطروا، ولا تنبت الأرض شيئاً.»[2]

والمراد «بالسنة: القحط.»[3] مع أن السنة المعروفة عند عامة الناس هي العام والحول، ولكنها اكتسبت للدلالة على سنة القحط، وتقول العرب: «سنة بسناء أي: لا نبات بها ولا مطر... السنة: الجدب، يقال: أخذتهم السنة: إذا أجدبوا وأقحلوا.»[4]

ولعل السنة التي قصدها النبي صلى الله عليه وسلم ونبه إلى كونها إحدى أشراط الساعة: هي سنة يكثر فيها المطر ولكن نفعها محدود، يمنع الزرع.

و) لفظة الهرج

من أشراط الساعة قوله صلى الله عليه وسلم: «العبادة في الهرج كهجرة إليّ»[5] والمراد بالهرج هنا: «الفتنة واختلاط أمور الناس.»[6] والهرج: «القتل واختلاط، وقد هرج الناس يهرجون هرجاً: إذا اختلطوا، وقد تكرر في الحديث وأصل الهرج: الكثرة من الشيء أو الاتساع... والهرج: كثرة النكاح.»[7]

وفي القاموس المحيط: «هرج الناس يهرجون: وقعوا في فتنة واختلاط وقتل... وهرج في الحديث: أفاض، فأكثر أو خلط فيه.»[8] وهو لا يختلف عن المعنى الشرعي، وعما قصده حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم من كثرة القتل آخر الزمان لا يدري لم قتله؟ ولا المقتول فيم قتله؟[9] وفعلا قد عم الهرج أرجاء العالم، فكثرت الحروب واختلطت الأمور، وترى القاتل والمقتول وهما يتشهدان ويهللان ويكبران. فلا نعلم سبب القتل، نسأل الله العافية في الدين والدنيا والآخرة.

وعليه قد حافظت اللفظة على دلالتها الأصلية ولم تنتقل إلى دلالة أخرى في سياق الحديث النبوي الشريف.

ثالثاً: النموذج الثالث: حديث أن تلد الأمة ربتها

ومن الأحاديث الشريفة التي تناولت أشراط الساعة، ولم ترد ضمن كتاب الفتن وأشراط الساعة قوله صلى الله عليه وسلم في جوابه عن الساعة: «قال: ما المسؤول عنها بأعلم

---

١. محمود محمد الطناحي: من أسرار اللغة العربية في الكتاب والسنة، ص ٥٠٤ [خسف].

٢. النووي صحيح مسلم بشرح النووي: ١٨ / ٤١ [كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب بكل الدنيا وعمارتها قبل الساعة].

٣. المرجع نفسه، ١٨/ ٨٤ [كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب فضل العبادة في الهرج].

٤. مجد الدين ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ص ٤٥٠ [سنا].

٥. محي الدين: صحيح مسلم بشرح النووي، ١٨ / ٤١ [كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب بكل الدنيا وعمارتها قبل الساعة].

٦. المرجع نفسه، ١٨/ ٨٤.

٧. مجد الدين ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ص ١٠٠٥ [هرج].

٨. الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص ٢٧٤ [هرج].

٩. يُنظر: محمد المرعشي: نهاية العالم، ص ٤٣.

من السائل، قال فأخبرني عن أمارتها، قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان.»[١]

سبق وأن ذكرنا كيف تصحيح الشق من أشراط الساعة، ولعل أهم مظاهر الفساد، وأعظم دليل على انقلاب الموازين هي عقوق الوالدين الفاحش، والذي عبّر عنه أفصح العرب: أن تلد الأمة ربتها، فما معنى الأمة؟ والمقصود بربتها؟

أ ـ لفظة الأمة

الأمة في الصحاح: «الطريق والدين... والأمة: الحين... والإمة: النعمة.»[٢] وفي المعجم الوسيط: «أمت المرأة: أمومة: صارت آمة... أمّم: ... قصده... وتأمم به: اقتدى... والإمامة: رياسة المسلمين... الأمة: أصل الشيء: يتبعطايه.»[٣]

والإمّة: «النعمة والهيئة والشأن وغضارة العيش، والحالة... والطريقة والإمامة.»[٤] وأما الأمة: فمجموعة من [آمو]: «الأمة: المملوكة... وتأمى أمة: اتخذها... وأمحت: صارت أمة.»[٥] والأمي الذي لا يكتب، وأصل ولادة أمهم لم يتعلموا الكتابة والحساب، فهم على جبلتهم الأولى.»[٦]

إذن، الأمة لم تغير معناها وحافظت على دلالاتها بين المعجم والسياق.

ب ـ الرب

يقول الفيروزآبادي إن: «باللام: لا يطلق لغير الله عزوجل... ورب كل شيء: مالكه ومستحقه أو صاحبه.»[٧] ولزيادة التوضيح، يقول ابن الأثير: «الرب: يطلق في اللغة على المالك، والسيد والمدبّر والمربي والقيم، والمنعم، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى، وإذا أطلق على غيره أضيف، فيقال: رب كذا.»[٨]

وأما الزبيدي فمعناها: «المسألة المعرف بالله تعالى.»[٩] ويقال له أيضا الربي، ويقال: رب بين بالربابة... وفلان مربوب وعباد: مربوبون.»[١٠]

والواضح مما سبق أن ربتها ـ هنا ـ قريبة من دلالاتها الكلية ويعزز هذا القول: لفظة الأمة.

لذلك، إن المعنى الإجمالي والشرعي لعبارة "أن تلد الأمة ربتها" هو: ما رأيناه في «زماننا هذا من تحولات اجتماعية تأثيرا الغزو لبلاد المسلمين، الذي فرق بين البنت وأمها،

---

١. محي الدين النووي: صحيح مسلم بشرح: ١/١٨١ [كتاب الإيمان ـ باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان].

٢. أبو نصر إسماعيل الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية، ص ٥٥ [أمم].

٣. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ص ٢٧ [أمم].

٤. مجد الدين الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ١٣٨٢ [أمو].

٥. المرجع نفسه، ص ١٣٨٢ [أمو].

٦. مجد الدين ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢٧ [أمم].

٧. المرجع نفسه، ص ١١٥ [رب].

٨. مجد الدين ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ص ٣٣٨ [رب].

٩. أبو نصر إسماعيل الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية، ص ٤١٧ [رب].

١٠. ينظر: جار الله الزمخشري: أساس البلاغة، ١/٤٢٨ [رب].

وبين الولد وأبيه، في المظهر والمخبر والسلوك والدرجة، فحصل التباين بين الجيلين، حتى انقطع التواصل بينهما أو كاد.»[1]

رابعاً: النموذج الرابع: الريح التي تقبض أرواح المؤمنين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يبعث ريحاً من اليمن، ألين من الحرير فلا تدع أحداً في قلبه مثقال حبة [أو مثقال ذرة] من إيمان إلا قبضته.»[2]

وقال صلى الله عليه وسلم: «ثم يبعث الله ريحاً كريح المسك، مهما بس الحرير، فلا تترك نفساً في قلبه مثقال حبة من الإيمان إلا قبضته، ثم يبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة.»[3]

الشاهد في الحديث الشريف هو: الريح والروح، فلما الريح فقد وصفها الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف، ورد في لسان العرب: «الريح: نسيم الهواء، وكذلك نسيم كل شيء... الروح: بردٌ ونسيم الريح... الروح أيضاً: السرور والفرح... والروح في كلام العرب: النفخ: سمي روحاً لأنه ريح يخرج من الروح.»[4] و«الروح: الرحمة... والروح: النفس... وتأويل الروح، أنه به حياة النفس... والروح هو الذي يعيش به الإنسان... الروح: إنما هو النفس الذي يتقلد الإنسان... وهو جار في جميع الجسد، فإذا خرج لم يتنفس بعد خروجه... الروح: القرآن، والروح: الأمر، والروح: النفس... الروح: خلق كالإنسان... والروح: جبريل عليه السلام... والروح: عيسى عليه السلام.»[5]

ويكاد يكون التعريف السابق شاملاً وجامعاً دليل على تغيير معنى "الروح" ودلالاتها، والملاحظ أنها كلمة ذات أصول قديمة في اللغة العربية، حيث عرف العرب اللفظة بمعنى الريح يخرج من روح الإنسان ليستقل بدخول الإسلام للدلالة على سيدنا جبريل عليه السلام وسيدنا عيسى عليه السلام، وكذلك القرآن والرحمة.

عن عبد الله قال: بينما أنا أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث وهو متكئ على عسيب إذ مر بنفر من اليهود. فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح. فقالوا: ما رابكم إليه؟ لا يستقبلكم بشيء تكرهونه. فقالوا: سلوه. فقام إليه بعضهم فسأله عن الروح؟ قال فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم. فلم يرد عليه شيئاً. فعلمت أنه يوحى إليه. قال: فقمت مكاني. فلما نزل الوحي قال: ** ويسألونك عن الروح، قل الروح من أمر ربي، وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً **.»[6][7]

---

١. بهام عبد الرحيم سعيد ومحمد بهام عبد الرحيم: موسوعة أحاديث الفتن وأشراط الساعة، ص ٤٢٨.

٢. محيي الدين النووي: صحيح مسلم بشرح النووي: ٢/ ١٣٤ [كتاب الإيمان ـ باب في الريح التي تكون قرب القيامة]

٣. المرجع نفسه، ١٤/ ٧٣ [كتاب الإمارة ـ باب قوله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي].

٤. جمال الدين ابن منظور: لسان العرب: ٢/ ٢٤١ [روح].

٥. المرجع نفسه، ص ٢٤٢-٢٤٣ [روح]

٦. الإسراء: ٨٥.

٧. محيي الدين النووي صحيح مسلم بشرح النووي، ١٧/ ١٣٧.

ـ القرآن الكريم:

١. ابن الأثير الجزري، مجد الدين:

ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني ومكتبة دار البيان، د. ط، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.

ومن هنا، نلاحظ أن معنى الروح والريح التي ذكرت في الحديث النبوي الشريف، لم يخرج أي منهما عن إحدى المعاني المعجمية السابقة الذكر.

الخاتمة

توصلت الدراسة ـ بفضل الله ـ إلى النتائج الآتية:

ـ بعض الألفاظ الواردة في صحيح مسلم والمعبرة عن أشراط الساعة، كانت الرسول صلى الله عليه وسلم أول من تحدث عنها، وعرفت معانيها خلال الأحاديث النبوية الشريفة مثل: الجساسة.

ـ بعض التراكيب كذلك أول من نطق بها هو النبي الكريم عليه الصلاة والسلام نحو: "أن تلد الأمة ربتها"

ـ بعض الألفاظ كانت موجودة ولكن دلالاتها تغيرت، نحو قوله صلى الله عليه وسلم: "الساعة".

- النهاية في غريب الحديث والأثر، إشراف علي بن حسين بن عبد الحميد، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط. ١، ١٤٣١هـ.

٢. ابن حبيب الأندلسي المالكي، عبد الملك: أشراط الساعة وذئاب الأخبار ووقاء الأشرار، تحقيق عبد الله عبد المؤمن الكمني، دار أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط. ١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.

٣. ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب، تحقيق عامر أحمد حيدر، مراجعة: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط. ١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٤. أبو زهو، محمد محمد: الحديث والمحدثون، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٥. الجوهري، أبو نصر إسماعيل: تاج اللغة وصحاح العربية، مراجعة: محمد محمد تامر وأنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، مصر، د. ط، د. ت.

٦. الذهبي، شمس الدين محمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، تحقيق صالح السمر، إخراج شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة-بيروت، لبنان، ط. ١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٧. الزمخشري، جار الله: أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط. ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٨. تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، إخراج: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط. ٣، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٩. سعيد بهام عبد الرحيم وعبد الرحيم محمد بهام: موسوعة أحاديث المتن وأشراط الساعة، جامعة الأستاذ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط. ٢، ١٤٢٩هـ.

١٠. صالح، صبحي: علوم الحديث ومصطلحه، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، د. ط، ٢٠٠٩م.

١١. الفاسي، محمود محمد: من أسرار اللغة، في الكتاب والسنة، دار الفتح للدراسات والنشر، والمكتبة المكية، العربية، ط. ١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م.

١٢. الفيروزآبادي، مجد الدين: القاموس المحيط، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، د. ط، ٢٠١١م.

ـ مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط. ٤، ١٤٢٥-٢٠٠٤

١٣. العيني، محمد بن عبد الرحمن: نهاية العالم، برعاية العلوي للشاريع وشركة الهداية للأبحاث والدراسات، القاهرة، د. ط، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

١٤. عياش محمد شادي جميل: دلالة سياق اسم الفاعل في الحديث النبوي الشريف صحيح مسلم أنموذجا، إشراف أهل الشفيع العمري، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الشرق الأوسط، ٢٠١٣م.

١٥. مسلم (ابن الحجاج) مسلم:

ـ الكنى والأسماء، تحقيق: عبد الرحيم القشقري، الجامعة الإسلامية، ط. ١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

ـ المنفردات والوحدان، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، ط. ١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

ـ صحيح مسلم: صحيح مسلم، تحقيق مركز البحوث وتقنية المعلومات، دار التأصيل للطباعة والنشر، القاهرة، ط. ١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.

١٦. النووي، محي الدين: صحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق رمضان جامع رمضان، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط. ١، ٢٠٠١م.

- بعض الألفاظ تحمل معنى الشمولية والاتساع المترامي نحو "الفتن".

- على أن أهم نتيجة تم استخلاصها هي أن السياق - وحده - يستطيع تحديد دلالة اللفظ ووحده قادر على التحكم فيها. لأنه يربط بين الدلالة المعجمية وبين الغرض أو القصد من الحديث الشريف.

وختاماً، فإن أشراط الساعة كثيرة جداً، والأحاديث الدالة عليها رائعة البيان، شديدة الإيحاء، وأوصاف هذه العلامات والأشراط دقيقة كأنك تراها، وألفاظها على الغالب لا تبتعد عن أصل ما وضعت له، حتى لا يصعب على السامعين تفسيرها ومعرفتها.

ومع ذلك، فإنها كسائر أحاديث الحبيب المحبوب صلى الله عليه وسلم وسيعة المعاني، سهلة ممتنعة، يبعث في أنفسنا الروحانية والسكينة.

فصل يا اللهم وسلم وبارك على نبي الرحمة، خير الخلق أجمعين، وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين. والحمد لله رب العالمين.

دور الأسطورة في المتغيرات السياسية والإستراتيجية للغرب الإمبريالي

الدكتورة جويدة غانم[1]

الملخص

غالبا ما تكون الاسطورة من معتقدات وافكار ليست بالضرورة انها اصلية وصحيحة ولكن طرق تأثيرها مع الواقع وتحكمها في المستجدات الكبرى للحياة وللعالم يجعلها في واقع الإمكان والتحقق صحيحة لها القدرة في الوقت نفسه على امتلاك منابر الاجتماع والسياسة وصناعة القرار، وتغيير مواقع القوى على الفكر والارض لحسم المعركة الكبرى التي تتبأ نهاية التاريخ في يد من يمسك أسرار النبوءات ويعرف إدارة الأحداث وصناعة الخيال التي روجت له الكتابات الدينية وثقافات الشعوب خاصة الغربية التي دخلت في تنافس حتمي لحسم النهايات الأخيرة للعالم، ليصبح الهوس القيامي البعد المقدس في بكلة استراتيجيات هذا الغرب براوبحرا وجوا، وقد تداخلت البنى الخلفية للنبوءات مع التخطيطيات الإمبريالية للتحكم في العالم، حيث صنعت من الحروب وسياسات الضغط اللعبة الكبرى في حسم المعركة الآخيرة التي ستقود الأمم انطلاقا من تناقضات هرمجدون، وإلى فلسفة عبور جديد من الدجلة والفرات، إلى توظيف الأحداث وصناعتها من سفر الرؤيا مباشرة، إلى خلق وداعش أخرى تتحكم في الحدود والجغرافيات وتضغع الأقطار وتحكم في قرارات الأمم والدول، لتكون النتيجة عسكرية بامتياز، وهي عسكرة العالم لأجل محاربة الوحش والنبي الكذاب الذي يحاربه مسيحهم المنتظر، والسؤال الذي يكمن طرحه في خضم هذا البحث كالتالي:

كيف صنعت النبوءات العوالم وحددت الجغرافيات، إذا ما نظرنا إلى تكمن فوكوياما في نظريته نهاية التاريخ وخاتم المشنر؟ ما الأثر الذي تركته النبوءات على السياسات وتطبيقاتها العسكرية الكبرى من خلال الحروب الحالية على سوريا وفلسطين والعراق من جهة، والتهديدات التي توجهها الإدارة المركزية الإمبريالية في العالم لإيران؟

---

١. الدكتوراة في الفلسفة جامعة الجزائر.

المبحث الأول ـ الأساطير وسياسة التوظيف

لا يمكن أن نتكلم عن الدور الذي تعلبه الأساطير الكبرى في تغيير العالم وإعادة بناءه دون ان نفهم مساحات التحول في أشكالها التعريفية من حيث نوع القوة المعرفية التي تتمسك بها ومن حيث العلامات الكبرى للسلطة التي تسهر في تركيب الأحداث وبلورة أنساقها التاريخية لكي تكون هي التاريخ نفسه. أو هي الحدث عينه، بالتالي تعد الأسطورة "بمثابة خطاب شامل يحيط العالم والإنسان بتفسيرات وتبريرات، وتخلف بدلالتها ورواياتها والبنى الرمزية التي توفرها بكلية الحياة الاجتماعية، خالقة بذلك نسقا فكريا يعلي تفسيره وتعليله لمجمل الظواهر المحيطة بالإنسان، وناصبه سلما من التعميم تتحدر على هديه جهة القداسة، وجهة الدنسة (...) وتحطيها مصداقيتها بارجاعها إلى دلالات القول الأسطوري (...) بممارسة الطقوس (...) وبرواية الحكاية الأسطورية".[1]

كما تتعين التحديد الإلزامي لتلك المفارقات بين الأسطورة والنبوءة حتى نتمكن من استيعاب فلسفة التبشير الجديدة حول تركيبة العالم الجديد القادم، والذي ولربما سيرتبط بتاريخ جديد وبجغرافيا جديدة وبأشكال جديدة من البشر. قد أخذت الأسطورة منحاها التعريفي من الخلفيات العقائدية الكبرى من الإيمان بهدف تحقيق عقد ملكية العالم، وكان لكل نوع من البشر على هذا الأرض مشروطياتها في نوع هذه الملكية لتتطلق في تحديد أطرها من خلال تكرر فضاعات العدوان من طرف صانعي الحروب والآسي والكوارث البشرية، من ثم فإن العودة إلى الأسطورة والاتكاء عليها في تحقيق آمال المستقبل يقتضي وجود فلسفة على طراز ما عنونته نيتشه بوجود الإنسان سوبرمان، الذي يحقق هذه التنبوءات بتحديد مستقبل البشرية جمعاء كما تعد كوسيلة لتوجيه الأحداث والسيطرة على بنية المجتمع، في الإطار كتبت غريس هالسل محفوظا بعنوان النبوءة والسياسة بينت فيه مدى التواطؤ السياسي في استغلال النبوءات والتصديق المطلق بها عن طريق مناحي عقلية كثيرة، وقد تشكلت هذه الأساطير أو ما يطلق عليها أحيانا بالتنبوءات من وجهة النظر الغربية، ليساير الكثير من السياسيين ورجال الدين تحكم أحداث العالم ومتغيراته وفقا لهذه الأساطير، كما أعلى لها الكثير من التقديس والتصديق بالنظر إلى التقاطع في تحديد زمني للأحداث النهائية وتحديد عمر الأمم، وساعد على انتشار تلك الأفكار قيام الولايات المتحدة بإعادة احتلال بعض البلدان الإسلامية والعربية كما حدث في أفغانستان والعراق وقيام حليفتها إسرائيل باحتلال لبنان".[2]

من هذا المنطلق تتبين الأبعاد المتحققة لاختراق هذا النوع من الأساطير السياسات الدولية ومواقعها الثقافية الرسمية، ورسم حيز أو إطار آخر لتضريح العالم إلى جغرافيا معرفية جديدة لا تفصل جدواها عن المنزى الذي سعى من أجله كريستوف كولومبوس أن يحققه بشغف ديني إنجيلي أكبر.

لقد كان يؤمن أن "النبوءة المتعلقة بنشر الإنجيل في كل بقاع الأرض، لابد أن تتحقق قبل نهاية العالم الذي لم يكن يومه بعيد. إذ يؤكد كولومبوس في كتاب النبوءات أن نهاية العالم سيكون مسبوقا باقتتاح القارة الجديدة، وباعتناق الوثنيين المسيحية، وبالتعناء على المسيح المحتال، كان الرجل قد آل على نفسه القيام بدور رئيس في هذه الدراما العظيمة ذات الطابع التاريخي والكوني في آن معا".[3]

---

١. شمس الدين الكيلاني: من العود الذي إلى الوعي التاريخي (الأسطورة، الدين، الإيديولوجيا، العلم)، دار الكنوز الأدبية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٩٨م، ص ص ١٥، ١٦.

٢. منصور عبد الحكيم الحسيني الحسيني المعدي: (هرمجدون ونهاية أمريكا وإسرائيل)، دار الكتاب العربي، دمشق ـ القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م، ص. ١٠.

٣. ميريا إلياد: البحث عن التاريخ والمعنى في الدين، ترجمة: سعود المولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ـ لبنان، ط١، كانون الأول (ديسمبر) ٢٠٠٧م، ص ١٩١.

بالإضافة إلى أن كولومبوس كان يعتقد اعتقادا شديدا بالدور الذي أوكله الرب إليه باعتباره الفاتح المبارك لأميركا وقد استند في هذا الأمر على دعوة للأمير يوحنا لمخاطبه قائلا: "إن الله قد جعلني رسولا للسماء الجديدة للأرض الجديدة التي تكلم عنها في سفر الرؤيا للقديس يوحنا، وقد كان قد سبق كلامه عنها على لسان أشعيا. وقد أرشدني الله إلى المكان الذي سأجد فيه".[1]

بالتالي لم تفصل الاكتشافات الجغرافية عن النبوءات المسيحية التي أخضعت بواسطتها العالم إلى تأسيس جديد في البشرة والأرض والبشر لتتحد مع الرؤية العبرانية للمكان والترحال والكشف، وتصبح أسفار العهد القديم منطلق الرؤية للقصة "أولئك الحجاج الإنجليز الذين أسسوا أول مستعمرة فيما صار يعرف اليوم بالولايات المتحدة باختصار الجديدة، الأصل الأسطوري لكل التاريخ الأميركي ومركزية الأنجلوساكسونية".[2]

كما أن غاية هذه الرؤية قائمة على سرقة الأماكن والأسماء والتاريخ، حتى يصير سكان المقدمة الصغرى الذي تم تأسيسه أو إيجاده أثناء الكتبة الفلسطينية الكبرى قد أخضع إلى مقاربات موازية بين العبرانيين والكنعانيين، وبين الأميركيين والهنود الحمر، من حيث النظر في مجمل التصورات التي أطلقها العبرانيين القدامى ومفاهيمهم عن السماء والحياة والأرض، وزرعها هؤلاء المستعمرون الإنجليز في أميركا التي أطلقوا عليها أسم (أرض الميعاد) و(صهيون) و(إسرائيل الله الجديدة) وغير ذلك من التسميات التي أطلقها العبرانيون القدامى على أرض فلسطين".[3]

أما بالنسبة للمسيحية التي تنطلق من العهد الجديد فتبرى البروتستانتية ضرورة عودة اليهود على فلسطين وتجميعهم من كل العالم حتى تتوافق هذه البقعة مع عودة المسيح المخلص الذي ينظره اليهود ثم من ثم تبلغ معركة هرمجدون (*) حقيقتها التاريخية التي ستكون المعركة الفاصلة بين قوى الخير (اليهود) وقوى الشر (المسلمين)، علما أن هذه البروتستانتية هي الديانة التي انطلق بها حجاج الإنجليز إلى أميركا، لتصحيح المسيحية التي يدين بها معظم الشعب الأميركي وخاصة السياسيين منهم منبع التطريف لتحقيق الوعد اليهودي بالخلاص، كما أن "معظم الطوائف البروتستانتية الأميركية والغربية تطرح نفس المقولات التي يرددها أحبار اليهود حول القدس (...) أنها التي تدفع للاتجاه بهدم الأقصى والإسراع ببناء ما يسمى الهيكل حتى يأتي المسيح الجديد".[5]

إن إشكالية النظر في محتوى الكتاب المقدس، يعكس بالضرورة تلك الصدامات التي سجلتها الأحداث القديمة والمعاصرة في امتلاك العالم من جنس أقدس واحد وهو شعب الله المختار على حسب ما تشير إليه هذه الأسطورة المستندة على مبدأ التفوق العرقي ولغة التحتاريه بجنس محدد من البشر، يجعل من التوجهات الدينية في الأسفار أن تضع كل العالم على محك الصدام والتوتر والحرب الدائمة التي تستعمل في نظر هذه الرؤية أن تنهي التاريخ إلى مكانها المقدس ولغة الأسطورة لم تنأى هذه الأحاديث والأهاجي من رهانات السياسات

---

١. ميرسيا إلياد: (البحث عن التاريخ والمعنى في الدين)، ترجمة: سعود المولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط١، كانون الأول (ديسمبر)، ٢٠٠٧م، ص ١٩٢، ١٩١.

٢. نعيرا لمكش: (أميركا والإبادة الجماعية)، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، لبنان، ط١، حزيران / يونيو ٢٠٠٢م، ص ٩٠.

٣. نعيرا لمكش: (أميركا والإبادة الجماعية)، ص ٩٠.

٤. تقول غريس هالسل أن القادة الأميركيين السياسيين والعسكريين وحتى التبشيريين لا يعرفون هرمجدون هل هي معركة أم اسم لمكان.

٥. محمد يونس هاشم: (الدين والسياسة والنبوءة بين الأساطير الصهيونية والشرائع السماوية)، دار الكتاب العربي، سوريا، دمشق، مصر، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م، ص ١٩٣.

الكبرى التي أبرزها أهم القادة السياسيين والعسكريين لتعانق هذه النبوءات المؤطرة مع السياسة وترهن قضايا المجتمع الدولي والإنساني إلى موضعة قيمها وأسسها لفتح جبهات في القتال مفاده أن ملاكهم الخاص هو الذي يوجه العاصفة، وذلك من خلال القضاء على الرموز الدينية للشعب غير المرغوب فيه ضمن النطاق العام للساحة المقدسة التي تقول غريس هالسل في هذا الصدد مايلي: "إن النبوءة اليهودية الإنجيلية تقتضي بأن على اليهود قد سيرهذا الصرح (المسجد الأقصى) وبناء معبد - هيكل - يهودي مكانه، إن الإفرانجيين اليهود الذين أمطروا المسجد بالديناميت لإزالته هم أبطال في نظر (أون)، وعلمت أن الإفرانجيين كانوا أبطالا في نظر الكثيرين من بينهم يهود نافذين وأغنياء مثل (ماجان دانس) وغيرهم".[1]

من ثم يكون التوظيف الأسطوري لتحكم في العوالم مبنيا على ذلك النوع من الكتابة والتمكين الذي رافقه نوعا من التخييل ونوعا من الفعل بمقتضى صوغ تركيبها وتأليفها لكي تؤدي وظيفتها، ووظيفة الأسطورة دائما هي التعبئة، والتعبئة مقدمة للمواجهة، والمواجهة استعداد للصراع، والصراع بعد ذلك وصفة جاهزة للحرب، وهكذا فإن الأسطورة "سكونة تخاطب شيخ مقاتل، والشيخ المقاتل له في بعض الظروف قدرة على القتل أكبر من قوة فارس على القتال".[2]

كما رافق هذا النوع من الموضوعة المُطرفي أهميتها القبلية ورهانها المتجددة ضمن العلاقات الدولية والصراع الدولي من حيث اقتحامها في تغيير الساحات وإعادة تكلة الجغرافيات وترسيم الحدود بلغتها الإمبراطورية الجديدة التي لم تنفصل كما قال أنطونيو نيغري عن "مفهوم الحرب العادلة، ولدى فعالية ونجاح هذه الحرب، فهذا المفهوم الذي كان مرتبطا ارتباطا عضويا بالأنظمة الإمبراطورية القديمة، والذي تعود جذوره العتيقة والمعقدة إلى التراث التوراتي، راح يعود مؤخرا بوصفه موضوعا مركزيا في النقاشات السياسية الدائرة، خصوصا في أعقاب حرب الخليج".[3]

وليس من المستبعد أن يكون لقادة العالم كالرئيس (ريغان) اعتقاد راسخ بظهير مهدون، ومن الذين يتابعون تغيرات العالم وتوجيهه على تحقق هذا الوعد من حيث "أن إمكانية إعلان رئيس الولايات المتحدة بأن الله قضى بنشوب حرب نووية من شأنه أن يرسم علامات استفهام كثيرة: هل يؤمن بعدوى مباحثات التسلح رئيس يعتنق هذا النظام الديني؟ وخلال أية أزمة نووية هل سيكون مترويا وعاقلا؟ أو أنه سيكون متهافتا للضغط على الزر، وهو شعر في قرارة نفسه أن يساعده الله في مخططاته التوراتية المقررة مسبقا لنهاية الزمن؟".[4]

المبحث الثاني_ منطلق الأساطير وتحليها النبوءات ذات الرؤى المستقبلية

ولقد أسست هذه الفكرة أبرز الأساطير المركزية التي استند عليها مفهوم الحرب العادلة على الشعوب لتقضي الشرعية على أساطير متعددة كانت الصهيونية من وراء إنتاجها وإعادة بعثها من جديد، وهذه الأساطير تتمثل كالآتي:

١. أساطير دينية توراتية:

---

١. غريس هالسل: (النبوءة والسياسة)، ترجمة: محمد السماك، ص٢١.

٢. روجي غارودي: (الأساطير المؤسسة لسياسة الإسرائيلية)، دار الشروق (القاهرة)، ط ١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص١٠.

٣. مايكل هاردت وأنطونيو نيغري: (الإمبراطورية)، تعريب: فاضل جكتر، مراجعة: رضوان السيد، مكتبة العبيكان (السعودية) ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص ٣٠٦.

٤. غريس هالسل: (النبوءة والسياسة)، ص ٧.

أ_ أسطورة الأرض الموعودة.

ب_ أسطورة شعب الله المختار.

ج_ أسطورة قصر السامية على اليهود وحدهم.

د_ أسطورة الخلاص الإلهي لبني إسرائيل على يد المسيح.

٢. أساطير تاريخية سياسية:

أ_ أسطورة العداء الأبدي الأزلي لليهود.

ب_ أسطورة أرض بلا شعب لشعب بلا أرض.

ج_ أسطورة الملايين الستة الهولوكوست.

د_ أسطورة عداء الصهيونية للنازية.

ه_ أسطورة المعجزة الإسرائيلية

و_ أسطورة بناء اليهود للأهرام مصر.[١]

وقد أدت هذه الأساطير في مجملها وتوجهاتها إلى تأسيس العمل الإمبريالي الذي فتح إعادة بناء خارطة جديدة للأرض والمساحة التي يمكن أن تحتل في الحاضر وإمكانية توسيع مشاريع الاحتلال في المستقبل البعيد، لتأتي موقع إسرائيل وموقع الغرب من زاوية المجال الحيوي الذي يفتح على مآربه من الأطماع الجيوسياسية وهذا ما أشار إليه وإليزمان في قوله: "إن أساس وجودنا كله هو حقنا في إقامة وطن قومي فوق أرض إسرائيل (فلسطين) وهو حق تملكه منذ آلاف السنين، ومصدره وعد الرب لإبراهيم، وقد حملناه معنا في أنحاء العالم كله طوال حياة حافلة بالتطلعات".[٢]

من ثم تشكل الموضعة الأسطورية لتحقيق وعد الرب ووعد أبناء إسرائيل، علامة فارقة في تحيين الأفكار الفلسفية والدينية التي ستبني موضوعا جديدا في التاريخ ونقاط حدود ما على مستوى المساحة الجغرافية، وتؤسس الأسطورة الصهيونية عقلانية كبرى في التوسع والتطبيق والتشكيل، لتضخ العالم إلى تاريخها وفكرها وروحيتها المرتجاة في صناعة التاريخ وإنهاءه إلى مصلحتها. هذا ما عمل بالتطبيقات الكبرى للاستعمار وكان من جرائمها حاصرة العالم والشرق خاصة لمنع تجدد الإمبراطوريات القديمة التي بشرت أسفارها أن هلاك إسرائيل سيكون من خلال هذا الشرق. لذلك تأسست الإمبريالية وباشرت عملها الإمبراطوري وبالأحرى القوى الكبرى أبرزها أميركا الذي أشاد أحد قادتها وقال مايلي: "أنا أعلم أن الأميركي كان موضعا تحد للذة استقل واحتل تكساس وكاليفورنيا إبان حرب المكسيك، التي توصف بأنها عمل عدواني، ولكني أسأل نفسي: ما قيمة تعدد كهذا حين يكون البديل أن يحرم مجموع الجنوب

١. محمد يونس هاشم: ((الدين والسياسة والنبوة بين الأساطير الدينية والشرائع السماوية))، دار الكتاب العربي، دمشق، مصر، ط١، ٢٠١٠م، ص٩٠.

٢. محمد يونس هاشم: ((الدين والسياسة والنبوة بين الأساطير الدينية والشرائع السماوية))، ص ٢٥٤.

الغربي من طبيات الحضارة الأمريكية؟ عندما توجد أرض خالية بالقوة افتراضا فان العالم يدعوا إلى خلاصها، وفلسطين المقفرة كانت تماسا مصغرة ومنطق التاريخ يتطلب ان تملأ هذه (المساحات الخالية) لأن الطبيعة تمرعبها الخواء".[1]

من هذا المنطلق أعلن رب إسرائيل في الكتاب المقدس استراتيجية في التوسع بناء على سفر صموئيل: "وقيل لداود: ها الفلسطينيون يهاجمون مدينة قعيلة وينهبون البيادر، فسأل داود الرب: هل أذهب وأضرب أولئك الفلسطينيين؟ فأجابه الرب: اذهب واضربهم وانقذ قعيلة. ولكن رجاله قالوا له: نحن هنا في يهوذا خائفون، فكيف إذ نذهب إلى قعيلة لمحاربة جيوش الفلسطينيين؟ فعاد داود وسأل الرب، فأجابه الرب: قم انزل إلى قعيلة لأني أسلم الفل سطينيين إلى يدك".[2]

وقد حدث التشكيل نفسه في قصة فتح أمريكا حينما ضع الإنجليز حقوق السود الحمر وسياداتهم وقد قدمت الجدوى الحتمية لشعب إسرائيل في أمريكا على أحقية الشعب الهندو الحمر في أمريكا، بالتالي تصبح "فكرة أمريكا" فكرة استبدال شعب بالشعب وثقافة بثقافة عبر الاجتياح المسلح، وبمبررات غير طبيعية، هي محور فكرة إسرائيل التاريخية، وإن عملية الإبادة التي تقتضيها مثل هذه الفكرة مقتنعة بالضرورة بشخصيات أبطالها (الإسرائيليين، الشعب المختار، العرق المتفوق) وضحاياها (الكنعانيين، الملعونين، المتوحشين البرابرة) ومسرحها (ارض (كنعان) ومسراتها (الحق السماوي أو الحضاري) وأهدافها (الاستيلاء على أرض الغير واقتلاعه جسديا وثقافيا) من فكرة إسرائيل التاريخية".[3]

من ثم يصبح هذا التموضع تماجتماعيا ودينيا يضع كل الجوانب الطبيعية والميتافيزيقية والبشرية والمادية لإعادة تمثيل أمكنة كثيرة بليس أمريكا فقط وإنما كل العالم المحيط بإسرائيل التاريخية، والذي ينبغي أن يكون تدشين الحدث الأسطوري التوراتي من أهم ركائز تحقق المشروع الصهيوني في عملية الإجرامية الانتهازية بالضعف الشعوب، كما نجده في اعتقاده أنه كل مهمة تكليفية في منتهى القداسة تخوض غمار تثبيت طبيعة المختارية من منطلق احتواء المتمركز وقد أثرت هذه الأسطورة التوراتية على الأدوار المتمركزية التي مرت بها إنجلترا وأمريكا لأنها صورة واحدة لصورتان متحققتان في الأسطورة الكبرى لشعب المختار، وانطق هذا النموذج من السردي كمثل من "الأنجلوساكسون، فكانت البروتستانتية هي المختار من الكاثوليكية (...) وأصبحت الكاثوليكية هي بابل العاهرة (...) أو مصر وفرعونها (...) ثم انشق اليهود يتانزعن انجلترا، فأصبحوا هم إسرائيل المختار وانجلترا هي بابل العاهرة، ومصر وفرعونها، ثم أصبحت الولايات المتحدة في حرب استقلالها عن بريطانيا هي المختار، وبريطانيا وملكها بابل العاهرة ومصر وفرعونها".[4]

والماثل في الكثير من الأحداث في الشرق الأوسط يلمح تدافع القوى الكبرى وعلى رأسهم مايسمى إسرائيل تحقيق أساطيرها مما كلف العالم من ضحايا بشرية وصدامات خانقة وتوترات مادية، تحيل كل الأحداث إلى مراجعات ميتافيزيقية وتكشف عن الأضرب العميقة لتختلف الأساطير التطبيقية عبر الثقافة المدرسية والجامعية ودور السينما والأفلام، وقد سخرت الصهيونية أكبر الأسلحة المادية والمعنوية لتجنيز نفسها والعالم المحيط بها والمؤيد لسياستها إلى غزو العراق وأفغانستان وفي نفس الوقت عملت على تشجيع غزو سوريا وإزاحتها من المكان إلى أمكنة الاحتمال بناء على نص في سفر أشعيا: وحي على دمشق: "دمشق ستزال من بين جميع المدن فتكون رجمة من الحجارة، مدنها تهجر إلى الأبد، فتكون مرابض للقطعان ولا أحد

---

١. محمد يونس هاشم: (الدين والسياسة والنفوذ بين الأساطير الدينية والشرائع السماوية) ص ٢٥٤.

٢. صموئيل الأول: ٢٣/١ـ٥

٣. نعيرالكش: (حق التضحية بالآخر)، ص ١٢٣

٤. كلينورد لونجلي: (الشعب المختار الأسطورة التي شكلت أنجلترا وأمريكا)، ترجمة: قاسم عبده قاسم، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة مصر الجديدة، ط١٤٢٤١هـ/ ٢٠٠٣م، ج ٢، ص ٥٠.

يرعبها".[1]

كما يتم الآن البحث عن المبرر الأسطوري الأكثر موضعة مع واقعها وواقع الأحداث والمواقف السياسية العالمية للغزو إيران وتحقيقها من الداخل والخارج، وإتهامها على أنها تقف ضد السامية، ما أدى بالعقل الثقافي الصهيوني أن يوقع نفسه في كل شيء ويقوم بعملية توظيف بارعة للأماكن والصور والرموز التوراتية الأسطورية على أرض الواقع خاصة في القرن العشرين من أبرزها:

ـ نشر الأفلام المرعبة عن أكلي لحوم البشر التي تحوي تقطيع الجسم البشري وسفك دمه بمنتهى التقزز والغرابة.

ـ زرع أساطير سياسية وتثبيتها في القاموس السياسي الحديث والتي تقر بحق اليهود بإقامة وطن قومي لليهود العالم على ارض فلسطين. وحتم في العودة إلى أرض الميعاد وإلى الأجداد التي أخرجهم الرب يوما منها وبالتالي حان الوقت والتاريخ لتحقيق حلم العودة الأبدي.

ـ الترويج لأسطورة الرجل الخارق للعوالم البشرية الذي يمتلك كل شيء ويحكم في كل شيء، شبيهة بالفكرة النيتشوية التي طرحت مفهوم الإنسان البطل سوبرمان.

ـ التفوق الخارق في تدمير البيوت الفلسطينية منذ قيام ما يسمى كيان دولة إسرائيل، وإبادة الشعب الفلسطيني ليتوقع الشعب الصهيوني في مكانه وموقعه.[2]

من ثم لم تنفصل الرؤى الأسطورية عن التطبيقات العملية لمفاهيم الإمبراطورية والحرب وأسس في لوقت نفسه مستقبلا مرتبطا بتحقيق الوعد من خلال الاستراتيجيات الثقافية التي طرحتها نصوص العهد القديم للشعب اليهودي والمسيحي معا التي تؤكد على أنهم "نسل مختار وكهنوت ملوكي وأمة مقدسة وشعب اقتناه الله لإعلان فضائله، وهو الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب، وما كنتم شعبا من قبل، وأما اليوم فأنتم شعب الله، كنتم لا تنالون رحمة الله، وأما الآن فلتموها".[3]

كما جاء في سفر اللاويين المحطات الكبرى لتأسيس العقدي للنظرية وواقعة الهولوكوست في نصوص كثيرة وعديدة "ودعا الرب موسى وكلمه من خيمة الاجتماع قائلا: قل لبني إسرائيل: إذا قرب أحد منكم قربانا للرب من البهائم، فمن البقر والضأن تقربون قربانكم. إن كان قربانه محرقة من البقر، فذكرا صحيحا يقربه، يقدمه عند باب خيمة الاجتماع ليكون مقبولا أمام الرب".[4]

كما جاء في سفر الخروج "... ويكون ذبحة متحرق للرب. ويكون ذلك محرقة دائمة مدى أجيالكم، عند باب خيمة الاجتماع أمام الرب، حيث أجتمع بك لأكلمك هناك. وبني إسرائيل فيقدس المكان بمجدي. وأقدس خيمة الاجتماع".[5]

من هذه الصور تم ترسيخ فكرة المحرقة في أذهان شعوب العالم، واستغلت الصهيونية من مصانع ستار ومعتقلات ما يوازي هذه النصوص، لتخلد هذه الأسطورة عبر التاريخ، وتصبح

---

١. سفر أشعيا: ٢/١٧_٣

٢. محمد نور الدين: «الهولوكوست المحرم»، ص ١١٧، ١١٦

٣. بطرس الأول: ٩/٢_١٠

٤. اللاويين: ١_٥

٥. الخروج: ٤٢_٤٣

الأساس المركزي الذي ترتكز عليه القضايا الكبرى في العالم، كالقضية الفلسطينية، وحرب الخليج، وقد سيرت سوريا، ومحاولاتها المستمرة في التهديد العالمي لإيران بحجة الملف النووي، من ثم يصبح الترويج لعقيدة الإبادة كاقتراء موجه ضد شعوب العالم الأخرى، وهي استخفاف بعقول الشعوب(...) لكونها تحمل طابعاً دينياً تبشيرياً يهودياً، فعندما نفرض اليهود على مسيحي ومسلمي العالم وغيرهم بأن يعتقدوا بمبدأ الهولوكوست كإبادة لليهود، فهم في الوقت نفسه يفرضون على تلك الشعوب الإيمان بمبدأ عقيدي يهودي وهو عقيدة الهولوكوست المقدس وعقيدة تقديس الإبادة وعقيدة التضحية اليهودية والتوراتية".[1]

كما كشف روجي غارودي عن حقيقة هذه الأسطورة ودورها في تسيير الحراك السياسي الصهيوني واليهودي عبر التاريخ وفي هذا يقول: "إن المادة الخام للأسطورة كانت تستخرج من تلافيف الماضي البعيد أو القريب ويعاد تركيبها وتأليفها لكي تؤدي وظيفتها، ووظيفة الأسطورة دائماً، ووظيفة الأسطورة دائماً هي التعبئة، والتعبئة مقدمة للمواجهة، والمواجهة استعداد للصراع، والصراع بعد ذلك وصفة جاهزة للحرب".[2]

من هذا المنطلق تحكمت الأسطورة في التاريخ الصهيوني، كما تحكم الفكر الصهيوني في الأسطورة، وخلق بها العديد من المواقع السياسية والتاريخية وحتى الكونية، قصد إنهاء التاريخ بمعرفة ولمصلحة، وانبثق من خلال هذا التأطير الحكم تبريرات كثيرة لغرض الانتقام شكلتها حرب الخليج وحرب سوريا وتهديد الجنوب اللبناني، والتهديد أيضاً بضرب إيران، فإلى أين تتجه مستقبل العالم في ظل هذه الأسطرة؟

خاتمة: من خلال هذا التحليل في أنساق الأسطورة ومدى تعالقها مع السياسة نصل إلى النتائج التالية:

ـ أولاً: أن عملية الاسترجاع والاستذكار التوراتي بإقامة إمبراطورية الرب على كل الأرض لم تنفصل تاريخياً عن رغبة المسيحيين والصهاينة من امتلاك العالم ما أدى إلى استغلال مشاريع الحداثة والأنوار والتقدم والتبشير لتحقيق الوعد الإلهي.

ـ ثانياً: من هذا المنطلق تكون المجال التدبيري المصيري لهذا العالم، وأصبحت الأساطير الدينية تحدد وترسم المستقبل، والسياسات تهيأ الملاحم والفرص وتضفع الحروب والمعارك، لتهيأ البشرية وخوانها في عالم جديد بناء على بشارات الكتاب المقدس، وتظلعنا غريس هالسل عن اهتمام السياسيين الأمريكيين بهذا الأمر، ودورهم في جر العالم نحو الحروب حتى تتكيف مع رؤى الكتاب المقدس بشقيه القديم والجديد

ـ ثالثاً: ضرورة امتلاك الجغرافيا العالمية من منطلق الهيكل العام للأسطورة، ودورها فيما فيرتها في تغيير وجهة التاريخ وإعادة رسم الجغرافيات وترسيم الحدود وفقاً لنظرية أرض الميعاد وسياسة شرق أوسط جديد التي ميعت القضايا العربية والإسلامية.

---

١. محمد نمر الدالي: (الهولوكوست المحرم)، ص، ٧٣.

٢. روجي غارودي: (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية)، ص، ١٠.

قائمة المراجع

- الكتاب المقدس
- شمس الدين الكيلاني: من العهود الأدبي إلى الوعي التاريخي (الأسطورة، الدين، الإيديولوجيا، العلم)، دار الكنوز الأدبية، بيروت لبنان، ط١٩٩٨،١م.
- منصور عبد الحكيم الحسيني المعدي: (هرمجدون ونهاية أمريكا وإسرائيل)، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة ط١،٢٠٠٧م.
- ميرسيا إلياد: البحث عن التاريخ والمعنى في الدين، ترجمة: سعود المولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان، ط١، كانون الأول (ديسمبر)، ٢٠٠٧م.
- ميرسيا إلياد: (البحث عن التاريخ والمعنى في الدين)، ترجمة: سعود المولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان، ط١، كانون الأول (ديسمبر)، ٢٠٠٧م.
- نعيرالكعش: (أمريكا والإبادة الجماعية)، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت لبنان، ط١، حزيران / يونيو٢٠٠٢م.
- محمد يونس هاشم: (الدين والسياسة والنبوءة بين الأساطير الصهيونية والشرائع السماوية)، دار الكتاب العربي، سوريا، دمشق، مصر، القاهرة، ط٢٠١٠،١م.
- كليفورد لونجلي: (الشعب المختار الأسطورة التي شكلت أنجلترا وأمريكا)، ترجمة: قاسم عبده قاسم، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر العربية، ط١٤٢٤١هـ/ ٢٠٠٣م، ج٣.

المهدي المنتظر وعلم الغيب

الدكتور أحمد راسم النفيس[1]

نيقول تعالى (الم * ذلك الكتاب لاريب فيه هدًى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون * أولئك على هدًى من ربهم وأولئك هم المفلحون) البقرة١-٥.

الغيب حسب صاحب لسان العرب: كل ما غاب عنك. ومعنى يؤمنون بالغيب؛ أي يؤمنون بما غاب عنهم، مما أخبرهم به النبي صلى الله عليه وسلم، من أمر البعث والجنة والنار. وكل ما غاب عنهم مما أنبأهم به، فهو غيب؛ وقال ابن الأعرابي: يؤمنون بالله. والغيب أيضاً ما غاب عن العيون سواء كان محصلاً في القلوب أو غير محصل.

التفسير اللغوي لكلمة غيب الواردة في الآية الثالثة من سورة البقرة والذي اعتمده أغلب المفسرين هو كل ما غاب عنك، وهو تفسير لا يتلاءم مع مدح من كانت هذه صفتهم، إذ لو كان كل من يقر بوجودها هو غائب عن نظره تعالى لاستوى في ذلك المؤمن والمنكر لوجود الله عزوجل، ولو أنك سألت أحدا ممن ينكرون الله عما يتوقع حدوثه بعد عام أو عامين أو عن موعد موته لنفى علمه أي أنه يقر بوجود غيب محجوب عنه لا يراه ولا يملك وسيلة لمعرفته.

أيضا فالمسلمون وأهل الكتاب يؤمنون بالغيب مع اختلاف المعتقد واختلاط الحق بالباطل لدى هؤلاء، ولذا فمجرد الإيمان بالغيب أو بالثواب والعقاب الأخروي لا يكفي أن يكون فضيلة في حد ذاتها ترفع من يؤمن بها من مرتبة الإقرار الظاهري بالإسلام إلى مرتبة التقوى والتزكية!!.

أيضا لو كان الغيب المذكور في الآية يعني مجرد الإيمان باليوم الآخر لما احتاج القرآن لذكر الآخرة بصورة متعددة (وبالآخرة هم يوقنون) ولكانت هذه الكلمات مجرد تكرار دون حاجة للتكرار.

---

١. أستاذ بكلية الطب جامعة المنصورة مصر.

الغيب المذكور في أول الآية (الذين يؤمنون بالغيب) مختلف عن ذلك المذكور في آخر الآية (وبالآخرة هم يوقنون).

الغيب في الآية الكريمة وفي القرآن عامة يعني ضمن ما يعني الغياب وهذا ما ذكره ابن منظور صاحب اللسان (والغيب ما غاب عن العيون، وإن كان محصلاً في القلوب).

الغيب وعوالمه هو وجود حقيقي مادي أو معنوي لا يكون للحواس مجردة أو غير مجردة ومن ثم للعقل التعرف إليه بصورة مستقلة عن إخبار الرسل والأنبياء، وقهارى دور العقل في هذا المجال هو الحكم بالإمكان أو عدم الإمكان.

أما أن يستقل العقل بتأسيس وجوهها في عالم الغيب، فأبعد عن رسم معالمه وتفاصيله فهذا هو المستحيل بعينه.

الغيب لغة يعني ذلك المبهم العام الذي يتضمن ما بعد الموت مهما لم تره أعين الأحياء فتخبر عنه مشافهة فما بالك يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات، يوم يكشف الغطاء الذي يحول بين الناس ورؤية الحقائق كما هي (لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) ق ٢٢.

وهناك إشارة هامة تتضمنها قوله تعالى (يؤمنون بالغيب)، فهؤلاء إما آمنوا بالغيب إجمالاً أو أنهم آمنوا بشيء ما أو بشخص ما رغم غيابه عنهم وهو ما أشار إليه الشيخ الصدوق في (كمال الدين) حيث قال: وفي قوله عز وجل: "وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة" حجة قوية في غيبة الإمام عليه السلام، وذلك أنه عز وجل لما قال: "إني جاعل في الأرض خليفة" أوجب بهذا اللفظ معنى وهو أن يعتقد وا طاعته فاعتقد عدو الله إبليس بهذه الكلمة نفاقا وأضمره حتى صار به مناقا، وذلك أنه أضمر أنه يخالفه متى استعبد بالطاعة له فكان نفاقه أنكر النفاق لأن نفاق بظهر الغيب، ولهذا من الشأن صار أخزى المنافقين كلهم، ولما عرف الله عز وجل ملائكته ذلك أضمروا الطاعة له وأشفقوا إليه فأضمروا التنقيص ما أضمره الشيطان فصار لهم من الرتبة عشرة أضعاف ما استحق عدو الله من الخزي والخسار فالطاعة والموالاة بظهر الغيب أبلغ في الثواب والمدح لأنه أبعد من الشهوة والمغالطة، ولهذا روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: "من دعا أخاه بظهر الغيب ناداه ملك من السماء ولك مثلاه". وإن الله تبارك وتعالى أكد دينه بالإيمان بالغيب فقال: "هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ـ الآية" فالإيمان بالغيب أعظم مثوبة لصاحبه لأنه خلو من كل عيب وريب لأن بنية الخليقة وقت المشاهدة قد يتوهم على السابع أنه إنما يطيع رغبة في خير أو مال، أو رهبة من قتل أو غير ذلك مما هو عادات أبناء الدنيا في طاعة ملوكهم وإيمان الغيب مأمون من ذلك كله، ومحروس من معايبه بأصل، يدل على ذلك قول الله عز وجل: "فلما أن آمنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين * فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا" ولما حصل للمتعبد ما حصل من الإيمان بالغيب لم يحرم الله عز وجل ذلك ملائكته فقد جاء في الخبر أن الله سبحانه قال هذه المقالة للملائكة قبل خلق آدم بسبعة عام وكان يحصل في هذه المدة الطاعة للملائكة الله على قدرها.

عندما قال الله للملائكة (إني جاعل في الأرض خليفة) فبديهي أن هذا قبل خلق آدم، ولو افترضنا أن آدم عليه السلام كان وقتها حاضرا وليس غيبا فلماذا اعترض الملائكة بقولهم (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء....)، حيث ظل آدم عليه السلام مقيما بالجنة حتى أكل من الشجرة ثم هبط إلى الأرض وكل هذا كان غيبا تعين على الملائكة أن يقروا به وبه عوالمه حتى ولو كان كل هذا غير معاين ولا معلوم ولا محدث منه شيء!!.

الغيب عالم وأو عوالم مهما يرتبط بالصراع المتواصل بين الحق والباطل مذ بعث الله الأنبياء وأنزل معهم الكتاب بالحق والميزان، منه ما هو على مقربة منا لا ينفصل عن أنظارنا سوى القدرة على الرؤية والإبصار ومنه يوم الحساب النهائي (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رءوف

بالعباد) ولا يظلم ربك أحدا.

الغيب هو خبايا الصراع بين الحق والباطل ومن ضمنه قطعا ذلك المكر الإلهي الذي يفسده الخالق المدبر خطط حزب الشيطان وأوليائه ويجعلها سرابا وذلك قول الله تعالى (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم) آل عمران ١٧٩.

البعض حاول أن يحصر الغيب الذي لا يعلمه إلا الله في المذكور في تلك الآية (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير) لقمان ٣٤.

في حين أن ما ورد في الآية الكريمة لم يرد على سبيل الحصر بل على سبيل الاستدلال، كما أن هذه العلوم لها ظاهر وباطن والغيث لا يعني المطر حصرا بل هي رحمة الله التي ينعم بها على من يشاء من عباده وقتما يشاء، وهو سبحانه يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير * تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب) آل عمران ٢٦-٢٧.

الذي نوقن به أن إدارة الصراع بين الحق والباطل منذ بعث الله رسوله بالهدى ودين الحق إلى أن يأتي وعد الله فيظهره على الدين كله، بظهور المهدي الغائب المنتظر ولو كره المشركون بيد الله سبحانه وتعالى حيث سنرى عجائب قدرته بادية تقطع الشك باليقين وتزيل الظلمات لتشرق الأرض بنور ربها وأن الجهد والجهاد الإنساني يمثل جزءا من إدارة هذا الصراع، لكن الجزء الأكبر بيده سبحانه (يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون) الرعد ٢.

لو كان لدى هؤلاء شك فيما نقول فليقرأ قوله تعالى (قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب * قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد) سبأ ٤٨_ ٤٩.

وقوله تعالى (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون) الأنبياء ١٨.

أما جوهر الخلاف بين من يؤمنون وينتظرون الغائب الغيب وبين من يرون الحاجة لمهدي يملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت ظلما وجورا، يتقمص ممن بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار، فراح إبليس يرون في رموزهم وقادتهم وما ارتكبوه من جرائم وما ارتسموه من انتهاكات نموذجا للعدل والطهر كما قال الكميت الأسدي (فمثل الذي ضل عن أهله جونة ترى البحر عدلا أين لا أين تذهب؟!)، وليس من حق الأمة ولا من واجبها أن تتطلع لما هو أفضل من هذا الظلم المقيم منذ أربعة عشر قرنا من الزمان!!!.

الغيب كما قلنا من قبل، عوالم متعددة وليس عالما واحدا مرتبط بالظواهر الطبيعية ولذا قال تعالى (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) الأنعام ٥٩ مميزا بين هذه العوالم ومؤكدا على انفراده سبحانه بإدارة الكون وأهم ما فيه وهو الصراع بين الحق والباطل وبين الإسلام التحقيقي الذي جاء به محمد بن عبد الله والإسلام الزائف الذي تتداوله تلك العصابات الأموية والوهابية وتريد أن تأكل به الدنيا ولا يبغون عن ذلك حولا.

لا غرابة إذا أن نرى ضمن التفاسير الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام من يفسر الغيب بالإمام المهدي الغائب سلام الله عليه.

يقول الشيخ الصدوق في كمال الدين

قوله عزوجل "الم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب" يعني بالقائم عليه السلام وغيبته. حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل - رحمه الله - قال: حدثنا محمد بن يحيى العطار قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى، عن عمر بن عبد العزيز، عن غير واحد، عن داود ابن كثير الرقي، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزوجل "هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب" قال: من أقر بقيام القائم عليه السلام أنه حق. حدثنا علي بن أحمد بن موسى - رحمه الله - قال: حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي قال: حدثنا موسى بن عمران النخعي، عن عمه الحسين بن يزيد، عن علي بن أبي حمزة، عن يحيى بن أبي القاسم قال: سألت الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام عن قول الله عزوجل "الم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب" فقال: المتقون شيعة علي عليه السلام والغيب فهو الحجة الغائب. وشاهد ذلك قوله عزوجل (ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين) فأخبر عزوجل أن الآية هي الغيب، والغيب هو الحجة، وتصديق ذلك قول الله عزوجل: "وجعلنا ابن مريم وأمه آية" يعني حجة.

حدثنا أبي - رحمه الله - قال: حدثنا سعد بن عبد الله قال: حدثنا محمد بن الحسين ابن أبي الخطاب، عن الحسن بن محبوب، عن علي بن رئاب، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: في قول الله عزوجل: (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل) فقال: الآيات هم الائمة، والآية المنتظرة هو القائم عليه السلام، فيومئذ لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل قيامه بالسيف وإن آمنت بمن تقدمه من آبائه عليهم السلام. وقد سمى الله عزوجل يوسف عليه السلام ضياحين قص قصته على نبيه محمد صلى الله عليه وآله فقال عزوجل: "ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون" فمضى يوسف عليه السلام ضيعا لان الأنباء التي قصها كانت أنباء يوسف فيما أخبره من قصته وحاله وما آلت إليه أموره. ولقد كلمني بعض المخالفين في هذه الآية فقال: معنى قوله عزوجل: "الذين يؤمنون بالغيب" أي بالبعث والنشور وأحوال القيامة، فقلت له: لقد جهلت في تأويلك وضللت في قولك فإن اليهود والنصارى وكثيرا من فرق المشركين والمخالفين لدين الاسلام يؤمنون بالبعث والنشور والحساب والثواب والعقاب فلم يكن الله تبارك وتعالى ليمدح المؤمنين بحدة قد شركهم فيها فرق الكفر والجحود بل وصفهم الله عزوجل ومدحهم بما هو لهم خاصة، لم يشركهم فيه أحد غيرهم.

النبي المنتظر والايمان بالغيب

أحد أشهر نماذج الايمان المنقوص بالغيب هو نموذج اليهود الذين كانوا ينتظرون ظهور النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله في آخر الزمان (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين * بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءو بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين) البقرة ٨٩ - ٩٠.

إنه إيمان منقوص قائم على الغش والحسد والنبي الذي أهلك الأمم السابقة، إلا أن الدمار الذي ألحقه باليهود كان شديدا وبالغا، وقد سبقه كفرهم بالمسيح عيسى بن مريم سلام الله عليه الذي لقي من هؤلاء الحاقدين أشنع أنواع الايذاء والمحنة.

بديهي أن الايمان لايعني على الاجمال بل على المعرفة التامة، فالايمان بالله عزوجل كما وصفه أمير المؤمنين عليه السلام: (أول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده وكمال توحيده الاخلاص له)، ومن ثم فالايمان بالغائب المنتظر لاتحقق إلا بمعرفة التفصيلية وتفاصيلها كما أن الانتظار هو فعل حتى وإن بدا للناظر فعلا سلبيا، فانت عندما تنتظر ضيفا يأتي إلى بيتك لن تنشغل عنه بفعل آخر يحول بينك وبين القيام بواجب استقباله وأداء حقه كما يزعم بعض السذج!!.

عندما تكون متيقنا أن هناك من سيأتيك بالطعام فلن تقوم بإعداد وجبة طعام أخرى، وعندما يدعوك أحدهم للغداء فتتهيأ للذهاب معه وستردي ثياب الخروج كيلا يتركك هو بدلا من انتظارك له وكل هذه بديهيات ومسلمات، أي أن فعل الانتظار له وجهان وجه يتعلق بالمنتظر ووجه يتعلق بالمنتظر.

عندما تكون واثقا بوعد الصديق الآتي فلن تخلد للنوم بل ستتهيأ لاستقباله، هذا لو كنت فردا، إما إذا كنت واحدا ضمن جماعة فستتواصل معهم وتهيئهم أو ينبهونك، وهكذا مما يحتاج لمزيد من الشرح والتفصيل.

دعك إذا من تلك المقولة الفاشلة التي تزعم أن الاتكال على وعد الظهور المهدوي يلهيك عن العمل الجاد والدؤوب من أجل الإصلاح لأن انتظار الإمام المهدي صاحب الزمان ومظهر الإيمان يعفيك عن المشاريع العشوائية الفاشلة التي تستنفذ جهدك وطاقتك قبل أن تكتشف ولات حين مناص أنك كنت تطارد سرابا بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا.

يقول تعالى (ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون) هود ٨.

يقول علي بن إبراهيم في تفسير هذه الآية: (ليقولن ما يحبسه: أي يقولون (لا يقوم القائم ولا يخرج)، على حد الاستهزاء فقال الله (ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون). أخبرنا احمد بن ادريس قال حدثنا احمد بن محمد عن علي بن الحكم عن سيف عن حسان عن هشام بن عمار عن أبيه وكان من اصحاب الإمام علي ع عند في قوله تعالى "ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى امة معدودة ليقولن ما يحبسه" قال الأمة المعدودة أصحاب القائم الثلاثمائة والبضعة عشر.

وهذا أيضا مشابه لقوله تعالى (أفرأيت إن متعناهم سنين * ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون * وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون) الشعراء ٢٠٥_٢٠٨.

روى الكليني في الكافي ج٨:

٤٨٧ _ علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن منصور بن يونس، عن إسماعيل بن جابر، عن أبي خالد، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزوجل: "فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا" قال: الخيرات الولاية وقوله تبارك وتعالى: "أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا" يعني أصحاب القائم الثلاثمائة والبضعة عشر رجلا، قال: وهم والله الأمة المعدودة، يجتمعون والله في ساعة واحدة قزع كقزع الخريف.

ما يعنينا في هذا التفسير الذي يتفق مع الرؤية التي نؤمن بها وهي أن مسيرة الأمة الإسلامية نحو التكامل، تلك المسيرة التي لا تكتمل إلا بظهور هذه الأمة الصغيرة التي تشكل قلب الأمة الكبرى، بدأت بعثة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وما تزال متواصلة حتى ظهور الإمام المهدي محمد بن الحسن عليه السلام لابد أن تأخذ الأمة نحو التكامل والرقي، الغاية النهائية

للبعثة الإسلامية (هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين).

لماذا يجتمع السلطويون والإسلاميون على المنازعة والتشكيك في الظهور المهدوي؟!.

السبب الأول حسب رأينا يرجع لرفض هؤلاء وهؤلاء الإقرار بأن بضاعتهم الفكرية والأخلاقية هي بضاعة فاسدة وأنهم لم تجلب للأمة طيلة هذه القرون سوى الخسار والبوار.

السبب الثاني أن الإسلاميين (من يزكون أنفسهم بهذا النسب) يعتزون اعتزازاً بالغاً بعصبتهم التي تكونت على ذات الثقافة المزاجة ويصرون على الانطلاق نحو ما يسمونه إصلاحاً انطلاقاً من هذه الثقافة الفاشلة حكماً نحو التغيير أولاً في إعادة تجريب المجرب!!.

أما السبب الثالث: فهو الحسد الذي توارثه بعض هؤلاء عن آبائهم وأجدادهم وإنكارهم أن من الممكن أن يكون هناك من هو أهدى سبيلاً وذلك قوله عز من قائل (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلاً * انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثماً مبيناً * ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً) النساء ٤٩ ـ ٥٠.

الفارق بين أولئك الذين يزكون أنفسهم ويخصون ذواتهم بلقب الإسلاميين من دون سائر المسلمين، وهم يلمزون المؤمنين وينبزونهم بالألقاب ويصفونهم بصفة (الرافضة) وهم يركضون خلف أئمة الهلاك الذين نشروا الدمار في شتى أركان العالم الإسلامي وذهب بهم الطيش والغرور حد الاستعانة باليهود والأمريكان في مغامراتهم الفاشلة، وبين المؤمنين بالغيب المنتظرين للإمام الحق وهم على معرفة بحق نبيهم وأئمتهم، أن هؤلاء ضربهم داء الكبر والغرور الذي ضرب إبليس اللعين ودعاه لرفض السجود لآدم عليه السلام خليفة الله في الأرض يتملكه تحلى المؤمنون بالتواضع والإنابة لرب العالمين فهو الذي يزكي من يشاء وهو وحده من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

العبرة التي نستخلصها من كفر اليهود بعيسى بن مريم ثم بنبينا الأكرم محمد صلى الله عليه وآله أن الإيمان لا يعني فقط مجرد المعرفة بل التسليم الحقيقي والإنابة لرب العالمين، فالمعرفة التي جعلتهم يستفتحون على الذين كفروا لم تدفعهم للإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وآله، حيث حالت شوائب النفس وأمراضها وما جبلت عليه من الغل والحسد بينهم وبين الإيمان والتسليم عندما جاءهم ما عرفوا.

ربما كان هذا مرتبطاً بتعلة عدد أصحاب الإمام المهدي سلام الله عليه واقتصارهم على ٣١٣ فرد من بين مئات الملايين الذين يؤمنون بغيبة الإمام وينتظرونه والشيء الثابت أن الإيمان درجات ومراتب وكذا الإخلاص.

الإيمان بالغائب درجات ترتقي ثم ترتقي حتى تبلغ عين اليقين ودونكم انتظار يعقوب سلام الله عليه للغائب المنتظر يوسف فلذة كبده ونور عينيه، يقيناً غاب عنه أبناؤه الذين ضيعوا يوسف حيث يصف رب العزة هذا الحال، (وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم * قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين * قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون * يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) يوسف ٨٤ ـ ٨٧.

ولو قارنا هذا الوصف القرآني بما قاله الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام (ما أطول هذا الرجاء وأبعد هذا الرجاء) وكم طال الأمد تباعدت المسافة بين أهل الشك وأهل

الیقین الذین یؤمنون بالغیب الآتی بوعد الله لاریب فیه (وعد الله لایخلف الله وعده ولکن أکثر الناس لایعلمون * یعلمون ظاهرا من الحیاة الدنیا وهم عن الآخرة هم غافلون) الروم ع_۷.

شتان بین من (طال علیهم الأمد فقست قلوبهم وکثیر منهم فاسقون) وبین من طال علیهم أمد العناء وتتابعت علیهم شتی صنوف البلاء فازادهم ذلک الاصبرا وثباتا وایمانا بصدق وعد الله عزوجل (وکأین من نبی قاتل معه ربیون کثیر فما وهنوا لما أصابهم فی سبیل الله وما ضعفوا وما استکانوا والله یحب الصابرین * وما کان قولهم الاأن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فی أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا علی القوم الکافرین) آل عمران ۱۴۶_۱۴۷.

الایمان بالغیب یعنی الایمان بالغائب المنتظر ویعنی أیضا الایمان والتصدیق بوعد الله کما یعنی الجهاد استکمالا لشروط الظهور وظروفه وأدواته وهذا قوله تعالی (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخیل ترهبون به عدو الله وعدوکم وآخرین من دونهم لاتعلمونهم الله یعلمهم وما تنفقوا من شیء فی سبیل الله یوف إلیکم وأنتم لاتظلمون) الأنفال ۶۰.

یقول العلامة الطباطبائی فی تفسیر قوله تعالی) ترهبون به عدو الله وعدوکم وآخرین من دونهم لاتعلمونهم الله یعلمهم) فی مقام التعلیل لقوله (وأعدوا لهم أی وأعدوا لهم ذلک لترهبوا وتخوفوا به عدو الله وعدوکم، وفی قوله (وآخرین من دونهم لاتعلمونهم) دلالة علی أن المراد بالأولین هم الذین یعرفهم المؤمنون بالعداوة منه ولهم، والمراد بهؤلاء الذین لایعلمهم المؤمنون_ علی ما یعطیه إطلاق اللفظ_ کل من لاخبرة للمؤمنین بتهدیده إیاهم بالعداوة من المنافقین الذین هم فی کسوة المؤمنین وصورتهم یصلون ویصومون ویحجون ویجاهدون ظاهرا، ومن غیر المنافقین من الکفار الذین لم یقتل بهم المؤمنون بعد. انتهی

ولو تأملنا واقع المسلمین بعد رحیل رسول الله صلی الله علیه وآله عن هذه الدنیا وبروز حرکات الانحراف (الناکثین والقاسطین والمارقین) وتصدی الإمام علی بن أبی طالب علیه السلام لهم وقوله (فما بعد حمد الله والثناء علیه لزیما الناس فجائی فقأت عین الفتنة ولم یکن لیتهیئ علیها أحد غیری بعد أن ماج غیهبها واشتد کلبها فالتمس من تقدمنی فعل أن تعتدل فی قول الذی نفسی بیده لاتسألونی عن شیء فیما بینکم وبین الساعة ولا عن فئة تهدی مائة وتضل مائة إلا أنبأتکم بناعقها وقائدها وسائقها ومناخ رکابها ومحط رحالها ومن یقتل من أهلها قتلا ومن یموت منهم موتا ولو قد فقدتمونی ونزلت بکم کرائه الأمور وجوائب الخطوب الأطرق کثیر من السائلین وفشل کثیر من المسؤولین وذلک إذا قلصت حربکم وشمرت عن ساق وضاقت الدنیا علیکم ضیقا تستطیلون معه أیام البلاء علیکم حتی یفتح الله لبقیة الأبرار منکم بأن الفتن إذا أقبلت شبهت وإذا أدبرت نبهت یکرهن مقبلات ویعرفن مدبرات یحمین حمو السیاح یضربن بلدا بأفنیتهن بلدا ألا وإن أخوف الفتن عندی علیکم فتنة بنی أمیة فإنها فتنة عمیاء مظلمة عمت خطتها وخصت بلیتها وأصاب البلاء من أبصر فیها وأخطأ البلاء من عمی عنها وایم الله لتجدن بنی أمیة لکم أرباب سوء بعدی کالناب الضروس تعذم بفیها وتخبط بیدها وتزبن برجلها وتمنع درها لایزالون بکم حتی لایترکوا منکم إلا نافعا لهم أو غیر ضائر بهم ولایزال بلاؤهم بکم حتی لایکون انتصار أحدکم منهم إلا کانتصار العبد من ربه والصاحب من مستصحبه ترون بکم علیکم فتنتهم شوهاء مخشیة وقطعا جاهلیة لیس فیها منار هدی ولا علم یری نحن أهل البیت منها بمنجاة ولسنا فیها بدعاة ثم یفرجها الله عنکم کتفریج الأدیم بمن یسومهم خسفا ویسوقهم عنفا ویسقیهم بکأس مصبرة لایعطیهم إلا السیف ولا یحلیهم إلا الخوف فعند ذلک تود قریش بالدنیا وما فیها لو یرونی مقاما واحدا ولو قدر جزر جزور لأقبل منهم ما أطلب الیوم بعضه فلا یعطونیه).

ثم یفرجها الله عنکم کتفریج الأدیم..

بمن يسومهم خسفا ويسوقهم عنفا ويسقيهم بكاس مصبرة لا يعطيهم إلا السيف ولا يكلمهم إلا الخوف . . .

إنه الإمام المهدي عليه السلام وهؤلاء الأعداء الذين لا تعلمونهم، لكن الله يعلمهم، وهو سبحانه لم يحجب علمه كليا عن خلقه بل اتمن عليه من يخرجه للناس وقت الحاجة للعلم والعمل بموجبه وهم الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة من آل محمد.

الآن تبدو أهمية هذه الآية وما حفلت به من آيات مرت مرور الكرام على القارئ غير المتدبر في كتاب الله الذي يكتفي لفهم القرآن فما ظاهريا بل يمر على بعض الأسئلة التي تطرحها بعض الآيات دون أن يكلف خاطره بمحاولة الحصول على إجابتها.

لم يكن قتال الحركات المنحرفة التي تتمنى لظاهر الإسلام بالأمر السهل حيث حاول البعض محاولات جادة لاحتوائهم إلا أن الأمور لم تسر كما كان يتمناه المتقاتلون ووصلت الأمور الآن لصدام لم يعد من الممكن اجتنابه ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة.

الخلاصة

تحدث القرآن الكريم عن الإيمان بالمهدي المنتظر وعن موجبات ظهوره وحتمية الإعداد لهذا الظهور حديثا تفصيليا عميقا بعضه بلغة الرمز وبعضه بلغة لا يفهمها إلا أهل الباطن والعمق.

ها نحن الآن نقاتل هؤلاء الذين لم يكن أحد يعلمهم أو ينتظرهم باستثناء أهل البصائر الموالين للنبي وأهل بيته صلوات الله وسلامه.

دور المرأة المسلمة للتمهيد لظهور الإمام المهدي(عج)

الدكتورة نعيمة ابن فارس[1]

إن ظهور الإمام المهدي (عج) أمر عالمي جلل به تنتشر العدالة ويسود الأمن والأمان. والتمهيد لظهور الإمام مسؤولية عظمى ملقاة على عاتق كل مسلم ومسلمة. على الرجل المسلم التحلي بخلق أشرف المرسلين محمد (ص) بما في ذلك تهذيب النفس وصرفها عن الشهوات وأن لا يخاف في الله لومة لائم ناشدا بذلك الجهاد في سبيل الله ومؤازرة الإمام (عج) كما كان الحال عليه مع المجاهدين (٣١٣) مع النبي الأكرم (ص) في معركة بدر. إلا أن كل هذا لا يمكن أن يتحقق إلا بجهود أسرية مبنية على تعاليم الدين الإسلامي الحنيف. ولما نتكلم عن الأسرة فإننا نتكلم بالدرجة الأولى عن المرأة بصفتها زوجة وأم على الأقل. إن المرأة هي محور الأسرة إذا صلحت صلح المجتمع والعكس صحيح. وجود رجال متقين أتقياء ونساء صالحات يخافون الله عز وجل ويمتثلون لأوامره وأوامر الإمام (عج) لا يكون إلا بتربية صالحة ونشأة في أسرة متماسكة مركزها امرأة تعرف ما عليها من واجبات تجاه أسرتها من جانب ومن جانب آخر لا تتعدى حدود الشرع المقدس. إلا أننا في زمننا هذا وللأسف نجد أن المرأة المسلمة تخلت عن التعاليم الإسلامية ووقعت من حيث لا تشعر في شباك أعداء الإسلام راكضة وراء شعارات واهية تحت عنوان الحرية والمساواة. كيف تتخلص المرأة المسلمة من طعم الغرب وتتشبث بالتعاليم الإسلامية لتلعب دورها الكامل في الأسرة من ناحية حسن التبعل وتربية الجيل الناشئ هذا ما سنتطرق إليه هذه الورقة إستعدادا لظهور الإمام المهدي (عج).

المقدمة

منذ فجر التاريخ كان صلاح المرأة مرتبط بصلاح المجتمع وفسادها بفساده، فصلاحها بنيت حضارات وبفسادها هدمت. ونظرا للعلاقة القوية التي تربط المرأة بالرجل لكونها أم أو زوجة

---

١. الدكتوراة من جامعة كولومبيا.

أو ابنة فقد كان نجاحه أو فشله رهين بصلاحها أو فسادها أيضا. حيث أن الكثير من عظماء البشر كان وراء إنجازاتهم نساء وقفن إلى جانبهم، وكما يقول المثل وراء كل عظيم إمرأة.

ولنا في المرأة المسلمة الأعظم مثال. فخديجة بنت خويلد كانت أول إنسان عرف بما جرى للنبي (ص) في غار حراء. لما حدثته قالت له: (كلا، أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا؛ إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق) [1]. فكانت أول من آمن به وآزرت بالهادئة نصحت تواسيه وتسانده بكل ما أوتيت من قوة فخالقيه من صعاب وتتاعب من جراء عداء وأذى قريش في بداية رسالته. وكانت ثمرة هذا الحب الطاهر النقي المبني على حب الله هو ولادة فاطمة الزهراء (ع) التي لقبت بأم أبيها وسيدة نساء العالمين.

تلقت فاطمة الزهراء (س) تربية حسنة من أمها وأبيها ونشأت على التعاليم الإسلامية. كانت تتغنى بأبيها مثل ما تتغنى الأم بولدها، ووقفت بجانبه في وجه قريش وهاجرت معه وكانت نعم البنت الأعظم أب بل وأصلح زوجة للأتقى وأشجع رجل آمن بالرسالة المحمدية. إذ تزوجت علي بن أبي طالب فكانت توفر له الأجواء الملائمة في البيت ولم تتخل يوما عن مسؤولياتها المنزلية ولا عن واجباتها الزوجية. الكل يعرف إنصهارات علي بن أبي طالب (ع) وما قدمه من أجل إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى. وهذا لم يكن ليتحقق لولا إرتباطه بزوجة صالحة حفزته على النجاح ووفرت له السكن المطلوب. كل هذا لم يجعلها تتهاون في واجبها كام بل كانت خير أم نخيرة أبناء. كانت تتغنى بهم نفسيا وجسديا، ربتهم على الدين والفضيلة وغذتهم بالتقوى والإيمان. فتخرج عن هذه التربية الصالحة الحسنة أبناء سلع صيتهم في خدمة الدين الإسلامي الحنيف وفي الشجاعة والشهامة والتقى.

جيل بعد جيل بدأ المسلمون يبتعدون عن تعاليم وأحكام دينهم ويتبعون الشهوات والمغريات الدنيوية ولم تسلم المرأة المسلمة من هذا الإنحراف. خصوصا في زمننا هذا حيث تروى الفضيلة وسوء التربية وتفشي الموبقات، هذا الزمن الذي فيه ضعفت الروابط الأسرية وسلبت الطفولة وفقدت الرجولة وضاعت العفة. ولقد كانت المرأة أكثر من إنصاع للإنحراف. إن المرأة ساهمت بشكل كبير في إنتشار الفساد. إذ غدت المرأة مؤخرا ورقة مضاغطة ووسيلة ناجعة لتدهور القيمة الإسلامية والإضعاف شعوبها وبالتالي القضاء على الدين الإسلامي. وبهيهات لهم ذلك. قال الله سبحانه وتعالى: "يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون" [التوبة: ٣٢].

وسط ما نعيشه من إضطرابات وثورات وحروب أهلية، باتت الأمة الإسلامية في أمس الحاجة لظهور المنقذ الذي ينتظره الكثير من المسلمين ليخلصهم من ظلم الحكام وبأس الطغاة المتجبرين الحاقدين على ديننا الإسلامي الحنيف. وازداد شوق الأمة لرؤية خلافة إسلامية حقيقية مثلما كان عليه الحال في عهد رسول الله محمد (ص). حيث كثر الحديث مؤخرا عن الإمام المهدي (عج) وأصبح متداولا بين الناس بل وكثيرا ما يسمع في المساجد وفي بيوت المسلمين أدعية لتعجيل ظهوره المقدس. وفي خضم إرهاصات وعلامات الظهور التي نشهدها اليوم ولقنة الشام (الحرب الأهلية في سوريا) أكبر دليل على أن النصر لقريب. فالسؤال المطروح الآن ليس متى يظهر الإمام (عج) لأن بات جليا بأنه قريب ولكن السؤال ماذا أنجزنا لإستقباله وهل نحن مستعدون فعلا للغد ومعد في مهمة والنهوض معه في معركة النصر. هل الإحتفال بمولده كاف؟ أم المحاضرات والندوات الملتقاة عنه كافية؟. هل العدد ثلاثمائة وثلاثة عشر من رجال المسلمين مثل عدد أصحاب بدر جاهز للمضي مع الإمام؟ الكثيرون من يتخيل لهم أن هذا العدد سهل توفيره ولكن إذا تأملنا في الأمر فإننا نجده في هذا الزمن يكاد يكون مستحيلا. قال الإمام علي (ع): (إعلموا رحمكم الله أنكم في زمان القائل فيه بالحق قليل، واللسان عن الصدق كليل، واللازم للحق ذليل، أهله معتكفون على العصيان مصطلحون على الإدهان، فتاهم عارم، وشائبهم آثم، وعالمهم منافق، وقارئهم مماذق، لا يعظم صغيرهم كبيرهم، ولا يعول غنيهم فقيرهم.) [2]. وقال الإمام الحسين (ع): "الناس عبيد الدنيا،

والدين لعق على ذيولهم، يحوطونها مادامت معايشهم، فإذا مجصوا بالبلاء قل الديانون" [٣].

لهذا لن يظهر الإمام (عج) الا عندما نكون مستعدين لذلك الحدث العظيم. إذا حرى بالمسلمين أن يصلحوا أنفسهم وأن يعودوا للإحتكام القرآن الكريم والسنة الشريفة في شؤونهم دون اللجوء إلى القوانين الوضعية.

وعلى المسلمين أن يتحلوا بالغيرة على دينهم وأعراضهم وأن يجعلوا تربية المرأة ونشأتها من أولى الأولويات. وعلى المرأة المسلمة أن تتبع سبل النصح والإرشاد وتعرف أنه لم يعزها ولم يكرمها أحد قط كما عزها وكرمها الإسلام. ويجب أن تحذو حذو النساء المسلمات الصالحات وتنهج نهجهن وتمشي على خطاهن في حياتها اليومية والعملية سواء كغرد أو كزوجة أو كأم. وهكذا تستطيع أن تغير مجرى التاريخ، لتدفع الشعوب الإسلامية إلى الأمام للإستعداد والتمهيد لظهور سمي النبي (ص) الإمام المهدي (عج). من أجل الغد الموعود، غد مشرق مفعم بالأمل والعدل والإزدهار.

المرأة كفرد

في عصرنا الحالي وبما أن المرأة هي محور وعصب كل مجتمع من المجتمعات فإن أنظار الصيانة والدول الغربية انكبت على المرأة المسلمة وجعلت منها كوسيلة لإحاطة وتدمير العالم الإسلامي. فعمدوا بكل همتهم العدائية لتشويه الإسلام في نظرها وتشويه قيمه كالغلال وقيوده وأحكامه رجعية لا تساير التقدم الحضاري. أو بمعنى أن إظهار حجابها وقمعها في العلن أو التشبه بالرجال هو الحل الأنسب للحصول على الشهرة والمال أو كلاهما، مقتدية بالمرأة الغربية وما وصلت إليه من مكانة في مجتمعها. عندما نتكلم عن الجمال فإننا نضع الجمال الروحي جانبا لقلة ثمنه في هذا الزمن الأغبر ولفقدان قيمته وفقا للحظة التي رست للقضاء على الأمة الإسلامية ونتكلم هنا عن جمال المظهر فقط. إذ تخلت المرأة المسلمة عن حجابها وأصبحت تتفنن وتتسابق لإظهار مفاتنها محاولة تعريض جسدها لأخطر عمليات التجميل لتجعل منه أداة للربح الوفير، بل وحتى في بعض الأحيان كسلعة تباع وتشترى ويعبث بها كل ذو مال وعطاء.

هذا وللأسف ما نراه في العديد من لم نقل في معظم الدول الإسلامية (يجدر بالذكر أن المرأة المسلمة هناك براء وبها سواء العاطفة في الدول الإسلامية أو الغربية). تعتقد المرأة المسلمة اليوم أن التعري والخلاعة وعدم الحياء والإسترجال أفضل وسيلة للنجاح والتفوق في الحياة وأحسن وسيلة للتعبير عن مساواتها مع الرجل وإستقلاليتها وللوصول لمبتغاها. وأصبح الرقص والغناء من أهم الطرق للإرتقاء سلم المجد وتخدير عقول الشعوب. وإنه لأسلوب شيطاني محض لنيل المراد وأسلوب قذر لإدراك موازين الحياة مما نراه من عزوف عن الزواج والزواج المماثل ومناظر إباحية علنا أمام الملأ. إننا نعيش في زمن طغى عليه الفساد وإنحلال الأخلاق وكثرة الموبقات من تعاطي للخمر والمخدرات وتفشي الزنا. فمن الطبيعي في حكم المحيط وبوجود حكم النساء يصعب إيجاد رجال مسلمين متحمسين للجهاد والإستعداد لنهوض معركة المهدي (عج). من الطبيعي أن هؤلاء نساء وهن رأس الفتنة غير قادرات على إعداد أجيال صالحة ومتأهبة لوقت الظهور المقدس. لقد وقعت المرأة المسلمة في شباك خطة الصيانة لمالديهم من باع وخبرة في تدمير الأمم بواسطة فتنة المرأة. قال النبي (ص): (إن الدنيا حلوة خضرة. وإن الله مستخلفكم فيها. فينظر كيف تعملون. فاتقوا الدنيا واتقوا النساء. فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء) [٤]. وقال (ص): "ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء" [٥]. ولصيانة المرأة والحد من الفتن ولكي تعيش المرأة بكرامة وعفة أنزل الله عز وجل سورة النور وهي سورة مفروضة على كل المسلمين وأحكامها فرض نص لا

أصل. قال تعالى: "سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون" [النور: ١] ومن ضمن الأحكام التي جاءت في هذه السورة منجد الحجاب، قال عز من قائل: "وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن . . ." [النور: ٣١] وقال أيضا: "يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما" [الأحزاب: ٥٩]. فعلى المرأة المسلمة أن لا تحيد عن طريق الحق وأن لا تكون مصدر الفتن وعليها أن تتمثل بأوامر الله سبحانه وتعالى ورسوله الأكرم (ص) فتتردى حجابها الذي عفة وطهارة وستر وتجلد بالحياء وعدم التغني والدلال في الصوت. قال تعالى: "يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا" [الأحزاب: ٣٢]. وقال رسول الله (ص): (الحياء والإيمان قرنا جميعا، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر) [٦] وقال أيضا: (إن الله تعالى حيي ستير يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر) [٧]. والتبرج يعتبر من أعمال الجاهلية. إذ قال الله سبحانه وتعالى: "وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله . . ." [الأحزاب: ٣٣] والتبرج أيضا من الأفعال التي تسبب لصاحبها اللعن والدخول إلى النار، قال صلى الله عليه وآله وسلم: (يكون في آخر أمتي رجال يركبون على سروج كأشباه الرجال، ينزلون على أبواب المساجد، نساؤهم كاسيات عاريات، على رؤوسهن كأسنمة البخت العجاف، إلعنوهن فإنهن ملعونات. . . .) [٨] إذا يجب طاعة الله ورسوله واتباع الأوامر واجتناب النواهي وإذا تركت الطاعة استبدلت بالمعصية ومن عصى لن يدخل الجنة. قال تعالى: "وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا" [الأحزاب: ٣٦]. وقال رسول الله (ص): (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى. قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى) [٩].

إننا بهذا لا نريد أن نقول بأن تتقهقر المرأة حيويتها ودورها في المجتمع بل إنه من الضروري أن تحسن المرأة من مستواها الديني والاجتماعي والثقافي. إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي إهتم بالمرأة ومنحها الحقوق التي تكفلها من العيش بكرامة وإن القرآن لخير دليل على ما يريده الله سبحانه وتعالى من خصال في المرأة المؤمنة النموذجية إذ قال تعالى: "وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين، ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين" [التحريم: ١١ و١٢]. والكل يعرف مريم إبنة عمران التي كانت مثال العفة والطهارة وقد ذكرها الله سبحانه وتعالى وجعل سورة في القرآن الكريم باسمها (سورة مريم) وقد بلغ صيتها أنحاء العالم ولازالت مجسدة في الكثير من البلدان المسيحية سواء في الأماكن العامة أو في المنازل، ولم ترق لهذه المكانة بالتبرج والتعري والتبرج ولا بالبعد أو الإسترجال ولكن وصلت له بطاعة الله والإمتثال لأوامره والإبتعاد عن نواهيه (للمزيد من الإطلاع يمكن للقارئ أن يستعرض فلم مريم المقدسة للكاتب الإيراني محمد سعيد بهمنور).

هل هناك من قام بحرب من أجل إمرأة كما فعل النبي الأكرم محمد (ص) إذ قام بغزو بني قينقاع وطردهم بسبب إمرأة مسلمة حاول يهودي كشف عورتها فقام مسلم غيور على دينه فقتله وقتل المسلم من طرف اليهود؟

وقد عرف التاريخ الإسلامي مواقف بارزة للعديد من النساء المسلمات فاطمة الزهراء (س) عرفت بفصاحتها وبلاغتها وحكمتها قال النبي (ص): (حسبك من نساء العالمين

مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون، وأفضلهن فاطمة [10]. وقال علي (ع): إستأذن أعمى على فاطمة عليها السلام فجهشت فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لها: لم تجهشي وهو لايراك؟ فقالت عليها السلام: إن لم يكن يراني فإني أراه، وهو يشم الريح، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أشهد أنك بضعة مني" [11] وقد كانت عليها السلام لاترتضي الظلم في المجتمع وإن في خطبتها أمام الخليفة الأول (أبوبكر) بخصوص إسترجاع إرثها في فدك لدليل على قوة وصلابة وشجاعة المرأة المسلمة ودفاعها عن حقوقها ولو كان ضد حاكم أعظم دولة إسلامية شهدها التاريخ [12]. وكما يقول المثل من أين وذلك الفحص من تلك الشجرة، فإن زينب (س) بنت فاطمة الزهراء (س) أبدت مواقف رائعة وشجاعة حين دافعت عن علي بن الحسين (ع) الملقب بالسجاد في مخضر يزيد اللعين الذي أصبح رمزا خليفة على المسلمين في الشام فلم تسكتها القيود لتقول كلمة الحق.

أمثلة أم سلمة التي عرفت بحنكتها السياسية إذ كانت مستشارة رسول الله (ص) يوم الحديبية حيث رفض الصحابة الإمتثال لأوامره في نحر الهدي فأشارت عليه لما إستشارها أن يخرج ويخرجون أن يكلم أحدا ويعود عوده حالقا فيحلقه ولما فعل ما قالت قام الناس فنحروا.

جويرة بنت الحارث سيد قومه بني المصطلق إذ بإسلامها أسلم قومها وتزوجت النبي (ص). أما في مجال الجهاد فأول شهيد في الإسلام كانت إمرأة وهي سمية أم عمار بن ياسر وبشرها الرسول (ص) بالجنة. أما في ميدان التمريض والطب فقد برزت الصحابية الجليلة كعيبة بنت سعد الأسلمية المعروفة باسم رفيدة الأسلمية بتضميد الجروح، فكانت تذهب بصحبة جيوش المسلمين المجاهدين لتعالج الجرحى وقد قيل أنه أقيم لها خيمة في مسجد رسول الله (ص) كمستشفى لعلاج المصابين. وبهذا تعتبر خيمة رفيدة الأسلمية أول مستشفى في الإسلام. وقد ذاع صيتها بين معاصريها في فن الجراحة لهذا إختارها النبي (ص) لعلاج سعد بن معاذ عندما أصيب برمية حبانة في معركة الخندق. فكانت بهذا أول ممرضة وأول طبيبة على مدى العصور. وعلى مستوى الدفاع العسكري فأول جندية في الإسلام نسيبة بنت كعب (أم عمارة) إذ خرجت مع أهلها في معركة أحد لتسقي الجرحى فلما إنهزم من إدعوا أنهم أصحاب رسول الله (ص) فجعلت تباشر القتل وتذب عن رسول الله (ص) بالسيف وترمي القوس حتى أصيبت باثني عشر جرحا. أما في مجال العلم والمعرفة فإن السيدة نفيسة كانت أستاذة للشافعي وأحمد بن حنبل وابن قدامة صاحب موسوعة المغني. وقد ضربت الخنساء مثالا في الصبر والإيمان إذ قدمت في يوم واحد أربعة من أولادها شهداء في سبيل الله وذلك في معركة القادسية.

ومما سبق يتبين أن المرأة المسلمة برزت في شتى المجالات والميادين كالحقوق والجهاد والسياسة والدين والتمريض والطب وفصل الخطاب وكان هذا منذ سنوات السنين. ولم يكن أي تومين للمرأة أو هضم لحقوقها في أي مجال من المجالات وإرتقت أعلى وأهم المناصب بلباس إسلامي متقية الله جل وعلا ومتمثلة لأوامره وأوامر رسوله (ص). ولو إستمعت المرأة المسلمة المعاصرة لصوت الحق وصوت العقل ورجعت لإحكام المنطق فيما جرى عبر العصور لوجدت أن المرأة الغربية لم تطالب بحقوقها ولم تتقلد المناصب المهنية إلا في القرن التاسع عشر علما أنها كانت في العديد من الحضارات القديمة بنبوءة، لاقيمة ولاسيادة لها. فلما إختلطت المرأة بالرجل وأصبح جسدها معيارا للجمال تفشى الزنى وإنتشرت الدعارة وكانت المرأة سببا في سقوط هذه الحضارات. أما اليهود فحاولوا تعبيرها وتهيئتها إلى أن تغير الأمر فأصبحت سلاحا لغزو قلوب الرجال والسيطرة على العالم. وهذا ما نراه الآن يحصل مع الأمة الإسلامية. على المرأة أن تعلم أن الإسلام العظيم جاء ليطهر القلوب ويعلي من شأن المرأة ويبرز جمالها الحقيقي وهو جمال الروح الذي يتجلى في أخلاق وطيبة

وحنان المرأة. كما بين أن لها عقل وكيان وتستطيع أن تساهم في تقدم المجتمع شرط التزامها بتعاليم وأحكام وشرائع الدين الحنيف. ونحن الآن نرى إرهاصات الظهور، فعلى المرأة المسلمة أن تستيقظ من سباتها قبل فوات الأوان وأن تبتعد عن الضلالة وتتبع طرق الهدى والرشاد.

قال الشاعر [13]:

يا درة قد أرادوا جعلها أمة*** غريبة العقل غريبة النسب

هل يستوي من رسول الله قائده*** وما وآخر هاديه أبو لهب

وأين من كانت الزهراء نهوتها*** ممن تقفت خطى حمالة الحطب

فلتحذري من دعاة لا ضمير لهم*** من كل مستغرب في فكره خرب

أسموا وعارتهم حرية كذبا*** باعوا انخلاعة باسم الفن والطرب

هم الذئاب وأنت الشاة فاحترسي*** من كل مفترس للعرض مستلب

أختاه لست بنبت لا جذور له*** ولست مقطوعة مجهولة النسب

أنت ابنة العرب والإسلام عشت به*** في حضن أطهر أم من أعز أب

فلا تبالي بما يلقون من شبه*** وعندك العقل إن تدعيه يستجب

سليه من أنا؟ من أهلي؟ لمن نسبي؟*** للغرب أم أنا للإسلام والعرب؟

لمن ولائي؟ لمن حبي؟ لمن عملي؟*** له أم لدعاة الإثم والكذب؟

وما مكاني في دنيا تموج بنا؟*** في موضع الرأس أم في موضع الذنب؟

هما سبيلان يا أختاه ما لهما*** من ثالث فاكسبي خيرا أو اكتسبي

سبيل ربك والقرآن منهجه*** نور من الله لم يحجب ولم يغب

في ركبه شرف الدنيا وعزتها*** ويوم نبعث فيه خير منقلب

فإن أبيت سبيل الله فاتحدي*** سبيل إبليس رأس الشر والحرب

المرأة كزوجة

لكي يعم الدمار وتتشتت الأمة الإسلامية وللتضليل منها ومن دينها جاء أعداء الإسلام إلى تثقيف الأسر فعمدوا إلى ما أسموه بحرية المرأة، حرية زائفة لا تعبت للمعنى الحرية بأي صلة. إذا

كانت المرأة أثبتت بحريتها التعدي على حريات كل من حولها ومعروف أن حرية الفرد تنتهي عندما تبدأ حرية الآخرين. فمن أي حرية يتحدثون وإلى أي حرية يهدفون؟

إنساقت المرأة المسلمة وراء الشعارات الغربية فدخلت في معركة خاسرة. صدارت تشدد الحرية والمساواة بين الرجل والمرأة علماً بأنه ليس هناك نظام أعطاها حقوقها كالإسلام. لقد أصبحت المرأة لا تسمع إلا صوت نفسها تلك النفس الأمارة التي تدخل في متاهات لا نهاية لها وتأسر نفسها وتقيدها بأغلال وقيود من الصعب التخلص منها. فأرادت أن تتحرر فاستعبدت وأرادت المساواة فذلت وأهينت. خرجت باحثة عن الربح الوفير من خلال العمل لساعات طويلة أمضتها إرضاء صاحب العمل لتعود في آخر اليوم أو في بداية (هناك من تعمل ليلاً في المصانع) محملة بضغوطات الحياة العملية زيادة على التعب والإنهاك لا رغبة لها إلا في النوم للإستعداد ليوم آخر من العمل. إنها أصبحت أسيرة للزمن ولصاحب العمل إذ تسعى لإرضائه وتتمثل لأوامره وتخشى غضبه ناسية إرضاء الله عزوجل وغير مكترثة لمطالب الزوج وحقوقه عليها من أجل القليل من المال. مع الوقت تتربى عند المرأة خصلة الطمع وعدم القناعة وقلة الصبر وحب الذات أي كل ما هو نقيض الخصال الحميدة التي أوصى بها الإسلام لتربية الفرد وتهذيب نفسه. لقد أدى هذا إلى إزدياد المشاكل بين الزوج والزوجة حيث أصبحت الزوجة تقارن أجرتها بأجرة زوجها وربما بربح وأصبحت تريد بأي طريقة تحسين مستوانا الآن عيشتنا البسيطة لم تعد ملائمة لكفايتها بين صديقاتها. فأصبحت تريد سيارة جديدة وبيتاً فخماً وحلات وغيرها من متع الدنيا الزائلة. هنا نجد المرأة ألفت بنفسها في فخ الشيطان ودخلت في معمعة من الصعب الخروج منها إن لم نقل من المستحيل. وذلك لأن دخولها ودخل زوجها في كثير من الأحيان لا يسمحان بتوفير مطلبها فتضطر للإستقراض من البنوك الربوية التي نهى الله سبحانه وتعالى عنها فتصبح بذلك أسيرة للبنوك لعقد أو أكثر من الزمن. المعضلة الكبرى هي إذا رفض الزوج تصرفاتها الخاطئة المدمرة ولم يستجب لشروطها الطائشة فإنها تلجأ إلى الطلاق الذي تحصل عليه إما بالتفاق بين الطرفين (الزوج والزوجة) أو عن طريق الخلع. الغريب في الأمر أن المسلمة التي تلجأ إلى حلاً كهذا تصرفات تكون في أغلب الأوقات أم. إذ بمجرد الحصول على الطلاق تضطرب أولادها مهما تاركة الزوج وحيداً وحائراً متسائلاً ماذا يفعل بحياته. أو بعد كل هذه السنين من الزواج وبعد أن ضمن الإستقرار وكد وعمل في شبابه يأتي عليه زمن يدمر كل شيء ليبدأ من جديد. هل كان طيلة هذه المدة قطرة للمرأة لتعمل لمستقبلها أم كان مصدر حياتها كي تتمكن من أن تصبح أماً وتجد من يهتم بها في حتى عمرها؟.

وسط هكذا ظروف يصاب الرجل (إلا من عصم الله) بالإحباط أو بالأمراض العقلية، فهناك من يلجأ للمخدرات وهناك من يلجأ للخمور ومعاشرة الزنى وهناك من يلجأ للإدمان على حبوب للنوم من أجل الإنسان قد تؤدي به للإنتحار. أفيمثل هؤلاء رجال يتم التمهيد للإمام المهدي (عج)؟ أفيمثل هؤلاء رجال يحقق العدد الثلاثمائة وثلاثة عشر من أصحاب سمي النبي (ص)؟ كلا ولو إننا في هذا الوقت في أمس حاجة لظهور الإمام (عج) إلا إن الإمكانيات للإستعداد لحدث عظيم كهذا ضعيفة إن لم نقل منعدمة.

وبما أن القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان فنجد أنه قد تطرق إلى هذه الآفة الخطيرة التي تحيط فينا المسلمون. فلحكام الزمن إلا ونجده أعظم كلام شمل أعظم أحكام وتوجيهات تقينا من إبتلاءات هذا الزمن الأغبر. قال الله تعالى في كتابه الحكيم: "مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون" [العنكبوت: ٤١]. ثبت علمياً أن بيت العنكبوت رشيد من طرف الأنثى بواسطة مكونات فيزيائية تساعدها على نسج الخيوط وتكون هذه الخيوط أشد قوة من الفولاذ ومنسوجة بطريقة هندسية رائعة. لكن بالرغم من هذا فإن هذا البيت لا يقي من برد ولا من حر ولا من مطر وشديد التأثر أمام أي إضطراب أو إهتزاز خارجي. فترى العنكبوت إذا أحست بخطر يحدق بها تركته وذهبت إلا المكان آخر يقيها لأنها على يقين بأنه ليس هو المكان الآمن لها. أضف إلى هذا أن البيت خال من كل الروابط الأسرية ويفتقد للأمان والسكينة

والظالمية، إذ أن أنثى العنكبوت تتقض على الذكر الذي يلقحها فتقتله بمجرد تخصيب البيض فيكون بيتها أوهن البيوت لأنه بني على مظاهر خداعة وأساس هش. وهذا السبب عدم مشاركة الزوج في بناء البيت. وما أكثر ما نجد اليوم بيوتا مسلمة كبيت العنكبوت. إن من المدهش أن من بين النساء المسلمات اللواتي يسلكن هذا الطريق وتحذين حذو أنثى العنكبوت بين نساء مسلمات متحجبات يدعين إلى طريق الله سواء بإلقاء دروس أو محاضرات أو ندوات دينية. ومثل هؤلاء النسوة يفسدن في الأرض ويظنن أنهن مصلحات. الأمر هذا في حد ذاته شيء خطير. إذ أن شر الناس من يأتي الصالح في ذاته فيفسده وهو يدعي الإصلاح متكئا بذلك المسيحية في الكون. قال تعالى: "وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون" [البقرة: ١١] وقال تعالى: "قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا* الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا* أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا" [الكهف: ١٠٣-١٠٥].

لقد انخدعت المرأة المسلمة ووقعت تحت تأثير القوانين الوضعية الزائفة التي وللأسف تطبقها العديد من الحكومات الإسلامية المنتمية بالعالم الغربي بخصوص المرأة وحقوق المرأة، تلك الحقوق المدمرة والمهدمة للأسر الإسلامية. وإنها لمهزلة كبرى في التاريخ أن تتبع دول حاملة راية الإسلام قوانين وضعية عوض كتاب الله وسنة رسوله (ص). فاصبح الزواج شيء يستهان به والأسرة لا معنى لها والطلاق أيسر الحلول لكل الخلافات الزوجية. ولكن الإسلام كان سباقا للحد من هذه المعضلة الكبرى التي من شأنها تحطيم الأمة إذ وضع شروطا للطلاق.

في الإسلام لا يجوز وقوع الطلاق دون سبب لقوله تعالى: "وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا..." وأسباب الطلاق في الإسلام هي:

١. إصرار الزوج على التغيب عن زوجته أكثر من أربعة أشهر طلاق واقع منه وإن لم ينطق بألفاظ الطلاق وفي هذا قال تعالى في سورة البقرة "للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءو فإن الله غفور رحيم وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم".

٢. إرتكاب الزوج للزنى لقوله بسورة النور "الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة".

٣. إرتكاب الزوجة للزنى لقوله بسورة النور "والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك".

٤. الملاعنة وهو أن يرمي أي يتهم الزوج زوجته بالزنا زنا ويقسم على ذلك بالله أربع مرات وفي الخامسة يقول لعنة الله علي إن كنت من الكاذبين ويمنع العقاب عن الزوجة أن تقسم أنها بريئة بالله أربع مرات وفي الخامسة تقول لعنة الله علي إن كان من الصادقين. وفي هذا قال تعالى بسورة النور "والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ويدرؤا عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين" والعكس وهو رمي الزوجة زوجها بالزنى.

٥. إنزال الزوج الضرر بالزوجة سواء كان ضررا بدنيا تظهر علاماته المؤذية لها على جسمها أو ضررا نفسيا تظهر علاماته في سخط أو إسراف أو شتم لها أو سخرية منها أمام الغير وفي هذا قال تعالى بسورة البقرة "ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه".

٦. إصرار الزوجة على عصيان زوجها في المعروف وفي تلك الحالة لا يجوز وقوع الطلاق إلا بعد استنفاد وسائل الصلح والعكس صحيح وهو إصرار الزوج على عصيان زوجته في المعروف.

٧. وجود عجز عن الجماع عند أحد الزوجين." [14].

كما نرى أن الإسلام أتى ليعزز رابطة الزواج وهي أسمى علاقة تربط الرجل بالمرأة، والزواج الناجح هو الذي بني على حب الله ورسوله، الإيثار وكمران الذات، والتقوى. قال تعالى: "بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا" [النساء: ١]. والزواج سكن أساسه المودة والرحمة حتى لا يتعدو أحدهما على الآخر ولا يغدر ولا يخون. قال جل وعلا: "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون" [الروم: ٢١]. وعلى المسلم أن يختار المسلمة ذات أصل طيب وحسن. قال رسول الله (ص): (إياكم وخضراء الدمن!.. قيل: يا رسول الله!.. وما خضراء الدمن؟.. قال: المرأة الحسناء في منبت السوء) [15]. وعلى المرأة المسلمة أن تتحفظ وتتصف بصفات الزوجة الصالحة التي أمر بها الإسلام. قال أمير المؤمنين (ع): خير نسائكم الخمس، فقيل: وما الخمس؟ قال: السيئة، اللينة، المواتية، التي إذا غضب زوجها لم تكتحل بغمض حتى يرضى، والتي إذا غاب زوجها حفظته في غيبته، فتلك عادة من عمل الله لا تخيب) [16] قال الصادق (ع): (إنما المرأة قلادة فانظر ما تتقلد وليس للإمرأة خطر لا الصالحة ولا الطالحة: فالصالحة فليس خطرها الذهب والفضة، هي خير من الذهب والفضة. وأما الطالحة فليس خطرها التراب، التراب خير منها) [17] وعلى المسلم أن يختار المرأة المتدينة كزوجة له. قال رسول الله (ص): (من تزوج امرأة لا يتزوجها إلا لجمالها، لم ير فيها ما يحب، ومن تزوجها لمالها لا يتزوجها إلا وكله الله إليه، فعليكم بذات الدين) [18]. ولتحاول المرأة المسلمة جهد إمكانها عدم الإختلاط بالرجال. قال رسول الله (ص): (أخبروني أي شيء خير للنساء؟ فقالت فاطمة (س): أن لا يرين الرجال ولا يراهن الرجال، فأعجب النبي (ص) وقال: إن فاطمة بضعة مني) [19] ولتبتعد المرأة عن خصال المرأة الغربية الدنيئة التي تفقدها حشمتها وعفتها وتبعدها عن دينها. قال رسول الله (ص): (ألا أخبركم بشر نسائكم؟.. قالوا: بلى، يا رسول الله (ص)!.. قال: إن من شر نسائكم العقيم الحقود، التي لا تتورع من قبيح، المتبرجة إذا غاب عنها بعلها، الحسان مع بعلها، التي لا تسمع قوله، ولا تطيع أمره، إذا خلا بها بعلها تمنعت عليه تمنع الصعب عند ركوبها، ولا تقبل منه عذرا، ولا تغفر له ذنبا) [20]. قال النبي (ص): "خير نسائكم الودود الولود، المواتية، المواسية، إذا اتقين الله، وشر نسائكم المتبرجات المتخيلات، وهن المنافقات، لا يدخل الجنة منهن إلا مثل الغراب الأعصم" [21].

كما أن المرأة لا يجب أن تثقل كاهل الرجل وتطلب منه أشياء ليس في مقدوره تحقيقها أو توفيرها. قال تعالى: "لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها" [الطلاق: ٧]

من خلال ما سبق نجد أنه من الضروري أن تعي المرأة المسلمة جاهدة بحفظ الصيانة والغرب للنيل من الأمة الإسلامية واتخاذها وسيلة لذلك. وعليها أن تتسلح بسلاح الدين والتقوى وتتحلى بصفات الزوجة الصالحة أعلاه. يجب أن تكون ودودة ومواسية لزوجها، توفر له السكن والطمأنينة والسعادة والهناء وتحسن وانبار جوانحه وأحاسيسه في البيت بالنسبة لها ولأبنائها. يجب عليها أن تظهر له كل معالم الأنوثة في شخصها غير مسترجلة أو مستبدة، ملتزمة بواجباتها اتجاهه. عليها أن تعرف أن البيت الزوجي بنيه الزوجان معا وليس طرف

واحد والعبادة فيه تكون للرجل لما له من قوامة على المرأة. قال تعالى: "الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم" [النساء: ٣٤]. وعليها أيضا أن تتحلى بالعفاف والحياء وتستر على درب الطاعة طاعة زوجها وطاعة الله ورسوله (ص) وأن تغمر قلبها بحب الله سبحانه وتعالى. بهذا تكون قد وصلت إلى أسمى وأرقى درجات الحرية وهي عبادة الله الواحد الأحد. وهذا ما يجب أن يكون من أولى أولويات كل امرأة مسلمة وكل مجتمع إسلامي يؤمن بظهور المهدي (ع).

المرأة كالأم

الأم مدرسة إن أعددتها... أعددت شعبا طيب الأعراق

في وقتنا المعاصر وما تتطلبه الحياة العملية من تضحيات تم إهمال الأمهات المسلمات للأطفال من والإتكال على دور الحضانة تلافي عناء بهم. في المرحلة الأولى خصوصا في الشهور الأولى من حياة الطفل تتركه الأم طفلها مع قنينة من الحليب في دار الحضانة وقد تذهب مسرعة للعمل وكان العمل أهم من طفلها. تتركه في أيدي إمرأة غريبة لا تمت له بأي صلة لا من قريب ولا من بعيد ولا يعرف إن كانت ستعامله بلطف أم لا. ولكن للأسف وإن لم يستطع الطفل الكلام والتعبير عن رأيه الآن يكون قد تعلم أول درس له في الحياة وهو قساوة القلب (لا عجب أن يلقى الإبن أو الإبنة عند الكبر الأم في دار العجزة عندما تبلغ من الكبر عتيا). فعوض أن يرتوي الطفل من حليب أمه وهو يمتص ثديها فتقوى بذلك روابط المحبة والصلة بين الأم والطفل تعوض هذه العملية بشفط حليب الثدي ووضعه في زجاجة عوض أمه وحنانها. دار الحضانة هذه قد تستمر مع الطفل لمدة خمس أو ست سنوات. في هذه السنين والتي هي السنين المهمة لتوجيه الطفل للدين وتحفيزه على حفظ القرآن الكريم حيث يتمتع بذاكرة قوية وقابلة للإلتقاط المعلومات والحكمات بسرعة فائقة يكون الطفل بعيدا عن الأجواء الدينية ملتهيا بتعلم الموسيقى والأناشيد والألعاب. ليس هذا فقط بل يتعلم الطفل في دار الحضانة الأخلاق السيئة والعادات القبيحة بسبب الإختلاط مع أطفال آخرين وفي بعض الأحيان منتمين إلى ديانات أخرى. ومع غياب التوجيه الديني الصحيح يصبح الطفل بعيدا عن الإسلام وتعاليمه. هذا من جهة، ومن جهة أخرى إذا أضفنا عامل طلاق أو إنفصال الوالدين للأسباب التافهة التي أشرنا إليها فإن الكارثة تكون أعظم. فوسط جو بعيد عن الدين الإسلامي وغياب المرأة عن المنزل طيلة النهار وغياب الأب بسبب الطلاق أو الإنفصال يؤدي هذا إلى تعرض الطفل للأمراض النفسية والتبول في الفراش أثناء النوم ولو في سن متقدمة، وكذلك التأخر في الدراسة إذ أن قدراتهم الفكرية وطاقتهم على الإستيعاب أقل بكثير من أولئك الذين يعيشون مع أم وأب تحت سقف واحد. أما إذا كان الإبن ليس طفلا ولكن في سن المراهقة فإنه يكون أكثر الناس تعرضا لتعاطي المخدرات والإنحلال الخلقي وأخذ حبوب الهلوسة والإصابات بالأمراض النفسية التي قد تؤدي إلى الإنتحار، وهذا ما أثبته بحوث إجتماعية أجريت مؤخرا [22]. أضف إلى هذا إذا كانت الضحية فتاة وغالبا ما تأخذ البنت من أمها نموذجا ومثالا تقتدي به في حياتها وتحب أن تمضي على منواله فتكون المصيبة أعظم لأن التاريخ سيعيد نفسه والمشاكل ستفاقم آلاف المرات.

كل هذا نتج عن إبتعاد المرأة عن تعاليم الدين الإسلامي وتشبثها بأفكار أعداء الإسلام الذين يشنون حربهم الباردة على العالم الإسلامي بواسطة تلويث أفكار المرأة المسلمة. وللأسف قد انصاعت المرأة المسلمة وفق خطط الأعداء وقامت بأبشع الأعمال وهو ظلمها لنفسها ولزوجها ولأبنائها والظلم يعاقب عليه في الدنيا قبل الآخرة. إذا كان الله سبحانه وتعالى حرم الظلم على نفسه فكيف يحلله على عباده؟ قال تعالى: "ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد" [ق: ٢٩].

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا *** فالظلم آخره يأتيك بالندم

تنام عينك والمظلوم منتبه *** يدعو عليك وعين الله لم تنم

ولتعلم المرأة أن الدنيا دار زوال ولتعمل للآخرة التي هي دار البقاء. قال علي بن أبي طالب (ع) (حينما طلب منه امرء كان قد تربع حب الدنيا على قلبه أن يكتب له عقد الشراء بيت كان ناويا أن يشتريه) [23]:

النفس تبكي على الدنيا وقد علمت... أن السعادة فيها ترك ما فيها

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها... إلا التي كان قبل الموت بناها

فإن بناها بخير طاب مسكنه... وإن بناها بشر خاب بانيها

أموالنا لذوي الميراث نجمعها... ودورنا لخراب الدهر نبنيها

أين الملوك التي كانت مسلطة... حتى سقاها بكأس الموت ساقيها

كم مدائن في الآفاق قد بنيت... أمست خرابا وأفنى الموت أهليها

لا تركنن إلى الدنيا وما فيها... فالموت لا شك يفنينا ويفنيها

كل نفس وإن كانت على وجل... من المنية آمال تقويها

المرء يبسطها والدهر يقبضها... والنفس تنشرها والموت يطويها

إنما المكارم أخلاق مطهرة... الدين أولها والعقل ثانيها

والعلم ثالثها والحلم رابعها... والجود خامسها والفضل سادسها

والبر سابعها والشكر ثامنها... والصبر تاسعها واللين باقيها

والنفس تعلم أني لا أصادقها... ولست أرشد إلا حين أعصيها

وا عجل لدار غداً رضوان خازنها... والجار أحمد والرحمن ناشيها

قصورها ذهب والمسك طينتها... والزعفران حشيش نابت فيها

أنهارها لبن محض ومن عسل... والخمر يجري رحيقا في مجاريها

والطير تجري على الأغصان عاكفة... تسبح الله جهرا في مغانيها

من يشتري الدار في الفردوس يعمرها... بركعة في ظلام الليل يحييها

على المرأة المسلمة خصوصا المرأة المترقبة لظهور الإمام المهدي (عج) أن تتشقق من غفوتها وتعرف أنه لا يمكن التلاعب بأحكام الدين ولا يمكن وضع يد في الماء ويد في النار. فإما أن تكون مؤمنة بكل ما تحمله الكلمة من معنى ودونك بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وإما أن تتبع شهوات ومغريات الغرب وتحلل ما حرم الله ورسوله (ص). فإن إختارت الأولى فعليها بطاعة الزوج والحرص على سعادته وتحفيزه على طاعة الله ورسوله (ص). وعليها بقراءة القرآن الكريم حتى إذا حملت تولد عند الجنين في بطنها حب الله تعالى وحب كتابه الحكيم، إذ أن هناك أطفال لما تعلموا النطق في الأشهر الأولى من عمرهم نطقوا آيات من الذكر الحكيم. وعند السنة الثالثة من عمر الطفل تقوم الأم بمشاركة الأب بتشجيعه على حفظ القرآن الكريم وتمرينه على الصلاة عند بلوغ السابعة. أما إذا كانت الطفلة فتاة مجباة والداها في التاسعة من عمرها حتى لا يصبح الحجاب أمرا صعبا عليها في الكبر. وعلى الأم والأب معا الإهتمام بأصدقاء الأطفال لأن المثل يقول قل لي من تعاشر أقول لك من أنت وكذلك مراقبة القنوات الفضائية التي تتردد على مشاهدتها زيادة على المراقبة المشددة عند إستعماله للإنترنت. ولما يبلغ الولد العشرينات من عمره ويشتد عوده ينصحانه بالزواج من أجل التحصن بالإضافة إلى تذكيره وحثه على الإيمان بالإمام المهدي (عج) والعمل على أي يكون من أصحابه والإستشهاد بين يديه الكريمتين.

هكذا نكون ضمنا مجتمعا مبنيا على تعاليم المصطفى (ص) وهكذا يكون التمهيد للإمام المهدي (عج).

المرأة في المجتمع

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت. فإن هموذهبت أخلاقهم ذهبوا

إذا أصلحت المرأة المسلمة نفسها كفرد وكزوجة وكأم صارت إمرأة تقتدي بها في المجتمع وكانت مثالا يحتذى به في كل بيت. وأصبح كلاهما يستمع إليه ونصائحها تتبع ووجودها محبب وسط النساء والعائلات. في هذه الحالة تصبح المرأة المسلمة ملزمة بالقاء ندوات أو محاضرات أو كتابة مقالات أو إعداد برامج توعية تتحدث فيها الناس عن الإمام المهدي (عج) وكيفية الإستعداد لتمهيد الظهور المقدس. زيادة على هذا ربما تكون مرشحة لصحبة الإمام (عج) في معركة الفتح والنصر المنتظرة، بما أن الروايات تذكر أن خمسين إمرأة صالحة ستكون من ضمن الثلاثمائة وثلاثة عشر من أصحاب الإمام (عج).

الخاتمة

عندما نتحدث عن الإمام المهدي (عج) يجب أن نعرف أنه خليفة الله في الأرض وبقية الله وهو عين الله في خلقه، عنده علم الدين وحكم. كحكم داوود (ع). الإمام حاكم عادل لا تأخذه في الله لومة لائم ولا شفقة ولا رحمة في الظالم ولا تنفع إيمان أحد إلا من آمن قبل ظهوره. لذا على المرأة المسلمة أن تبتعد عن الشبهات وكل ما يتعارض مع الدين وتقتدي بالنساء الصالحات في عهد النبي (ص) وأن تصلح كل ما بساطتها إصلاحه في المجتمع حاملة شعار التوحيد ومهتدية بالهدي القرآني والنبوي قبل فوات الأوان.

تشكرات

في هذه المقالة أتوجه بالشكر والإمتنان لرفيق عمري زوجي الدكتور أحمد الهاشمي لمساعدته في تنقيح هذه المقالة وتشجيعه المتواصل لي.

المصادر

(1) صحيح مسلم ـ الصفحة أو الرقم: ١٤٠

شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ـ ج ١٣ ـ الصفحة ١٢(2)

(3)تحف العقول: ٢٤٥، بحار الأنوار ٧٥: ١١٧

أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب أكثر أهل الجنة الفقراء...، رقم (٢٧٤٢).(4)

رواه البخاري في صحيحه (رقم ٤٨٠٨، ج ٥، ص ١٩٥٩).(5)

الجامع الصغير ـ الصفحة أو الرقم: ٣٨٦١(6)

الصغير ـ الصفحة أو الرقم: ١٧٢٩(7)

صحيح الترغيب ـ الصفحة أو الرقم: ٢٠٤٣(8)

صحيح البخاري ـ الصفحة أو الرقم: ٧٢٨٠(9)

(10)عوالم العلوم: ص ٥٣ رقم ٥

(11)بحار الأنوار ٤٣

(12) http://al-shia.org/html/ara/others/index.php?mod=monazerat&id=105
(13) http://forums.fatakat.com/thread744346
(14) http://ejabat.google.com/ejabat/thread?tid=1abe4be294c00b66

(15)معاني الأخبار ص ٣١٦

(16) أمالي الطوسي ١/ ٣٧٩

(17)معاني الأخبار ص ١٤٤

(18)روضة الواعظين ص ٤٧٤

(19)مصباح الأنوار

(20)الغايات ص٩٢

(21)الراوي: أبوأوفى الصدفي المحدث: الألباني_ المصدر: السلسلة الصحيحة_ الصفحة أو الرقم: ١٨٤٩

خلاصة حكم المحدث: صحيح

(22) Patrick F. Fagan and Aaron Churchill, "Effects of divorce on children, " Marriage & Religion Research Institute (2012)

(23) http://www.taranime.com/vb/showthread.php?t=28525

التحليل الفلسفي للتنبؤات: إجابة إسلامية عن الأسئلة الكونية بعد سقوط فلسفات التاريخ الغربية

الدكتور محمد عبداللاوي[1]

مدخل

إن الاهتمام بموضوع التنبؤات هو حاجة العصر والمرحلة وهو موضوع تحتد موقعه في زمان نهاية الطوباويات، وفي نفس الوقت ضرورة التطلع إلى المستقبل بصورة أو بأخرى سواء عن طريق الخيال (أي عن طريق الطوباوية) أو عن طريق العقيدة أي عن طريق المهدوية).

إن التنبؤات ذات مصدر متعالي (غيبي) أي فوق ـ تاريخي ولا يكمن فهمها من خلال الابستمولوجيا التي تتمحور حول النزعة التاريخية (Historicisme). غير أنه لا يمكن الكشف عن حجم التنبؤات وعن حقيقتها إلا بدراستها مقارنة بالتيارات الفلسفية الكبرى خاصة فلسفات التاريخ الغربية شريطة أن تكون هذه الدراسة بعيدة عن محاولة التوفيق بين المضمنات الفلسفية للتنبؤات وبين المفاهيم الفلسفية الملازمة للتيارات الفلسفية الغربية. فالمفاهيم الفلسفية تكشف عن الحجم الفلسفي (الكوني) للتنبؤات. فعندما ننظر إلى التنبؤات من خلال الرؤية الفلسفية إلى التاريخ ندرك بأن التنبؤات تمنح للأمة في علاقتها بالمستقبل العمق الزماني الذي تعجز كل فلسفات التاريخ عن منحه أو عن صياغته أو تنظيره.

---

١. قسم الفلسفة جامعة وهران الجزائر.

ومعنى هذا أن المقاربة الفلسفية إلى التشوهات تفتح الطريق لصياغة فلسفة جديدة في المجال المعرفي وفي مجال الرؤية الفلسفية إلى التاريخ على وجه الخصوص. فالتشوهات على غرار المهدوية ظاهرة تتجاوز التاريخ لذلك فإنها تبحث العقل من الاستغراق في الوضعية التي لازمت عقل الأنوار(١) الذي يجسد في الغرب الانقلاب على الرسالات السماوية.

فالمصدر الغيبي للتشوهات(٢) يغير طاقات الفكر التي لاتنفذ شريطة أن تتم الدراسة على أساس منهجي يتجاوز مجرد سرد الأحداث والاستغراق في دائرة العجب والتعجب. فالدراسة المنهجية للتشوهات تفتح أفقا جديدا للفكر يؤدي إلى إعادة نظر جذرية في عقل الأنوار الذي تأسست عليه كل الأنساق الفلسفية الغربية الكبرى والتي انتهت اليوم إلى موت الايديولوجيات وموت الإنسان كذات. فالتشوهات ينبغي أن تدرس حسب مطلبات "ثقافة الوحي" أولا وحسب مطلبات المنهج الذي عن طريقه تتم صياغة المفاهيم وليس مجرد القراءة المريحة للتشوهات، وهي القراءة التي لاتتجاوز الاعتبار العائم أو ردا الفعل على قساوة حاضر الأمة، فلا يمكن فهم التشوهات والكشف عن كل جوانبها وأبعادها بدون فلسفة. فالطرح الفلسفي لمشكلة التشوهات هو الذي يبين مدى طاقتها المفاهيمية التي تجعلها تتفاعل بصورة تقديمية مع التيارات الفلسفية الكبرى المعاصرة.

وهكذا فإنه لايمكن دراسة التشوهات (في الرؤية الإسلامية) بدون ربط التاريخ بالغيب، فإن المنهج يتجاوز الدائرة النظرية ليتفاعل مع عالم التطبيق والممارسة: حيث أن الشعوب الإسلامية تعيش، بصورة أو بأخرى علاقة التاريخ بالغيب.

إن المنهج الذي تعتمد عليه فلسفات التاريخ الغربية في تطويرها للرؤية المستقبلية هو منهج بعيد كل البعد عن محاولة لربط التاريخ بالغيب لأن حضور الغيب في الدراسة والمنهج يعني في منظور الفكر الغربي، غياب العلم وغياب المعرفة العلمية والمنهج اللازم لها.

لذلك نجد دراسة تفرغ التشوهات من محتواها الغيبي تبقى دراسة دون الهدف المطلوب. فدراسة الظواهر ذات المصدر الغيبي كالرسالات السماوية والتشوهات يجب دراستها من موقع التفاعل بين الغيب وموضوعية حركة التاريخ. فعلاقة التشوهات بالغيب تقتضي منهجيا تجاوز منهج التحليل بمنطق العلم الوضعي جملة وتفصيلا.

إن تجاوز الغيب للعقل لايعني تجاهل العقل وإبعاده في محاولة الفهم والتحليل.

إن التشوهات كظاهرة ذات مصدر فوق تاريخي تتجاوز عجز فلسفات التاريخ الغربية عن الرؤية الاستباقية للتاريخ وللأحداث، فالرؤية الاستباقية لايمكن تبريرها في مجال فلسفة التاريخ والعلوم الإنسانية على العموم عن طريق المنهج العلمي بالمعنى الوضعي للعلم.

لذلك فإن وجود التشوهات يقتضي بالضرورة أن هناك عجزا في المنهج الذي تعتمد عليه العلوم الإنسانية الغربية، خاصة فلسفة التاريخ، كما أن وجود التشوهات يقتضي بالضرورة صياغة منهج جديد يكشف عن حقيقة وجود معرفة للاتجاه حركة التاريخ في خطوطها العامة أي معرفة تتجاوز تخمينات فلسفات التاريخ الغربية وتوقعاتها التي دحضها الواقع. فمن حيث الأفق العام لحركة التاريخ فإن التشوهات تضمن المعرفة التاريخية من الوقوع في الأخطاء الكبرى، وهذا يرجع إلى المصدر الغيبي للتشوهات.

وعلى العموم، ونتيجة لما تقدم وفي ما يخص منهج دراسة التشوهات، يجب محاولة الكشف بصورة مستمرة عن أبعاد التفاعل بين الغيب والتشوهات كتشوهات تتخذ موقعها في عالم الأحداث الموضوعية. إن منهجية الربط بين الغيب وحركة التاريخ تحول التشوهات إلى أداة تحليل للآفاق وليس للنهاية لأن حركة التاريخ عندما تكون منفتحة على الغيب فإنها، كحركة إنسانية، لاتعرف النهاية بالمعنى الهيجلي والوضعي على العموم. إن هذا المنهج يفتح الطريق لفهم التشوهات في سياق التسنن التاريخي للكونية الإسلامية البديلة.

التنبوات في الرؤية الاسلامية وفي فلسفات التاريخ الغربية

فلسفات التاريخ الغربية، خاصة فلسفة يسجل وماركس (٣)، اصطدمت بمشكلة المستقبل ومشكلة النهاية بسبب انغلاق هذه الفلسفات في سجن النزعة التاريخية. اي بسبب غياب مفهوم التعالي عن هذه الفلسفات. وهو غياب يجسد انقلاب عقل الأنوار على الرسالات السماوية. ونتيجة لذلك أصبحت كل صور المستقبل مجرد "وعود تاريخية" فاصبحت هذه الوعود سجنا للمستقبل لانه لايمكن لفلسفة على غرار فلسفة يسجل وماركس، لايمكن رغم تركيزها على الصيرورة ان تفتح الجدلية على الآفاق ومن هنا أصبح المستقبل أو الوعود رهينة للتاريخ.

إن تنبوات فلاسفة التاريخ الغربيين قد دحضها الواقع. فهيجل تنبأ انطلاقا من رؤيته الفلسفية إلى التاريخ التي جعلت الله يحرك في التاريخ ونحو التاريخ: تنبأ بموت فلسفيا بان الروح الكوني سيتجسد في الدولة (الدولة البروسية) كمنتهى للصيرورة التاريخية. فالقومية الألمانية تجسد من هذا المنظور، الروح المطلق: هذه القومية هي، بمعنى ما، شعب الله المختار، في حين أن الحقيقة غير ذلك وان معنى التاريخ له صورة اخرى، فالتاريخ له معنى آخر غير المعنى الذي صاغه يسجل وتنبأ على أساسه لمسار الأحداث. فالدولة الألمانية لم تجسد الله في التاريخ فهي ليست تجسيدا "لحركة الله في العالم كما يقول يسجل، بل هذه الدولة توسعت عن طريق الحرب فاصبحت دولة مهيمنة.

وهكذا فالتنبوات كما تتجلى في الإسلام تدحض تنبوات يسجل.

فالتنبوات في الرؤية الاسلامية هي تنبوات في أفق التعارف والمعيارية وليس في أفق شعب الله المختار، اي في أفق الكونية الغربية القاتلة والمستغلة للشعوب.

إن موقف الإنسان من المستقبل يتم في دائرة الانطباع والتوقع كحالات ذاتية وعقلية. ونفس الأمر بالنسبة للافتراض أو "الفرضية" إلا أن الفرضية أكثر تجذرا في العقل وفي اللاحظة ذات الأفق التجريبي، ولكن تبقى الفرضية قفزا في المجهول لم يتم التحقق من صحتها عن طريق التجربة.

وهنا تتجلى حقيقة التنبؤ والتنبوات فالتنبؤ في سياق الدين الموحى هو "عطاء إلهي"، اي هو "إمداد غيبي" ولا دخل للعقل في وجوده. فالمصدر الاصلي للتنبؤ هو مصدر غيبي (٤) فهو جانب من جوانب العناية الإلهية، حيث أن الإنسان لايمكن أن يغامر بمستقبله اي بمصيره بالاستناد إلى مجرد الانطباع والافتراض. فهذا العصر قد كشف عن مآل الأنظمة السياسية الكبرى وعن مآل الرؤى المستقبلية التي كانت تستند عليها هذه الأنظمة (اي فلسفات التاريخ الغربية والأنظمة السياسية الملازمة لها).

إن وجود التنبوات يعني أن مصير البشرية ليس متروكا للتخمينات الفكرية وليس متروكا للجزء والافتراض اي لطريقة المحاولة والخطأ التي قتلت أنظمة سياسية كبرى، ومازالت تقتل.

فالتنبوات ليست متوجا تاريخيا، فهي، كما ذكرنا غيبي، تتجاوز المعطيات التاريخية. اي التنبوات بمعناها العقائدي هي وحدها اليوم القادرة على تحرير الفكر وفلسفات التاريخ والممارسات السياسية التي تقوم على أساسها، هي وحدها القادرة على تحرير كل ذلك من سجن النزعة التاريخية. النزعة التاريخية هي المنتج المباشر والابن الشرعي لعقل الأنوار الذي جاء نتيجة للانقلاب على الرسالات السماوية.

إن ربط الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية بافق التنبوات ذات المصدر الغيبي يعني المغامرة بمصير الشعوب ومصير البشرية كلها وتركه فريسة للتوقعات التي دحضتها الأحداث في هذه المرحلة التاريخية.

إن علاقة الإنسان بالتنبوءات هي علاقة عقائدية ودور التنبوءات هو دور مصيري حاسم لأن البشرية أصبحت مسجونة بين مآسي الرعب من المستقبل وهيمنة شعب الله المختار في صورة الصهيونية والغربية الهيجلية. فالتنبوءات تفتح الآفاق وتحرر البشرية من الصيرورة التي انتهت إلى "النهاية". فالتنبوءات تفوق وتتجاوز كل المفاهيم التي ترتكز عليها مشاريع الدول واستراتيجياتها(٥). وقوة التنبوءات تزداد قوة لأنها ليست منفرلة بل تتحد موقعها في المهدوية الإسلامية التي تفوق كل المهدويات وتتميز عنها من حيث الدقة والوضوح والابتعاد عن الأوهام والأساطير.

ولأن التنبوءات هي ذات مصدر غيبي عقائدي ولأنها تتفاعل مع المهدوية بل هي جزء ملازم لها وبعد من أبعادها، فإن التوقعات والانطباعات وما يلازمها من مشاريع واستراتيجيات، هي في سياق التنبوءات، واقع ولكنه واقع مصيره الزوال ويتم التعامل معه من هذا الموقع وليس من موقع نهاية التاريخ في صورتها الهيجلية الأمريكية اليوم.

فالتعامل مع الواقع المهيمن تم حسب أفق التنبوءات المهدوية وحسب مطلبات الواقع والمرحلة، أي تم عن طريق الانتظار الذي يستحوذ حول التمهيد: فالانتظار والتمهيد يجسدان حقيقة التنبوءات ودورها في الواقع الحي، في واقع الأمة يحاكم التعامل معه في إيران اليوم، فمهما كانت قيادة الأحداث وهيمنتها فإنها لا تصمد أمام التنبوءات وتتحول إلى حوادث نسبية لا تأثير لها على وعد الله بنصر المستضعفين. وهذه هي الحادثة الكونية الوحيدة والوعد الثابت والدائم الذي يتجاوز التاريخ ولا يمكن فهمه بأدوات التحليل الملازمة للنزعة التاريخية وللعلوم الإنسانية في صورتها الغربية.

التنبوءات تفتح آفاقا جديدا للتطهير في مجال فلسفة التاريخ

تؤسس التنبوءات لصياغة رؤية فلسفية إلى التاريخ بعيدة كل البعد عن ذاتية ووثوقية فلاسفة التاريخ، وهي وثوقية انتهت إلى الغرور الواضح، إذ كيف يتسنى لفيلسوف التاريخ المنفصل عن التعالي، أن يخرج من حاضر التاريخ، أي تجرد من المؤثرات التاريخية ليرى أو ليتصور التاريخ في آفاقه المستقبلية إلى منتهاها (نهاية التاريخ)(٥) فهنا تتجلى حقيقة التنبوءات التي تفتح التاريخ الذي أغلقته فلسفات التاريخ الغربية بصورة نهائية في الأنظمة السياسية الغربية، وبوجه الدقة في الديمقراطية الليبرالية الأمريكية.

لقد زالت اليوم كل وثوقيات فلسفات التاريخ الغربية، وأصبح الفكر الغربي الذي كان مرتاحا بالاعتماد على فلسفة التاريخ الهيجلية والماركسية، أصبح تائها في متاهات المطلق المزيف. هذه الحالة الأسوأ على صعيد الفكر والمعرفة والتطهير لا يمكن مجاوزتها إلا بتغيير المرجعية تغييرا جذريا: باللجوء العقلدي والمعرفي إلى المرجعية الحقيقية التي تكفي نفسها بنفسها. هذه المرجعية هي وحدها التي تجتث الفكر من مآسي استمرارية تجارب المحاولة والخطأ ومن مآسي الطرح الجزئي للقضايا وترفعه إلى مستوى الطرح الكلي الذي يؤسس للتطهير وفتح الآفاق أمام الممارسة بالانطلاق من التنبوءات كأرضية عقائدية وإيمانية. فالتنبوءات تقتضي رؤية كلية إلى التاريخ حسب مطلبات الخطوط العامة للمفاهيم الدينية الناجحة بحركة الشعوب عبر التاريخ. (٦)

وهذا يؤسس لرؤية أخرى إلى التاريخ تختلف جذريا عن المثالية التي كانت منتهى مسار الفلسفة الغربية على يد هيجل. وهذا الاختلاف له نتائج خطيرة لأنه يعني القطيعة مع الفكر السياسي الهيجلي ومع رؤية الفلسفة إلى التاريخ. وفي الحقيقة إن الغرب يشن أقسى عدوانا على الأمة الإسلامية اليوم باسم المفاهيم الملازمة للفلسفة هيجل. أي باسم الرؤية الهيجلية

إلى السياسة وإلى التاريخ. فهيجل كان يرى (التجاوز الفلسفي) بأن الحضارة الغربية هي منتهى حركة التاريخ الكوني.

إن التجاوزات في السياق الإسلامي تدحض الفلسفة الغربية التي تتمحور حول فلسفة بعجل والتي تدعي بأنها تحتوي الواقع والتاريخ كله عن طريق العقل كعقل يكفي نفسه بنفسه. فالتجاوزات هي تجاوزات لمستقبل آخر غير المستقبل في صورته الهيجلية أي الغربية وهي تجاوزات تتحدى الفلسفة المثالية الألمانية قمة ومنتهى الفلسفة في الغرب. فالتجاوزات تكشف عن الواقع وعن المستقبل بصورة أفضل وأدق من الفلسفة الغربية التي تتمحور حول العقل الذي يكفي نفسه بنفسه وذلك. لفضل حقيقة هذه التجاوزات فالتجاوزات كإمداد غيبي تعطي لعملية التنظير في مجال السياسة وفلسفة التاريخ، الأساس والمرجعية الضامنة.

ومعنى هذا أن التجاوزات تلازمها عقلانية منفتحة على الغيب وتتجاوز العقلانية الوضعية التي تختنها الحمأة. فالتجاوزات لا تعبر عن "اللامعقول" كما تدعي العلوم الإنسانية الغربية بل تعبر عن يتجاوز العقل. أي تلازم التجاوزات صورة جديدة للعقلانية تحرر المعرفة من يمنة عقل الأنوار الذي انقلب على الرسالات السماوية فصل بين العقلي والروحي وبين الدنيوي والأخروي فأسس لثنائية قاتلة انتهت اليوم إلى تبرير الأمر الواقع أي تبرير ما هو موجود اليوم كواقع قائم: تبرير زوال المعنى ويمنة العدمية والعبث على جوانب الحياة السياسية والثقافية والاقتصادية. فالفلسفة الغربية اليوم وبعد سقوط فلسفات التاريخ وسقوط نظريات التقدم (٧) وانغلاق الآفاق تحولت إلى فلسفة مبررة لحاضر مستمر أي للأزمة مستمرة.

وهكذا إن الدراسة الفلسفية للتجاوزات تؤسس لعقلانية جديدة، ولنظرية جديدة في المعرفة ولميتافيزيقا جديدة ولرؤية فلسفية جديدة إلى التاريخ تتمحور عقلانيا ومعرفيا حول التوحيد.

لكن كان التجاوزات تتجاوز التاريخ إذ لولا هذا التجاوز لما وجدت تجاوزات ولأصبح الإنسان سجينا للحاضر كحاضر مستمر وبدون أفق، فإن العقل الملازم للتجاوزات يتجاوز العقل الوضعي الذي يقوم على رؤية ثلاثية: الحقيقة موجودة في التاريخ ولا وجود لحقيقة خارج التاريخ، لكن العقل المنفتح على الغيب يخرق جدار التاريخ، أي يتجاوز الضرورة التاريخية (٨) التي ألهت التاريخ، وهذا لا يعني نفي العوامل التاريخية ونفي دور التاريخ بل يعني التفاعل مع التاريخ من موقع مجاوزته وتوجيهه وترشيده، وهذه المجاوزة لها صورتها الخاصة عند الأنبياء والأوصياء ومنها تستمد التجاوزات مصدرها وآفاقها التي تتحدى فلسفة العلوم وتتحدى الاستمولوجيا التي لم تتحرر بعد من وثوقيات عقل الأنوار.

التجاوزات في سياق وأفق المهدوية

إن التجاوزات، عكس ما يراه الفلاسفة اليهود الألمان الذين يمثلون الفلسفة المثالية الألمانية تثبت بأن المهدوية في الإسلام ليست متجاوزا تاريخيا بالإطلاق، أي ليست مجرد حالة تعويضية تلجأ إليها الشعوب للتعويض عن آلامها، كما أن المهدوية ليست مجرد فكرة أو رؤية مستقبلية، فوجود التجاوزات هو إمداد غيبي في أفق الظهور المهدوي فالتجاوزات تستمد كل معانيها بفضل موقعها في الخط المهدوي كوعد إلهي وإمداد غيبي، فالمهدوية ليست كما يرى (جرسوم شوليم gershom sholem)(٩) بأنها "مرتبطة بتجربة الإخفاق". وهكذا فالتجاوزات تكشف عن حقيقة المهدوية: هي إمداد غيبي وليست استجابة تعويضية على على كوارث تاريخية، التجاوزات تكشف عن جانب من جوانب الزمان المهدوي، وهو جانب له أهمية كبرى. لقد تاهت المهدويات اليوم بين مهدوية الدخول في التاريخ عن طريق السياسة بمعناها المتبدل والقاهر للشعوب على غرار المهدوية الصهيونية (١٠) وبين مهدوية

الابتعاد عن التاريخ والمحاولة المستمرة (للخروج من التاريخ) كما يرى الفلاسفة المثاليون الألمان ذوو الأصل اليهودي ومن تبعهم اليوم من اليهود. في حيث أن المهدوية في الإسلام و كما تجلى من خلال التنبوءات هي مهدوية لا تتخذ موقعها في الاستقطاب الأحادي (الدخول في التاريخ أو الخروج من التاريخ) على غرار المهدوية اليهودية، فالمهدوية على غرار كل الرؤى الإسلامية تتمركز من الرؤية الجزئية والتجزيئية للقضايا. فالتنبوءات كلها تدل على التفاعل بين الزمان المهدوي والزمان التاريخي. فالسير نحو الظهور

(وهذا ما تدل عليه التنبوءات عن طريق العلامات) هو مسار أي حركة تتم في التاريخ من موقع العلاقة بما يتجاوز التاريخ.

فزمانية الأمة هنا هي زمانية لها خصوصيتها الأنها زمانية تتمحور حول الدين ولم تنفصل عنه على غرار الزمان الغربي: الزمان التاريخي للأمة الإسلامية هو زمان ممسك بالدين عقائدياً وسياسياً ولم ينقلب على الرسالات السماوية باسم العقل (عقل الأنوار) أو باسم التاريخ (الشرعة التاريخية) فهنا تعجز الاستمولوجيا عن فهم حقيقة التنبوءات وحقيقة المهدوية اللازمة لها لأن الابستمولوجيا قائمة على وثوقيات عقل الأنوار ومن هنا فهي لا تربط التاريخ بما يتجاوزه وحتى الفلاسفة الغربيين الذين حاولوا اللجوء إلى التعالي لتفسير الظواهر الاجتماعية والتاريخية لم يتحرروا من سجن المحايثة التي تنفي الغيب وذلك على غرار الفيلسوف ماكس شيلر M.sheller الذي حاول اللجوء إلى التعالي كالتعالي في المحايثة وليس خارجها. وهكذا فمفهوم التعالي عنده يلبي إليه الفكر الغربي هو تعالي بدون غيب وبدون إله، لذلك فإن ربط التنبوءات (والمهدوية) بعلاقة المحايثة بالتعالي وعلاقة التاريخ بالغيب هو حل للمشكلة التي اصطدمت بها كل المهدويات الفلسفية والدينية خاصة المهدوية اليهودية في جانبها الذي يؤكد على التجرد من التاريخ والابتعاد عنه. هذه المشكلة مرتبطة بمشكلة التقدم: هل التقدم يقوم على أساس الاستمرارية أم على أساس القطيعة فإذا كان يقوم على أساس الاستمرارية فإن المهدوية تتموج تاريخي، أي المهدوية تأتي كنتيجة لمقدمات، أما إذا كانت حركة التاريخ تقوم على أساس منطق القطيعة فإن المهدوية تأتي في صورة (انبثاق) أي بصورة فجائية.

إن وجود العلامات ينفي هذه الثنائية ويعتبرها مشكلة مزيفة، فالعلامات وجوداً ذو مصدر متعالي ولكن دورها ترشيد حركة التاريخ وتوجيهها في الطريق الصحيح: الطريق نحو الظهور(١١)، لذلك تتخذ المهدوية موقعها في الزمان التاريخي كزمان منفتح على ما يتجاوز التاريخ، ومن هنا فهناك استمرارية بحركة التاريخ ولكن هذه الاستمرارية لا تكفي لفهمها بقهما لأحداث الظهور و نشر العدالة والتقدم، وهنا تتجلى معنى الإبداع الغيبي الذي لا يمكن فهم التنبوءات والعلامات بدونه: الإبداع الغيبي ليس مجرد نتيجة ضرورية للمراحل التاريخية التي سبقته بل هو "استحقاق" ملازم لمسؤولية الإنسان ودوره في التاريخ، على هذا الأساس يجب التأكيد على حقيقة التنبوءات كحقيقة تفتح الطريق أمام الأمة لتمارس دورها من موقع الاسترشاد بالعلامات، فالعلامات ترشد وتوجه حركة الأمة نحو المستقبل "الموعود" فهنا مفهوم الإبداع الغيبي هو الذي يزيل التناقض بين الصورتين لحركة التاريخ: الاستمرارية والقطيعة، وتجدر الإشارة إلى أن المفكرين اليهود لجؤا إلى مفهوم القطيعة ليبرروا "الظهور" كظهور مصدره غيبي ونتيجة لذلك، كظهور "فجائي" أي كانبثاق لا يخضع لتسلسل الأحداث، لتسلسل حركة التاريخ.

وهكذا يمكن القول بأن التحليل الفلسفي للتنبوءات يكشف ما يلي

أولاً: تعدداً جذرياً "ورفضاً" لفكرة أن التاريخ بكل في ذاته كتاريخ يكفي نفسه بنفسه، بكل معنى ومسار نحو هدف.

ثانياً: ضرورة صياغة رؤية جديدة إلى التاريخ كتاريخ منفتح على الغيب، أي منفتحاً على ما يتجاوزه، هذه المجاوزة يجسدها الظهور كإبداع غيبي ويجسدها وجود التنبوءات كإبداع غيبي

كذلك.

ثالثاً: التبوّءات في الأفق المهدوي هي تحد جذري لعقل الأنوار الذي يعتبر المهدوية كمنتوج تاريخي أي كنتيجة لحركة التاريخ دون وجود أي عامل خارج عن التاريخ.

رابعاً: إن التبوّءات تعني أن المهدوية لا تقتضي السببية، ولكن السببية هي شرط ضروري ولكنه غير كافي، فالسببية لا تكفي لفهمها بتمامها، فهي غير قادرة على تفسير "الظهور" كما أنها غير قادرة على تفسير وجود التبوّءات، فالتبوّءات على غرار الظهور تقتضي علاقة بالغيب ولا يمكن تفسيرها بالعوامل التاريخية بل هي التي "تفسر" العوامل التاريخية.

خامساً: وجود التبوّءات يؤسس لمسار فكري خارج الرؤية السجلية إلى التاريخ، وهذا المسار تجسده دولة الثورة الإسلامية بقيادة ولاية الفقيه، وهو المسار الوحيد اليوم لأن كل المحاولات لمجاوزة يسجل بقيت محاولات جزئية ولم تصل إلى حجم الأفق الفكري للتبوّءات في سياق وأفق المهدوية في الإسلام وفي سياق الدولة المهدية بقيادة ولاية الفقيه.

التبوّءات تستقطب معنى التحقق والاستكمال وليس معنى نهاية التاريخ

إن مفهوم التبوّءات هو على عكس مفهوم النهاية (تاريخ) مفهوم مشبع بالتاريخ، يكمل معنى التاريخ كحركة ومستقبل لذلك فإن مفهوم يستفز الفكر لإعادة صياغة رؤية فلسفية جديدة إلى التاريخ. أما مفهوم نهاية التاريخ فإنه ينهي كل شيء لأن الصيرورة التاريخية قد وصلت إلى منتهاها النموذجي في الدولة الجرمانية "حسب يسجل" وفي الديمقراطية اللبرالية الأمريكية اليوم (حسب ف. فوكوياما) ولا شيء غير ذلك وبعد ذلك، فبدلا من أن تكون فلسفة يسجل التي تتمحور حول الصيرورة بدلا من أن تكون محررة للشعوب ومهدة للفلسفة التاريخ التي تمهد الطريق أمام الصيرورة، فبدلا من كل ذلك أنهت فلسفة يسجل التاريخ فصلت البشرية بإنهاء الحياة التاريخ التي تجسدها أمريكا اليوم،

وهنا تجلى حقيقة التحقق والاستكمال اللازمة للتبوّءات، تتجلى هذه الحقيقة كحقيقة توحيدية تفتح الآفاق لأن ليس الله هو الذي يتحرك في التاريخ كما كان يرى يسجل بل التاريخ هو الذي يتحرك نحو الله فحمل التبوّءات تقوم على أساس أن مصير الإنسان في التاريخ مبني على علاقة الإنسان والتاريخ والكون كلها بالله تعالى علاقة تعبدية. فالنتائج تكون إيجابية أو سلبية كارثية حسب صورة هذه العلاقة أي حسب مستوى عمقها التعبدي ووعي الإنسان بهذه العلاقة. وإذا كان التجديد ينفي القطعانية بصورة أو بأخرى ويؤسس بعد عقل الأنوار، للنهاية يتجه التعالي وينعكس كل ذلك في مجال التنظير للتاريخ وللسياسة فإن التوحيد تلازمه عقلانية صارمة تفعل العلاقة بين الإنسان والتاريخ من موقع العلاقة بالمهدوية التي تستلهمها الشعوب الإسلامية تعبيدة وليس كمجرد فكرة أو نظرية، والتي يزداد وضوحها وإلزاميتها بفضل التبوّءات. فالتجربة تبين أن التنظير الذي يقوم على أساس العقل الوضعي انتهى إلى كارثة سقوط فلسفات التاريخ في عصر تحتاج فيه البشرية إلى من يرشدها وينيرلها الطريق، إن الفلسفات التاريخ التي تتمحور حول "الصيرورة" انتهت إلى مفهوم "النهاية" و التنظير لنهاية التاريخ. في حين أن الرؤية المستقبلية التي تنفتح على الأفق المهدوي والتي ترشدها التبوّءات وتنيرلها الطريق، هذه الرؤية المستقبلية لم تجمد وتنهي حركة التاريخ لأنها رؤية تتمحور حول التوحيد. أي تفتح التاريخ على ما يتجاوزه لذلك فإن المفهوم اللازم لحركة التاريخ في هذا السياق التوحيدي هو مفهوم "الاستكمال" وليس مفهوم "النهاية". فالاستكمال حركة مفتوحة لأنها ترتبط بالمطلق أي بالتعالي الحقيقي وليست حركة محجوزة في محايثة التاريخ.

كل المفاهيم اللازمة لفلسفات التاريخ الغربية، وهي كلها فلسفات ومفاهيم تتمحور حول فلسفة يسجل في الأغلب الأعم، كل المفاهيم مثل نهاية التاريخ والصيرورة التي تكفي

نفسها بتهما والجدية والتقدم ونهاية الفلسفة... كل ذلك يقتضي اليوم النقد الجذري لأنها أصبحت مفاهيم لامتلاك الإجابة عن الأسئلة الكونية. فالتنوعات، كتنوعات ذات مصدر يتجاوز التاريخ، هي التي تفتح الطريق على صعيد الفكر. و الممارسة للإجابة عن الأسئلة الكونية التي تم تغييبها منذ الانقلاب الذي أحدثه الغرب على الرسالات السماوية عن طريق عقل الأنوار كعقل يكفي نفسه.

إن الإجابة عن الأسئلة الكونية ليست إجابة إسلامية بالمعنى السوسيولوجي "بل الإجابة الإسلامية بالمعنى العقائدي والمعرفي معا. أي إجابة تتم صياغتها بصورة "اجتهادية". فالفكر الاجتهادي المنفتح على الفلسفة والعرفان اليوم هو الوحيد الذي يتمتع بالمرجعية الضرورية والكافية لمجابهة عقل الأنوار وما يحتويه من فلسفات اجتماعية وتاريخية. إن مجابهة عقل الأنوار ومجاوزته هي مقدمة ضرورية للإجابة البديلة عن الأسئلة الكونية التي تطرحها البشرية حول مصيرها الدنيوي والأخروي معا. فالفكر الاجتهادي يقوم على النص الموحى كخازنه يتسير في مجال صيانة موقف الأمة من المستقبل بالتنوعات كتنوعات ذات مصدر فوق تاريخي. فسواء نظرنا إلى التنوعات من الناحية المعرفية أو من الناحية السياسية فإن نظرية نهاية التاريخ هي مأزق وأزمة واصطدام بالانسداد والعجز والتخبط في هذا العجز لأن الأزمة مستمرة. فحل المحاولات هي مجرد محاولات تكرارية للامتلاك الكامل للمستقبل النهاية لأن محاولات تتم في حضن التاريخ كتاريخ مأزوم وليس كمرجعية ضرورية وكافية. ولأن الأمر كذلك فإن نهاية التاريخ تابعة للتجربة وتابعة منها. لكن نهاية التاريخ حقيقتها تتجاوز حدود العقل. وهذا ما تقدمه التنوعات كإمداد غيبي. فالتنوعات ترشد التجربة في دائرة الفكر والتنصير وفي دائرة الممارسة وتحفظ التجربة من الوقوع في الأخطاء الكبرى بصورة مأساوية فلا يكون تصور نظاما سياسيا يسير في سياق التنوعات والعلامات اللازمة لها (على غرار النظام السياسي الإسلامي في إيران) لا يمكن أن نتصور أن هذا النظام يحظى خطأ ماثلا للأخطاء التي أدت إلى سقوط جدار برلين أو الأخطاء التي ستضع نهاية للديمقراطية الليبرالية المسلحة، إيديولوجيا نظرية نهاية التاريخ.

لا وجود إلى يومنا هذا لرؤية فلسفية إلى المستقبل تدحض حقيقة التنوعات في صورتها الإسلامية. فالرؤى المستقبلية اللازمة لفلسفات التاريخ الغربية والتوقعات اللازمة لها تقوم على الفراغ، تقوم على تجربة تقوم بدورها على الفراغ وتتجه نحو المجهول إلى درجة أنها أصبحت اليوم تصوغ النظريات لتبرر زوال المعنى ولتبرر المجهول ومن هنا مفهوم موت الثورة والرعب من المستقبل.

على هذا الأساس يمكن القول بأن المساءلات الكونية التي تتمحور كلها حول كونية السؤال عن المستقبل: هذا السؤال الكوني يجب عليه الإسلام والتنوعات جانب من جوانب هذه الإجابة. فالتنوعات ذات المصدر العقائدي هي وحدها التي تتمتع بالقدرة على الاستباق، وهي وحدها التي تتجاوز استحالة الخروج من التاريخ.

وفي الحقيقة ليس التاريخ هو الذي انتهى بل الانقلاب على الرسالات السماوية هو الذي وصل إلى منتهاه المأساوي والكارثي. وفي هذه المرحلة من العصر تجد الثورة الإسلامية ودولتها نموذجية الرجوع إلى خط الرسالات السماوية. يمكن القول بأن في هذا العصر هناك ما قبل الثورة الإسلامية وما بعد الثورة الإسلامية. أي هناك الانقلاب على الرسالات السماوية وهناك العودة إلى خط الرسالات السماوية.

وهكذا يمكن القول بأن مفهوم النهاية بكلمة تتجلى في فلسفات التاريخ الغربية التي تتسير في خط فلسفة يتجلى هو مفهوم ملازم للرؤية الكارثية إلى المستقبل. لكن الكوارث تختلف معناها وآفاقها بين سياقين: سياق التاريخ المنفصل عن الغيب وسياق التاريخ المنفتح عن الغيب. الكوارث التي تتخذ موقعها في التاريخ المنفصل عن الغيب هي كوارث

تستقطب معاني الهلاك واليأس والاستغراق في الحاضر المأساوي: إنها شر مطلق لأن الكلمة الأخيرة للشر. أما عندما تتخذ الكوارث موقعها في التاريخ المنفتح على الغيب فإن الكوارث تستقطب معاني النسبية وتعني أن الشر في سياق الخير هو شر لا وجود له أي وجوده هو وجود غير حقيقي لأن مصيره إلى الزوال. إن الكوارث كما تتجلى في مطلق التحولات تعني، من الناحية الفلسفية، مجاوزة الرؤية المسيحية إلى التاريخ التي ترى أن "التاريخ هو محكمة العالم" (١٢). فهذه الرؤية تخلق الآفاق وتبرر كل ما يقع باسم التاريخ "فكل واقعي معقول وكل معقول واقعي". فنهاية التاريخ في سياق هذا المزج للواقع في المعقول وللمعقول في الواقع ومزج ما يجب أن يكون في ما هو كائن يعني عجز البشرية في محايثة مطلقة. لقد أوعد عقل الأنوار بأن الإنسان التاريخي أي الإنسان الذي يصنعه التاريخ سوف يكون الإنسان المثالي. لكن التاريخ اليوم لم يتنه إلى منتهى نموذجي مثالي، لم ينته إلى منتهى يعطيه المعنى، ومعنى هذا أن التاريخ الذي قامت على أساسه كمرجعية مطلقة كل الأنظمة السياسية في الغرب هو تاريخ لم تكن له معاييره ولا معالم (على غرار المعالم اللازمة للمهدوية الإسلامية) ولم يكن له مسار نحو منتهى وهدف. فنهاية التاريخ في هذا السياق هي نموذجية للكارثية وليست نموذجية للخيرية. فالتاريخ كقوة تحمل نفسها، أي كمطلق مزيف، هو تاريخ منفتح على الكوارث: هو عدم في عدم. أما حقيقة التاريخ في سياق التحولات فهي حقيقة تعبدية. فاعله هو الذي يحكم على العالم وليس التاريخ كما يدعي يجعل. فالتاريخ موجها وليس مترو كا للمجهول ولغياب القيم والغاية. ففي هذا السياق ينفي الكلام عن استكمال حركة التاريخ وليس نهاية التاريخ. "ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون" (٢١_١٠٥).

التحولات وإشكالية الكونية بين مفهوم الأمة الإسلامية ومفهوم شعب الله المختار

إن التحولات تعطي الأرضية العقائدية والمعرفية لرؤية فلسفية إسلامية إلى التاريخ تعبر عن الكونية وليس عن القومية والدولة القومية فحسب، أو عن الغرب، حصرا على غرار فلسفة يجعل فالتحولات ليست محدودة في دائرة العرق والجغرافيا بل في دائرة أوضح هي الدائرة الكونية لمفهوم الأمة الإسلامية كمجتمع منفتح على كل الشعوب وكل الثقافات، يقوم على معايير روحية وثقافية وسياسية لا علاقة لها بالعرق أو غيره من المعايير الطبيعية. فالأمة من هذا المنظور، وكما تتجلى في التحولات، هي البشرية كلها. وهي ليست مطلقا بل حركة. هي في تحقق مستمر والتحولات هي في حقيقتها معالم وعلامات في المسار. علامات ترشد الأمة وتوجهها. ولأن الأمة هي هوية كونية تشمل كل الشعوب على أساس هدف وقيم ومفاهيم تتجاوز الهويات الضيقة، فإن التحولات الكونية تشمل البشرية بكلها. فالتحولات تعطي دورا كونيا لكل الشعوب. فليس هناك شعب الله المختار في صورة اليهودية أو في صورة الغربية التي صاغها يجعل وغيره من فلاسفة التاريخ الغربيين. فكونية التحولات تقتضي كونية الدور. أي الدور الذي يقوم على أساس روحي وأخلاقي ضامن وليس على أساس أخر يضبط المتغيرات. وحقيقة مفهوم الأمة الإسلامية هي من بين كل المفاهيم السياسية والثقافية التي تتمتع بالصفات التي تجعلها تحتوي تعدد الثقافات والأعراق داخل مبدأ الوحدة على أساس التنوع داخل التنوع داخل الوحدة.

هذا التنوع داخل الوحدة هو الذي يتمتع بالطاقة المعيارية والعقدية على استيعاب حقيقة التحولات والتفاعل معها كتحولات كونية. وهذه المرحلة التاريخية تؤيد هذه الرؤية حيث سقطت فلسفات التاريخ وزلزلت الرؤى المستقبلية ونتج عن ذلك الرعب من المستقبل بدلا من المستقبل الذي كانت تعد به فلسفات التاريخ: المستقبل الذي يسلمه التاريخ عدلا وتقدما.

إن التشوات تؤسس لوعي تاريخي يتمحور حول الدين. الأحداث كموضوع التشوات هي أحداث حية توجد في تاريخ حي وليست أوهاما أو خيالات أو طوباوية أنتجها الفكر. فوجود التشوات يعني في الأساس أن الأمة توجد في التاريخ وتعي وجودها في التاريخ بعمق عقائدي لأن "الظهور" عقيدة ولأن التشوات عقيدة. وهذا الموقع في التاريخ يعطي صورة لعلاقة الأمة بالزمان التاريخي تختلف جذريا عن موقف المهدوية اليهودية بكاهانه وحلله الطلائعة المثاليون اليهود الألمان الذين يرون بأن وجود اليهود في التاريخ يتناقض مع المستقبل المثالي الموعود لليهود من دون الناس لأن الصيرورة التاريخية تعني وجود تداول بين النهضة والانحطاط. واليهود كشعب الله المختار يجب عليهم أن "يخرجوا من التاريخ". أي يجب عليهم أن يتحدوا مسافة من التاريخ هذه المسافة هي التي تضمن مستقبلهم المهدوي الموعود (١٣).

وعلى عكس هذه الرؤية فإن التشوات في السياق المهدوي الإسلامي تعني التفاعل مع حركة التاريخ، التفاعل مع الأحداث مهما كانت قساوتها أو كارثيتها أحيانا. هذا التفاعل هو الذي يوصل الأمة إلى مستوى استحقاق الإمداد الغيبي. فالتشوات تعالج مشكلة من أعقد القضايا الفلسفية: مشكلة العلاقة بين المادي والروحي، بين عالم الشهادة وعالم الغيب، بين التاريخ وما يتجاوز التاريخ. إن ثنائية المادي والروحي والمقدس والمدنس كل ذلك جعل الخلفية اليهودية الألمانية تتقمر من التاريخ لتحفظ "شعب الله المختار" من الدخول في تداول النهضة والسقوط اللازم لحركة التاريخ (١٤). في حين أن الأمة الإسلامية كأمة التنوع داخل الوحدة الأخلاقية والبشرية هي أمة في تحقق مستمر، هي مستمرة في مسار الاستكمال وليست شعب الله المختار. هذا التحقق يعبر عن التفاعل مع حركة التاريخ. وهو تحقق تعطيه التشوات صورة واضحة ودقيقة. فالأحداث التاريخية "علامات". أي أحداث يجب التعامل معها لتوجيهها وليس الخضوع لها والاستسلام لمسارها (١٥).

فموقف الأمة من التاريخ هو موقف التفاعل أي "التمهيد" وليس الخروج من التاريخ والارتماء في المثاليات الحالمة باسم نموذجية شعب الله المختار الأسطورية أو باسم الدين بمقراطية الميسيرالية كمنتهى لحركة التاريخ في حين أنها دينا بمقراطية مستغلة للشعوب.

وهكذا نخلص من مهدوية شعب الله المختار والمهدوية الفلسفية اليهيجلية تخرب العالم لأنه لا وجود لثوابت القيم. فغياب القيم حول كلا من الكونية الغربية والكونية اليهودية إلى كونية قاتلة للشعوب والثقافات. هي حاضر مستمر لا أفق له لأنها كونية تقوم على القوة والقوة واقع ووجود أي هي "ما هو كائن" وليس "ما يجب أن يكون". هي أمر واقع يريد الاستمرار. ومعنى هذا أن مفهوم شعب الله المختار يشمل صورتين للكونية: الكونية الغربية (كونية نهاية التاريخ) والكونية الدينية اليهودية. فغياب الانفتاح على الآخر (الشعوب غير الغربية والشعوب غير اليهودية) يعني زوال الأفق والانسداد. هذه الصورة الكونية ليس لها زمان تاريخي لأن الزمان التاريخي تلازمه صيرورة النهضة والانحطاط أي التداول.

وإذا كانت الكونية اليهودية تلجأ إلى "الخروج من التاريخ" عن طريق العبادات لتحافظ على استمراريتها (١٦) فإن الكونية الغربية كما تجلى في المهدوية الفلسفية (اليهيجلية) خرجت من التاريخ بلجوئها إلى نظرية نهاية التاريخ: أنهت التاريخ وحولت نفسها إلى نموذج مطلق ونهائي لا يمكن تجاوزه.

تجاه هذه الكونيات المبشية تتمتع كونية الأمة الإسلامية بالقيم التي تقتسمها على كل الشعوب وتتمتع بالتشوات التي تميزها الطريق في حركتها عبر الزمان التاريخي وتفعل كونية الأمة مع الزمان التاريخي. لذلك فإن الحجم العقائدي والتاريخي والسياسي والثقافي للتشوات لا معنى له إلا من موقع الحقيقة الكونية والدور الكوني للأمة الإسلامية.

التلازم بين مفهوم التحولات ومفهوم الثورة ومفهوم الأمة

إن وجود التحولات يعني وجود إمكانيات للتغيير والثورة، في حين أن فلسفات التاريخ الغربية التي تتمحور حول فلسفة يسجل تنفي كل إمكانيات للأمل وتغلق الآفاق: فلا أمل ولا إمكانية إلا الخضوع لما هو كائن لأن ما هو كائن واقع ومعقول ومعقول وواقع في نفس الوقت كما يرى يسجل. فالتحولات تستقطب معاني وقيم التمرد والرفض، فالطاقة التمردية للتحولات تساهم في تغيير التاريخ. فمن هذا المنطور إن التحولات تعتبر تمردا "لروح العصر". بمعناه الهيجلي لأن مفهوم روح العصر(١٧) يبرر الأمر الواقع أي يبرر قوة القوي وضعف الضعيف. فلا معايير ملزمة في روح العصر وبالتالي لا وجود لإمكانية للتحرر من الواقع المهيمن في حين أن حقيقة التحولات حقيقة معيارية تفتح الطريق بصورة عقلانية ملزمة نحو ما يجب أن يكون.

لذلك يمكن القول بأن مفهوم الصيرورة التاريخية الذي صاغه يسجل هو تنظير لصيرورة محدودة بل جد محدودة بل لا وجود لها مقارنة بالصيرورة اللازمة للتحولات لأن هذه الصيرورة الأخيرة لا تنطلق من المبدأ الهيجلي "إن التاريخ تحكمه العالم" بل تنطلق من مبدأ العلاقة التعددية بين الكون والله. فالصيرورة اللازمة للتحولات تفتح كل المفاهيم اللازمة لكبار فلاسفة التغيير والثورة كمفهوم البداية والصيرورة والتقدم. فالفكر اللازم للتحولات بصورة ضمنية أو صريحة يجابه اليوم ويتجاوز عن طريق ولاية الفقيه تحديات عصر الأنوار والعقل الوضعي ووثوقيات فلسفة يسجل وماركس.

هذه الصورة للتاريخ هي التي تحرر البشرية وليست الصورة الهيجلية التي أثبتت التجربة اليوم كارثية مهدويتها، فالتحولات عكس فلسفات نهاية التاريخ، تفتح الأفق لصورة أخرى للمستقبل كبديل كوني لاستمرارية الحاضر الذي حوله الفكر الغربي، عن طريق الديمقراطية التمثيلية الأمريكية، إلى نموذج كوني ونهائي لا يمكن تجاوزه.

وهكذا فالتحولات يلازمها معنى جديد للتاريخ وتلازمها تغيرات كونية تتمحور حول هوية عقائدية وسياسية كونية هي الأمة الإسلامية.

ومن هنا لا يمكن أن تموت الثورة في العالم الإسلامي على غرار ما يقع اليوم في الغرب حيث ماتت الثورة بموت الإيديولوجيا وسقوط وتلاشي فلسفات التاريخ الغربية. فالأفق الذي تكشف عنه التحولات ليس أفقا كارثيا لأن نقيض التحولات ليس الأمر حتمية عابرة، فمصير الأمة هو مصير مهدوي وحاضر الأمة لا يكفي نفسه بنفسه، ومحركها لا يكفي نفسه بنفسه: فهناك الإمداد الغيبي الذي يمكن من واقعية المحاية بحماية يمنة الغرب على الشعوب المستضعفة. فالأمة لا تصطدم بجدار المجهول أو الرعب من المستقبل. ما هو أمام الأمة، حتى في أقصى مراحلها ما هو أمامها هو باب الممكن، الممكن الذي يتجاوز دائرة التجربة، أي يتجاوز "ما هو كائن" وكل التحولات، بما تحتويه من علامات، تعطي للأمة صورة التحقق المستمر والحركة، الحركة التي لا يمكن تصور وجودها بدون ثورة جذرية، أي بدون "نفي أبدي" تتجاه الكونيات القاتلة والمهيمنة: "ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا" (٤_١٤١).

هذا النفي هو تناقض وجودي وكوني لا يعرف التركيب. فهو يجد ثورة كونية تقودها قيادة كونية (ولاية الفقيه) وليس مجرد إصلاحات جزئية(١٨).

وقد انطلقت ولاية الفقيه من هذه الأرضية العقائدية هو أو جدت حالة جديدة كانت الأمة في أشد الحاجة إليها: الولاية حولت التحولات، وما يلازمها من تطلع الشعوب الإسلامية، إلى سياسة وإلى رؤية سياسية متفاعلة مع رؤية مستقبلية. أي حولت التحولات، أو على الأصح، استنبطت من التحولات القيم والمفاهيم الأساسية لإعادة بناء الأمة عن طريق الثورة والدولة. في هذه المرحلة مرحلة موت الثورة في الغرب. ولعل النظام السياسي الإسلامي في إيران اليوم هو النظام الوحيد الذي يتمتع بالذخر الاستراتيجي ذو المصدر العقائدي،

ذلك الذخر الذي حول إيران من إيران الجغرافيا إلى إيران الأمة الإسلامية. أي إيران الآفاق المنفتحة على التنبؤات التي بفضلها يتجاوز النظام السياسي سياسة الأمر الواقع بصورة مستمرة وكل ذلك عن طريق "الصبر الاستراتيجي" الملازم للعلاقة العقائدية والثورية بحاضر الأمة بمستقبلها الموعود عقائدياً.

الخاتمة

إن العقلانية الغربية لا يمكن أن تفهم حقيقة التنبؤات. التنبؤات بالنسبة إليها صدمة لا يمكن الاستجابة بها إلا بنفور العقل. ونفس الأمر بالنسبة للثورة الإسلامية في إيران فهي ظاهرة صدمت العقلانية الغربية التي تعتبر أن الفصل بين الدين والسياسة بديهية من البديهيات لا تقبل النقاش. فما زال الفكر الغربي، وبقطع النظر عن المواقف المسبقة والمؤامرات، ما زال الفكر الغربي تجاه الثورة الإسلامية ودولتها في حيرة لا يمكن أن تؤسس لدراسة حقيقية ومنتجة. إلا إذا تحولت الحيرة إلى سؤال. إشكالي أي إلى إشكالية تطرح مشكلة العقل والعقلانية والوحي والتاريخ للبحث من جديد وخارج وثوقيات العقل الوضعي ووثوقيات فصل العقل عن الغيب وفصل السياسة عن الدين.

إن الواقع اليوم يدحض كل صورة المهدوية الفلسفية الغربية والمهدوية اليهودية في حين أن المهدوية الإسلامية وما يلازمها من تنبؤات وعلامات لم يكذبها الواقع، بل على العكس، التنبؤات وعيناها في هذه المرحلة الثورة الإسلامية. فدولة الثورة الإسلامية يجب إدراجها في سياق التنبؤات والعلامات كمعالم مفصلية في حركة الأمة نحو المستقبل الموعود. فالتنبؤات لا تهزها رياح التاريخ. وهذا سر من أسرار مصدرها الغيبي.

المصادر والمراجع

١. هذا المفهوم يعبر في الفكر الغربي، عن التحرر من ظلمات هيمنة اللاهوتية والاعتماد على العقل وعلى فصل الدين عن السياسة.

٢. انظر: السيد محمد الصدر. تاريخ الغيبة الكبرى، النجف الأشرف. دار مكتبة العلماء ٢٠١١، ج ٢ ص ٢٥٣.

٣. يعتبر المفكرون الغربيون أن فلسفة يسجل لا يمكن تجاوزها مع أن ولاية الفقيه تجاوزت فلسفة يسجل على الصعيد الفكري (أي المعرفة الاجتهادية) وعلى صعيد التطبيق في الميدان (أي تفجير الثورة وتأسيس الدولة الإسلامية).

٤. انظر: السيد محمد الصدر ـ نفس المصدر ـ ص ٦٦٧ ـ ٦٨٠.

٥. هذا ما تطرحه فلسفة العلوم اليوم لكن السؤال أصبح وما زال بدون إجابة. هذا السؤال الخطير والمصيري يجب على الفكر الاجتهادي من خلال قيادة ولاية الفقيه للدولة الإسلامية.

٦. فالمشكلة الكبرى اليوم بالنسبة للفكر الغربي ولفلسفة العلوم هي العلاقة بين التاريخ والوحي أي بين الرسالات السماوية والتاريخ. انظر: Le retour du saint: E.Valdman Paris, Dora.2001.

٧. انظر: L'ange de l'histoire: Stephane Mosés, Paris. Gallimard.2006. P108-170.

٨. مفهوم الشرعة التاريخية مفهوم معرفي ينفي الميتافيزيقا وينفي الغيب. فلسفة يسجل، خاصة فلسفة التاريخ، تتمحور حول هذا المفهوم. انظر: Hegel: Leçons sur la philosophie de la religion. Paris. Vrin.1975.

٩. انظر: Stephane Mosés - المصدر السابق- ص٢٠٦-٢٧١.

١٠. انظر: Roger Garaudy: Les Mythes fondateurs de la politique israélienne. Paris. Librairie du savoir. 1996. P29-63.

١١. انظر: السيد محمد الصدر - نفس المصدر - ص٤٩٣- ثم ص٦٦٧.

الفرق بين بعض العلامات الحتمية وغير الحتمية للظهور

الدكتورة إيمان محسن[1]

عصر الظهور

في البدء لابد من الإشارة إلى أن الأحاديث التي تصف أحداثاً قريبة يمكن بواسطتها أن نحدد عصر الظهور، أو تلك التي تصف أحداث سنوات الظهور، وبالأخص سنة الظهور، كثيرة تبلغ المئات، وهنا لابد من تحديد الآتي:

قد صدرت الأحاديث الشريفة صفات عامة، وأحداثاً معينة عن عصر الظهور بصورة مجملة، فمن ذلك رواية ابن عباس عن الرسول صلى الله عليه وآله في حجة الوداع.

ونرد أو في أحاديثها تحديد الأحداث والإرهاصات، وأخبارها أكثر تحديداً، فمن ذلك، العلامات التي ذكرها الشيخ المفيد في الإرشاد ومن الروايات كذلك، حديث عن أبي عبدالله (ع) قال: (بينما الناس وقوف بعرفات إذ أتاهم راكب على ناقة ذعلبة - بالكسر وهي الناقة السريعة - يخبرهم بموت خليفة، يكون عند موته فرج آل محمد صلى الله عليه وآله وفرج الناس جميعا.

ومن تلك الروايات أيضا: عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله (ع) يقول: (من يضمن لي موت عبدالله أضمن له القائم، ثم قال: إذا مات عبدالله، لم يجتمع الناس بعده على أحد، ولم تتناه هذا الأمر دون صاحبكم إن شاء الله، ويذهب ملك السنين ويصير ملك الشهور والأيام، قلت يطول ذلك؟ قال: كلا.

---

١. الدكتوراة في علم الاجتماع.

ومن تلك الروايات أيضا: عن الإمام الباقر (ع) قال: (إذا اختلف بنو فلان فيما بينهم، فعند ذلك فانظروا الفرج، وليس فرجكم إلا في اختلاف بني فلان، فإذا اختلفوا، فتوقعوا الصيحة في شهر رمضان، وخروج القائم، إن الله يفعل ما يشاء، ولن يخرج القائم ولا ترون ما تحبون حتى يختلف بنو فلان فيما بينهم، فإذا كان، طمع الناس فيهم، واختلفت الكلمة وخرج السفياني، وقال للدابي فلان من أن يملكوا فإذا ملكوا ثم اختلفوا تفرق ملكهم وتشتت أمرهم... الحديث)

سنة الظهور

وتحدد الروايات أحداثا مفصلة بشكل دقيق، خاصة في النصف الثاني منها، ابتداء من خروج السفياني في رجب، إلى النداء في رمضان، إلى قتل النفس الزكية في ٢٥ من ذي الحجة، إلى ظهور نور الفجر المقدس ﴿المهدي (ع)﴾ يوم السبت العاشر من محرم.. وتتضمن أحاديثها علامات حتمية، ولابد من إيضاح أن العلامات الحتمية التي تزامن ظهور الإمام (ع) بفترة زمنية قصيرة جداً، هي من اليقينيات والمسلمات، ولا طريق للبداء فيها.. وعلى المؤمنين أن يعرفوا هذه العلامات ليتضح لهم كذب كل من يدعي المهدوية كذباً.. وعند وقوع هذه العلامات الحتمية يأتي المؤمنين الفرج، ويشفي الله صدورهم ويذهب غيظ قلوبهم.

وقد وردت عدة روايات من جميع أئمتنا عليهم السلام عند حديثهم عن المهدي (ع) وعلائم ظهوره، وقرب خروجه، وذكرت بعض العلامات على أنها من الأمور الحتمية، بحيث لو لم تتحقق فإن المهدي (ع) لا يظهر.

علامات الظهور

مثل خروج الدابة من الأرض تكلم الناس، وطلوع الشمس من جهة المغرب، والنار التي تخرج من قعر عدن فتسوق الناس إلى المحشر.. إلخ. فمن ذلك ما جاء عن أمير المؤمنين (ع) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عشر قبل الساعة لابد منها: السفياني والدجال والدخان والدابة وخروج القائم وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى وخسف بالمشرق وخسف بجزيرة العرب ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر

علامات خاصة في زمن الظهور

سوف نشير إلى أكثر الأحداث بروزاً في هذه السنة، وهي العام الذي يشارف على قرب ظهور إمامنا المهدي (أرواحنا له الفداء)، وسوف نتطرق إلى أحداث وعلامات هذه السنة، كما جاء في روايات المعصومين عليهم السلام حسب التسلسل الزمني، وذلك للفائدة المرجوة من هذا التسلسل. ليكون هناك تصور عام وشامل للمؤمنين عن هذه الأحداث والعلامات، علماً بأن المحتوم، هي خمس علامات كما جاء في كثير من الروايات.. (عن ميمون البان، عن أبي عبدالله (ع) قال: خمس قبل قيام القائم: اليماني والسفياني والمنادي ينادي من السماء وخسف البيداء، وقتل النفس الزكية.

أما أحداث سنة الظهور، فهي عديدة، نشير إلى أبرزها، ونحاول قدر الإمكان مراعاة التسلسل الزمني، حسب ما توفر لدينا من معلومات من الروايات الشريفة.

ولابدّ أن نشير إلى أحداث مجملة ودلالات عامة توضح لنا سنة الظهور: عن أبي عبدالله (ع) قال: لايخرج القائم إلا في وتر من السنين، سنة إحدى أو ثلاث أو خمس أو سبع أو تسع

وهذا تحديد عام للسنة التي سيظهر (ع) فيها، أما يوم خروجه يوم بزوغ نور الفجر المقدس فهو أكثر تحديداً.. عن أبي بصير قال: قال أبو عبدالله (ع): في الحديث.. ويقوم ـ القائم ـ في يوم عاشوراء وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين بن علي (ع)، الكافي به في يوم السبت العاشر من المحرم، قائماً بين الركن والمقام، جبرائيل بين يديه ينادي بالبيعة له فتصير شيعته من أطراف الأرض تطوى لهم طياً، حتى يبايعوه فيملأ الله به الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

فبعد قراءة هذه الرواية وروايات أخرى، نستطيع أن نحدد بعض معالم السنة التي سيظهر (ع) فيها: فهي وتر من السنين (حسب النظام العددي أو الرقمي)، وحسب التقويم الإسلامي) وكذلك يوم الفجر المقدس، هو يوم السبت العاشر من محرم الحرام.

سنة غيداقة ـ كثيرة المطر

من علامات سنة الظهور (الفجر المقدس) أن تكون كثيرة المطر، ومن كثرة تفسد الثمار والتمر في النخيل فالمطر ربما يكون نقمة، وربما يكون رحمة.. عن أبي عبدالله (ع) قال: قدام القائم (ع) السنة غيداقة يفسد فيها الثمار والتمر في النخل، فلا تشكوا في ذلك.

وعن سعيد بن جبير قال: إن السنة التي يقوم فيها القائم المهدي، تمطر الأرض أربعاً وعشرين مطرة ترى آثارها وبركتها إن شاء الله

ومن هنا نستطيع أن ندرك دلالة حديث أبي عبدالله (ع) حيث قال: (سنة الفتح ينشق الفرات حتى يدخل في أزقة الكوفة، وفي رواية أخرى: سنة عام الفتح، ينشق الفرات حتى يدخل أزقة الكوفة).

سنة كثيرة الزلازل والفتن

من علامات سنة الظهور كما قال الإمام الصادق (ع): علامتها أن تكون في سنة كثيرة الزلازل والبرد

أبشركم بالمهدي يبعث في أمتي على اختلاف من الناس وزلازل

ويومئذ يكون اختلاف كثير في الأرض وفتن.

قبل هذا الأمر قتل سيوح.. قيل وما السيوح؟ قال: دائم لا يفتر.

قدام القائم موتان: موت أحمر، وموت أبيض، حتى يذهب من كل سبعة خمسة.

عن أمير المؤمنين قال: (بين يدي المهدي موت أحمر، وموت أبيض، وجراد في حينه وجراد في غير حينه، كألوان الدم، أما الموت الأحمر فالسيف، وأما الموت الأبيض فالطاعون)

عن عبدالله بن بشار عن أمير المؤمنين (ع) قال: (إذا أراد الله أن يظهر قائم آل محمد بدأ الحرب من صفر إلى صفر وذلك أول خروج قائمنا).

عن جابر الجعفي قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي (ع) عن قول الله تعالى (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع)

فقال يا جابر ذلك خاص وعام، فأما الخاص من الجوع بالكوفة، ويخص الله به أعداء آل محمد فيهلكهم الله، وأما العام فبالشام، يصيبهم خوف وجوع ما أصابهم مثله قط، وأما الجوع فقبل قيام القائم (ع)، وأما الخوف فبعد قيام القائم (ع).

عن أبي جعفر محمد بن علي (ع) قال: (لا يظهر المهدي إلا على خوف شديد من الناس، وزلازل تصيب الناس، وطاعون وسيف قاطع بين العرب، واختلاف شديد بين الناس وتشتت في دينهم وتغيير في حالهم يتمنى المتمنى الموت صباحاً ومساءً. إلى أن قال: فخروجه يكون عن اليأس والقنوط، فيا طوبى لمن أدركه وكان من أنصاره، والويل كل الويل لمن خالفه وخالف أمره).

عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله (ع): (لابد أن يكون قدام القائم فتنة تجوع فيها الناس، ويصيبهم خوف شديد من القتل، ونقص من الأموال والأنفس والثمرات، فان ذلك في كتاب الله لبين، ثم تلا هذه الآية (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين).

فمن مجمل الأحاديث الشريفة، التي تصف سنة الظهور، بأنها سنة كثيرة الزلازل والفتن، والتي تتصف بفقدان الاستقرار السياسي وكثرة الاختلافات والحروب والتي تمتد بحرب عالمية، كما تسميها الروايات (معركة قرقيسيا) ـ وسوف نشير إليها لاحقاً ـ ما تؤدي كثرة الحروب إلى الخوف والجوع والقتل والموت.. وتنتهي أحداث هذه السنة بينزوغ نور الفجر المقدس، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً..

وبهذا الاستعراض البسيط لأحداث سنة الظهور العامة والمجملة، نجد أن الأحاديث الشريفة، تحدد أحداثاً مفصلة تحديداً دقيقاً وخاصة.

نشير إليها الأحداث، التي تقع في شهر رجب، والمقصود بهذا الشهر أي قبل خمسة شهور فقط من العام الذي سيظهر فيه الإمام (ع) في شهر محرم الحرام حسب تأكيد الأدلة..

ونستشرف أحداث هذا الشهر من الروايات التي تؤكد وقوعها في:

نهاية المطر الغزير

إذا كانت السنة التي يظهر فيها قائم آل محمد (ع) وقع قحط شديد، فإذا كان العشرون من جمادي الأولى وقع مطر شديد، لم ير الخلائق مثله منذ هبط آدم إلى الأرض، متصلاً إلى عشرة أيام من رجب.. عن أبي عبد الله (ع) قال: إذا آن قيام القائم (ع) أمطر الناس جمادي الآخرة وعشرة أيام من رجب لم تر الخلائق مثله

وذكر المفيد في الإرشاد (ثم يختم ذلك بأربع وعشرين مطرة تتصل فتحي بها الأرض بعد موتها وتعرف بركتها).

تحاولت الروايات بأن من العلائم المقاربة لظهور الإمام (ع) التي تقع قبل الظهور بزمن قليل، نزول الأمطار الغزيرة، والمياه الكثيرة من السماء.. وذلك استعداداً للظهور، بانعاش الأرض انعاشاً كافياً لتوفير الزراعة.

نزول المطر ليس إعجازياً بطبيعة الحال، إلا أن توقيته وكميته، كما يبدو من سياق الروايات إنما بقصد الإعجاز.. ولهذا نعرف مغزى كلمة أمير المؤمنين (ع) (العجب كل

العجب ما بين جمادى ورجب).

ولابد أن نشير إلى ملاحظة، ان الروايات لم تدل على مكان وكيفية

حدوث هذه الأمطار.. إلا أن الكتاب هذا المطر الإلهية ومن ثم تصدق عليه فكرة العلامية، لابد أن يكون مميزاً سواء من حيث الكيفية أو الكمية أو المكان.

خروج السفياني من المحتوم

يخرج رجل يقال له السفياني: (عثمان بن عنبسة من آل أبي سفيان من نسل يزيد بن معاوية)، يظهر في الوادي اليابس في حدود الشام (عمق دمشق).. يمثل رمز الحكام المسلمين المحرفين المتناهضين للحق وآخرهم.. وزمان خروجه ـ بحسب الروايات المعتبرة

عن أبي عبدالله (ع) أنه قال: السفياني من المحتوم وخروجه في رجب، فإذا ملك الكور الخمس ملك تسعة أشهر ولم يزد عليها يوماً.

عن الباقر (ع) قال: السفياني والقائم في سنة واحدة

عن الإمام الباقر (ع) قال: خروج السفياني واليماني والخراساني في سنة

واحدة في شهر واحد في يوم واحد نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً.

عن أبي جعفر الباقر (ع) إنه قال: قال لي علي بن أبي طالب (ع): إذا اختلف رجمان بالشام فهو آية من آيات الله، قيل: وما هي يا أمير المؤمنين، قال رجفة تكون بالشام ـ (لعلها إشارة إلى زلزال) ـ يهلك فيها أكثر من مائة ألف يجعلها الله رحمة للمؤمنين، وعذاباً على الكافرين، فإذا كان ذلك، فانظروا إلى أصحاب البراذين الشهب المحذوفة والرايات الصفر، يقتل من المغرب حتى تحل بالشام، وذلك عند الجزع الأكبر والموت الأحمر، فإذا كان ذلك فانظروا خسف قرية من دمشق يقال لها مرمرسا ـ (أغلب الروايات حرستا) ـ فإذا كان ذلك خرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس حتى يستوي على منبر دمشق، فإذا كان ذلك فانظروا خروج المهدي.

... وهذا إشارة واضحة إلى بداية خروج السفياني.

لعل أفضل تصور عن حركة السفياني وما يفعل في المجتمع الإسلامي من مصائب وأهوال ما ذكره السيد الجليل البارع العلامة محمد الصدر في كتابه ما بعد الظهور (ص ١٦٥-١٦٧).. نقتبه بتصرف وإضافات:

إن (دمشق) الشام ستكون يومئذ مسرحاً لحروب داخلية، وصدام مسلح بين فئات ثلاث (الأتبع، والأصهب، والسفياني).. وهي تمثل مراكز الثقل السياسي والعسكري) كلها منحرفة عن الحق، وكل منها يريد الحكم لنفسه ـ ولا تعبر لنا الروايات اتجاهاتهم العقائدية ـ فيتقاتل الأتبع وأنصاره مع السفياني، فينتصر السفياني ويقتل الأتبع ومن تبعه، ثم يتقاتل السفياني مع الأصهب فيكون النصر كذلك للسفياني، وهو الذي يفوز في هذه المعمعة.. وهذا مصداق لقول الله تعالى (فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم).

يسيطر السفياني على الموقف في الشام ويتبعه أهلها، الا عدد قليل ويحكم الكور الخمس: دمشق، وحمص، وفلسطين، والاردن، وقنسرين.

حين يستتب للسفياني الامر، يطمع بالسيطرة على العراق، ويفكر في غزوها عسكرياً، فيوجه اليها جيشاً (قوامه ثمانون الفاً) يكون هو قائده. فيلتقي في طريقه جيشاً أرسله حكام العراق من أجل دفعه، فيقتتل الجيشان في منطقة تسمى قرقيسيا (منطقة واقعة في سوريا قريبة من الحدود العراقية) ويشترك في القتال الترك والروم، ويكون قتالهما ضارياً، يقتل فيه من الجبارين حوالي مائة ألف.. والجبارون كناية عن ان كل من يقتل ـ يومئذ ـ من المعركة هو من الفاسقين الفاجرين، وبذلك تتخلص المنطقة من أهم القواد العسكريين، الذين يحتمل أن يحاربوا المهدي (ع) عند ظهوره.

على أية حال، النصر سوف يكون للسفياني في هذه المعمعة أيضاً، فيدخل العراق ويضطر الى منازلة (اليماني) في أرض الجزيرة (وهي أرض ما بين النهرين في العراق) فيسيطر عليها أيضاً، ويحوز من جيش اليماني ما كان قد جمعه من المنطقة خلال عملية العسكرية.

ثم يسير الى الكوفة، فيمعن فيها قتلاً وصلباً وسبياً.. ويقتل أعوان آل محمد صلى الله عليه وآله ورجالاً من المحبين عليهم.. ثم ينادي مناديه في الكوفة: من جاء برأس من شيعة علي (ع)، فله ألف درهم، فيثب الجار على جاره، ويهاجي على مذهبين مختلفين في الإسلام، ويقول: هذا منهم، فيضرب عنقه، ويسلم رأسه الى سلطات السفياني، فيأخذ منها ألف درهم. لا تستطيع حركة ضعيفة، وتمرد صغير يحدث في الكوفة من قبل أهلها ومؤيديهم التخلص من سلطة السفياني، بل سيتمكن السفياني من قتل قائد الحركة بين الحيرة والكوفة، وعندها تراق دماء كثيرة.

وحين يستتب له الامر في العراق ـ أيضاً ـ يطمع في غزو ايران فيصل الى منطقة شيراز (باب اصطخر) فيلتقي مع الخراساني في معركة.. كذلك يطمع في غزو الاراضي المقدسة في الحجاز، فيرسل جيشاً ضخماً الى المدينة المنورة لاحتلالها، قوامه اثنا عشر الف رجل، قائده رجل من بني امية يقال له خزيمة ـ أغلب الروايات تؤكد ان السفياني نفسه ليس فيه ـ فيسير هذا الجيش بعدته وسلاحه متوجهاً نحو مدينة الرسول صلى الله عليه وآله، ويكون الامام المهدي (ع) يومئذ بمكة المكرمة، بداية ايام ظهوره، فيتابع أخباره، فيرسل السفياني جيشاً في اثره متوجهاً نحو مكة، محاولاً قتله والاجهاز عليه وعلى أصحابه، وظاهر سياق الروايات أن الجيش المتوجه الى مكة هو الجيش الذي كان متوجهاً الى المدينة المنورة، بعد أن نهبها لمدة ثلاثة أيام، وخربوا مسجد الرسول صلى الله عليه وآله.

الا أن مكة المكرمة حرم آمن، لا يمكن أن يخاف فيه المستجير كما ان الامام المهدي (ع) قائد مذخور لليوم الموعود وهداية للعالم، لا يمكن أن يقتل ولابد من حمايته.. ومن هنا تقتضي الضرورة والمصلحة إفناء هذا الجيش والقضاء عليه. يفعل إعجازي إلهي، فيخسف به في البيداء ولا ينجو منه الا اثنان (بشير ونذير، وهما من قبيلة جهينة ـ ولذا جاء القول وعند جهينة الخبر اليقين).

يخبرون الناس عما حصل لرفاقهم.

بعد الخسف لا يعني ذلك القضاء على السفياني، فبعد أن ملك سوريا والعراق والاردن وفلسطين ومنطقة واسعة من شبه الجزيرة العربية، سيبقى حكمه جاثماً على المنطقة، ريثما تتحرك الامام المهدي (ع) بعد الخسف بقليل، ويرد بجيشه الى العراق وينازله القتال فيسيطر عليه ويقتله ـ يومئذ ـ بوادي الرملة.. وتتم سيطرة الامام المهدي (ع) على كل المنطقة التي

كانت محكومة للسفياني، ومن هنا تكون الفرصة مؤاتية للإمام (ع) للفتح العالمي.

لابدّ أن نشير إلى بعض الأحاديث الشريفة والروايات التي تؤكد خروج السفياني وأحواله حسب ما توفر لنا من مصادر. . قال: أمير المؤمنين (ع): (يخرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس، وهو رجل ربعة وحش الوجه ضخم الهامة، بوجهه أثر جدري، إذا رأيته حسبته أعور، اسمه عثمان وأبوه عنبسة، وهو من ولد أبي سفيان، حتى يأتي أرضاً ذات قرار ومعين فيستوي على منبرها)

والمقصود بالأرض ذات قرار ومعين هي دمشق.

عن أبي جعفر محمد بن علي (ع) في حديث طويل يقول فيه: . . لابد لبني فلان أن يملكوا، فإذا ملكوا ثم اختلفوا تفرق ملكهم وتشتت أمرهم، حتى يخرج عليهم الخراساني والسفياني، هذا من المشرق وهذا من المغرب، يستبقان إلى الكوفة كفرسي رهان، هذا من هنا وهذا من هنا، حتى يكون هلاك بني فلان على أيديهما، أما إنهم لا يبقون منهم أحداً.

عن جابر بن يزيد الجعفي قال: قال أبو جعفر محمد بن علي الباقر (ع) في حديث طويل. . ومناد ينادي من السماء _ إشارة إلى النداءات الثلاثة في رجب _ ويجمعكم صوت من ناحية دمشق بالفتح _ (الأصوات هي المؤتمرات واللقاءات التي تحدث في دمشق وما يصدر عنها من بيانات) _ وتخسف قرية من قرى الشام تسمى الحابية _ (انخسف ربما معارك عسكرية داخلية أو دولية والتخسف الجوي من أسباب الخسف. . وهذا بحسب ما يظهر في الرواية قبل وصول الترك والروم إلى منطقة دابق التحديد قبل معركة قرقيسيا) _ وتسقط طائفة من مسجد دمشق الأيمن _ المسجد الأموي _ وما رقة تمرق من ناحية الترك ويعبثها مرج الروم، وسيقبل أخوان الترك حتى ينزلوا الجزيرة، وسيقبل مارقة الروم حتى ينزلوا الرملة، فهلك الناس يا جابر، فيها اختلاف كثير في كل أرض من ناحية المغرب، فأول أرض المغرب أرض الشام، يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات، راية الأصهب وراية الأبقع وراية السفياني، فيلتقي السفياني بالأبقع، فيقتتلون فيقتل السفياني ومن تبعه، ويقتل الأصهب، ثم لا يكون له همة إلا الاقتتال نحو العراق، ويعرج بقرقيسيا فيقتتلون بها، فيقتل بها من الجبارين مائة ألف، ويبعث السفياني جيشاً إلى الكوفة، وعدتهم سبعون ألفاً فيصيبون من أهل الكوفة قتلاً وصلباً وسبياً فيمنهم كذلك، إذا أقبلت رايات من قبل خراسان، وتطوي المنازل طياً حثيثاً، ومعهم نفر من أصحاب القائم، ثم يخرج رجل من موالي أهل الكوفة في ضعفاء، فيقتل أمير جيش السفياني بين الحيرة والكوفة، ويبعث السفياني بعثاً إلى المدينة، فيقتر المهدي منها إلى مكة، فيبلغ أمير جيش السفياني أن المهدي قد خرج إلى مكة، فيبعث جيشاً على أثره فلا يدركه، حتى يدخل مكة خائفاً يترقب على سنة موسى بن عمران، قال وينزل أمير جيش السفياني البيداء، فينادي مناد من السماء يا بيداء بيدي بالقوم، فيخسف بهم فلا يفلت منهم إلا ثلاثة نفر يحول الله وجوههم إلى أقفيتهم، وهم من كلب وفيهم نزلت هذه الآية (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها)..

عن أبي عبد الله جعفر بن محمد (ع) أنه قال: إذا استولى السفياني على الكور الخمس فعدد والتسعة أشهر، وزعم هشام أن الكور الخمس دمشق، وفلسطين، والأردن، وحمص، وحلب

عن أمير المؤمنين (ع) إنه قال: . . إذا كان ذلك خرج السفياني، فيملك قدر حمل امرأة تسعة أشهر، يخرج بالشام، فيشاور أهل الشام إلا طوائف من المقيمين على الحق، يعصمهم الله من الخروج معه، ويأتي المدينة بجيش جرار، حتى إذا انتهى إلى بيداء المدينة، خسف الله به، وذلك قول الله (ع) في كتابه) ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان

قريب).

عن أبي عبدالله (ع) قال: كأني بالسفياني أو بصاحب السفياني قد طرح رحله في رحبتكم بالكوفة، فنادى منادية، من جاء برأس شيعة علي فله ألف درهم، فيثب الجار على جاره، ويقول هذا منهم فيضرب عنقه ويأخذ ألف درهم، أما إنار بكم يومئذ لا تكون إلا لأولاد البغايا، كأني أنظر إلى صاحب البرقع، قلت ومن صاحب البرقع، قال: رجل منكم يقول بقولكم يلبس البرقع، نحوكم - أي يحكمكم - فيعرفكم ولا تعرفونه، فيغزكم رجلاً رجلاً، أما إنه لا يكون إلا ابن بغي).

بعد الإيضاح عن حركة السفياني والأدلة المختصرة على ذلك من الروايات الشريفة، وعلى كثرتها في الموضوع، وكذلك بعض آيات القرآن الكريم.. نؤكد القول بأن: السفياني من أبرز العلامات وأوثقها وأشهار وايةً وتكاد لا تدانى قوتها إلا الظاهرة النداء، وآية الخسف البيداء، وهي كما سترى مختصة بالسفياني وخاصة أن الخسف يكون بجيشه.

والقول بحتم السفياني مقبول، وواضح الدلالة.. ولا ريب أن محو صورة السفياني، سيؤدي إلى محو صورة الخسف، وإذا ما جمعت روايات الصيحة والخسف إلى روايات السفياني، أخرجت تواتراً أكيداً.. كما سيؤدي محو السفياني إلى محو الأعصب والأبقع وربما قرقيسيا أو بعض منها، وكذلك فتنة الشام، وفتن بلاد العراق، وحتى جزء من صورة اليماني والخراساني وغير ذلك مما يمحو أغلب علامات الظهور.. لذا نؤكد حتم السفياني بالجملة، والله العالم.

وللباس بذكر حديث الشيخ الطوسي في أماليه، وللصدوق في معاني الأخبار.. عن الإمام الصادق (ع): (إنا وآل أبي سفيان أهل بيتين تعادينا في الله، قلنا صدق الله، وقالوا كذب الله، قاتل أبو سفيان رسول الله صلى الله عليه وآله، وقاتل معاوية علي بن أبي طالب (ع)، وقاتل يزيد بن معاوية الحسين بن علي (ع)، والسفياني يقاتل القائم (ع).

خروج اليماني من المحتوم

تصف الأحاديث الشريفة اليماني وحركته بأنها راية هدى.. ويظهر في اليمن مقارناً لخروج السفياني في الشام، وأنه يدعو إلى الحق وتجب إجابة دعوته، وأنه يتوجه إلى العراق والشام ويشارك مع الخراساني في قتال السفياني.. وأنه من ولد زيد بن علي بن الحسين (ع).

عن الإمام الباقر (ع) في حديث طويل.. أنه قال: خروج السفياني واليماني والخراساني في سنة واحدة في شهر واحد في يوم واحد، نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً، فيكون الناس من كل وجه، ويل لمن ناواهم، وليس في الرايات راية أهدى من اليماني، هي راية هدى، لأنه يدعو إلى صاحبكم، فإذا خرج اليماني حرم بيع السلاح على الناس وكل مسلم، وإذا خرج اليماني فانهض إليه، فإن رايته راية هدى ولا يحل لمسلم أن يلتوي عليه، فمن فعل ذلك فهو من أهل النار لأنه يدعو إلى الحق وإلى طريق مستقيم).

إن الوضع العالمي سوف يتلخص في صراع حضاري طويل، ساحة (بلاد الشام وفلسطين، العراق وإيران والحجاز)، فهذه المنطقة بالتحديد هي ملتقى الصراع السياسي والعسكري بين اتجاهين هما: أنصار المهدي (ع) والممهدون له، وحركة السفياني ومن يناصرها من الغرب (الروم واليهود).. ومركز الثقل ونقطة الهدف في هذا الصراع الحضاري، وفي خضم أحداث سنة الظهور هي (القدس).

إذاً، فحركة الإمام المهدي (ع) في الانطلاق من المسجد الحرام بمكة المكرمة والوصول إلى المسجد الأقصى بفلسطين، لا تكون ابتدائية وإنما تأتي تتويجاً لحركة الأمة وطلائعها باتجاه القدس. فهي في إيران تتحرك تجاه القدس (الخراساني)، وفي اليمن يظهر قائد مسلم (اليماني) يتوجه نحو القدس، وتصف الروايات حركة بأنها راية هدى .

خروج الخراساني

رايات خراسان أو الرايات السود . . وفيها بعض أصحاب القائم (ع) بقيادة الخراساني . . (عن الإمام الباقر (ع). في حديث طويل . . . يبعث الصفياني جيشاً إلى الكوفة وعدتهم سبعون ألفاً، فيصيبون من أهل الكوفة قتلاً وصلباً وسبياً فيمنيهم كذلك، إذا أقبلت رايات من قبل خراسان ـ بقيادة الخراساني ـ وتطوي المنازل طياً حثيثاً ومعهم نفر من أصحاب القائم).

قال أمير المؤمنين (ع): انتظروا الفرج من ثلاث: اختلاف أهل الشام فيما بينهم، والرايات السود من خراسان، والفزعة في شهر رمضان).

عن أبي جعفر (ع) إنه قال: كأني بقوم قد خرجوا بالمشرق، يطلبون الحق فلا يعطونه، ثم يطلبونه فلا يعطونه فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم، فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه، حتى يقوموا ولا يدفعونها إلا إلى صاحبكم، قتلاهم شهداء، أما إني لو أدركت ذلك لاستبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر).

عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال في حديث طويل . . إذا خرجت خيل الصفياني إلى الكوفة، بعث في طلب أهل خراسان، ويخرج أهل خراسان في طلب المهدي، فيلتقي (أي الصفياني) هو والهاشمي (أي الخراساني) برايات سود، على مقدمة شعيب بن صالح، فيلتقي هو الصفياني بباب اصطخر (وهي منطقة شيراز التي تقابلها في الضفة الأخرى من الخليج منطقة التكيف)، فيكون بينهم ملحمة عظيمة، فتقهر (أي تنتصر) الرايات السود وتهرب خيل الصفياني، فعند ذلك يتمنى الناس المهدي ويطلبونه، فيخرج من مكة ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن يأس الناس من خروجه لما طال عليهم البلاء).

وتسمى أو تذكر الأحاديث الشريفة عدداً من قادة خراسان:

الهاشمي (الخراساني) الزعيم السياسي الذي بكفه اليمنى خال، السيد الأكبر الذي تكون رايتهم مختومة بخاتمه، وشعيب بن صالح الفتى الأسمر الحديدي من أهل الري (طهران) قائد قواتهم، كنوز طالقان وهم شبان من منطقة طالقان (شمال طهران) من أصحاب المهدي (ع) وصفتهم الأحاديث بأنهم من كنوز الله.

تشير الأحاديث إلى أن الإيرانيين يكونون في حرب مع أعدائهم حتى إذا رأوا ابن العرب قد طالت عليهم، بايعوا الهاشمي (الخراساني) الذي يحتار شعيب بن صالح قائداً للقوات.

وتصف الأحاديث معارك الخراسانيين (الإيرانيين) خارج إيران، أي في العراق وبلاد الشام وفلسطين، مما يدل على استقرار وضعهم السياسي الداخلي، ما عدا حالة خلل واحدة في الوضع الإيراني الداخلي عند معركة قرقيسيا، التي تكون أساساً بين الصفياني والأتراك وبعض الروم (الغربيين) وبعض جيوش العراقيين، وتكون قوات الإيرانيين بالقرب من ساحة المعركة ويعيدون المشاركة فيها، ولكنهم يحجبون من قرقيسيا لمعالجة (الوضع الداخلي) فيرجعون إلى بلادهم ثم يستعدون لمواجهة الصفياني بعد انتصاره في معركة قرقيسيا.

يتركز تحرك الإيرانيين تجاه القدس عبر العراق، وتشير الأحاديث إلى الزحف الشعبي تجاه منطقة اصطخر، وذلك عندما تتصاعد أحداث الحجاز ويخرج المهدي (ع) في مكة، فيخرج

أهل المشرق لاستقباله، وهو متجه من مكة إلى العراق، فيوافيهم في الصخر ويبايعونه هناك، ويقاتلون السفياني معه

ظهور بدن بارز في عين الشمس، ويدل على ذلك من السماء تشير

في شهر رجب تحدث معجزة ربانية تبهر جميع البشر لعظمتها وهي:

أ. خروج صدر رجل ووجهه في عين الشمس:

عن أبي جعفر (ع) في قوله تعالى (إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين)

قال: كيف الله ذلك بهم، قلت: من هم؟ قال: بنو أمية وشيعتهم (السفياني وأعوانه)، قلت: وما الآية؟ قال: ركود الشمس ما بين زوال الشمس إلى وقت العصر، وخروج صدر رجل ووجهه في عين الشمس يعرف بحسبه ونسبه، وذلك في زمان السفياني، وعندها يكون بواره وبوار قومه).

ويوضح هذا الحديث إلى أن ظهور هذه العلامة بعد خروج السفياني، وكما أكدنا سابقاً بأن السفياني يخرج في رجب، بل أكد أبو عبد الله (ع) وقوع هذه العلامة في رجب حيث أنه قال: العام الذي فيه الصيحة، قبل الآية في رجب، قلت وما هي؟ قال: وجه يطلع في القمر (الشمس على قول آخر) ويد بارزة.

وهذا البدن البارز (الوجه والصدر) وهو الذي ينادي النداءات الثلاثة في رجب كما سنرى لاحقاً.

عن الإمام الرضا (ع): في حديث طويل.. والصوت الثالث يرون بدناً بارزاً نحو عين الشمس هذا

ورأى بعض العلماء، إن هذا البدن هو جسد أمير المؤمنين (ع) يعرفه الخلائق، كما صرح بذلك الحاج الشيخ محمد النجفي في كتابه بيان الأئمة في الجزء الثالث (ص٤٨)، وفسره بعضهم بالمسيح (ع) كما صرح بذلك الشيخ علي الكوراني في كتابه المهدون للمهدي (ص٣٧)، .. والرأي الثاني هو المرجح عندي.

ب. كف يطلع من السماء يشير هذا هذا!!!

قد عد بعض الرواة أن هذه من العلامات الحتمية عن الإمام الصادق (ع)... في حديث طويل قال: وكف يطلع من السماء من المحتوم.

وعن الإمام الصادق (ع) في توضيح علامة اليوم الموعود: (إمارة ذلك اليوم، إن كفاً من السماء مدلاة ينظر إليها الناس.

ما أعظم أنعمتنا عليهم السلام حين يخبرونا بذلك منذ مئات السنين. فالبدن والكف معجزة ربانية، ولا عجب أن يكون الله سبحانه وتعالى أقدر من خلقه، الذين استطاعوا في العصر الحديث، أن يشبتوا للناس بإمكان أي إنسان إن يتكلم، ويتنقل على سطح القمر، بفضل اختراعاتهم وعلومهم.. فسبحان الله العظيم.

النداءات الثلاثة

ثلاثة نداءات سماوية تقع في شهر رجب، بحيث يسمعها الجميع وهي:

النداء الأول: ألا لعنة الله على القوم الظالمين.

النداء الثاني: ألا رفعت الآزفة يا معشر المؤمنين.

النداء الثالث: بدن بارز في عين الشمس ينادي ألا إن الله بعث مهدي آل

محمد صلى الله عليه وآله للقضاء على الظالمين.

قال الحسن بن محبوب الزاد عن الامام الرضا (ع).. في حديث طويل قال: قد نوود النداء يسمعه من بالبعد كما يسمعه من بالقرب، يكون رحمة على المؤمنين، وعذابا على الكافرين، فقلت: بأبي وأمي أنت، وما ذلك النداء؟ قال: ثلاثة أصوات في رجب، أولها: ألا لعنة الله على الظالمين، والثاني: ألا رفعة الآزفة يا معشر المؤمنين، والثالث: يرى بدنا بارزا مع قرن الشمس ينادي ألا إن الله قد بعث فلان بن فلان على هلاك الظالمين، فعند ذلك يأتي المؤمنين الفرج، ويشفي الله صدورهم، ويذهب غيظ قلوبهم.

وورد عن الامام الباقر (ع) قريب منه: (وسيهمت الله المنكرين حين حدوث هذه الآيات). وعن الامام الصادق (ع) انه قال: (العام الذي فيه الصيحة، قبله الآية في رجب. فقيل له: وما هي؟ قال: وجه يطلع في القمر، ويد بارزة تشير والنداء الذي من السماء، يسمعه أهل الأرض، كل أهل لغة بلغتهم.

ومن هنا نستطيع أن نفرق بين النداء والصيحة.. فالصيحة تقع في رمضان وهي على شكل نداء لجبرائيل (ع)، والنداء يقع في شهر رجب (ثلاثة نداءات)، ونداء آخر في شهر محرم الحرام يوم الفجر المقدس... عدت الصيحة في (رمضان) من المحتوم، ولكن النداءات في رجب وفي محرم، لم تعد من المحتوم

ركود الشمس وخسوف القمر ليلة البدر.

ومن العلامات غير المحتومة... ركود الشمس: أي توقفها عن الحركة من الزوال إلى العصر في شهر رجب، وكذلك خسوف القمر ليلة البدر منه.

عن أبي جعفر الباقر (ع) في قوله تعالى (إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية)

... قلت ما الآية؟ قال: ركود الشمس ما بين زوال الشمس إلى وقت العصر.. وذلك في زمان السفياني وعندها يكون بواره وبوار قومه

وهذه العلامة من أبرز العلامات دلالة على السفياني (خروجه في رجب) لأنها تقع في عهده، ويكون توقف الشمس عن الحركة فترة قليلة تقدر بساعات، آية عجيبة من الله تبارك وتعالى، والناس يحسون بها لزيادة طول النهار فجأة من جهة، ولأن حرارتها تنصب على الأرض أكثر من المألوف، فيشعرون بالفارق شعورا ملموسا من جهة ثانية.. ووقوع هذه الآية السماوية (في رجب) علامة لبوار السفياني ودماره وهلاك قومه وحزبه.

وتأكيد وقوع هذه العلامة (ركود الشمس) في شهر رجب، هو مرافقتها مع خروج صدر رجل ووجهه في عين الشمس، وكما أثبتنا من قبل وقوع هذا الحدث في رجب.. وكذلك هو وقوعها في زمن السفياني، وكما أوضحنا سابقا خروجه في رجب.

ومن العلامات الواقعة كذلك في شهر رجب.. خسوف القمر في ليلة البدر منه (عن أم سعيد الأحمسية قالت: قلت لأبي عبد الله (ع): جعلت فداك يابن رسول الله، اجعل في يدي علامة من خروج القائم (ع) قالت: قال لي: يا أم سعيد، إذا انخسف القمر ليلة البدر من رجب، وخرج رجل من تحت فذاك عند خروج القائم (ع) (

... وقد أوضحنا سابقا أن علامة (خروج جسم رجل) تظهر في شهر رجب، وبعدها تقع الصيحة في شهر رمضان.

احداث شهر شعبان

في هذا الشهر تبدأ حالة الذعر والتأهب والخوف تحدث في العالم الإسلامي، نتيجة لظهور التيارات السياسية المتصارعة والمتنافسة على الساحة، فقد بدأت معالم المواجهة تتضح من أحداث شهر رجب.

لقد بدأ تتكون بشكل عام تياران متنافسان: تيار أصحاب المهدي (ع) (اليماني من اليمن، والخراساني من إيران)، وتيار السفياني (صراع بين قوى متنافسة، ينتهي بفوز السفياني على الأبقع والأصهب) ومن ثم يشكل تحالف مع الروم واليهود (التيار الغربي)، ولذا بدأت تتشعب في شهر شعبان الأمور، وتتفرق فيه الجماعات.. ولهذا نجد بشكل عام أن ساحة الشرق الأوسط في أحاديث علامات وأحداث الظهور ميدانا لمعارك متعددة وهامة.. وإن شعب المنطقة المسلم يعيش حالة من الإنهاك والتوتر والإرتباك، نتيجة لعوامل عدم الاستقرار السياسي، وقرب اندلاع حرب عالمية ضخمة.

عن أبي بصير عن أبي عبدالله (ع) قال سألته عن رجب، قال: (ذلك شهر كانت الجاهلية تعظمه وكانوا يسمونه الشهر الأصم، قلت شعبان، قال: تشعبت فيه الأمور، قلت رمضان، قال: شهر الله تعالى وفيه ينادي باسم صاحبكم واسم أبيه، قلت شوال، قال: فيه يشوال أمر القوم، قلت فذو القعدة، قال: يقعدون فيه، قلت فذو الحجة، قال: ذاك شهر الدم، قلت فالمحرم، قال: يحرم فيه الحلال ويحل فيه الحرام، قلت صفر وربيع، قال: فيهما خزي فظيع وأمر عظيم، قلت جمادي، قال: فيها الفتح من أولها إلى آخرها.

وفي البحار عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر (ع) يقول: (إذا سمعتم باختلاف الشام فيما بينهم، فالمرب من الشام، فان القتل بها والفتنة، قلت: إلى أي البلاد؟ فقال: إلى مكة، فإنها خير بلاد يهرب الناس إليها

... وفي رواية في روضة الكافي تصف فيه الأحداث وتوجه المؤمنين الى ما يجب عليهم فعله في تلك الظروف.. (إذا كان رجب فاقبلوا على اسم الله (ع)، وإن أحببتم أن تتأخروا إلى شعبان فلا ضير، وإن أحببتم أن تصوموا في أهاليكم فافعل وذلك يكون أقوى لكم، وكفاكم بالسفياني علامة

ففيه رخصة تأخير البدار في السفر إلى نهاية شهر رمضان.. وعن الإمام الباقر (ع) ـ توجيه للرجال من شيعته ـ في حديث طويل، جاء فيه.. (وكفى بالسفياني نقمة لكم من عدوكم، وهو من العلامات لكم، مع أن الخارج لو قد خرج، لكنتم شهراً أو شهرين بعد خروجه، لم يكن عليكم بأس حتى يقتل خلقاً كثيراً أو دونكم (إشارة إلى معركة قرقيسيا)، فقال له بعض أصحابه: فكيف يصنع بالعيال إذا كان ذلك؟ قال: يتغيب الرجل منكم عنه فان حقه وشره فإنما هو على شيعتنا، وأما النساء، فليس عليهن بأس إن شاء الله تعالى، قيل: فإلى أين يخرج الرجال ويبرؤون منه؟ ممن أراد منهم أن يخرج إلى المدينة أو إلى مكة أو إلى بعض البلدان، ثم قال: ما تقضون بالمدينة، وإنما تقصد جيش الخارج إليها، ولكن عليكم بمكة فانها مجمعكم، وإنما فتنة، حمل امرأة تسعة أشهر، ولا يجوز إن شاء الله).

احداث شهر رمضان

تعيش الأمة الإسلامية حالة من الضعف السياسي الشديد بسبب الحروب والفتن والاقتتال، وقد دخل القوى الأجنبية (الروم) في المنطقة. فتحدث آيات (علامات) سماوية

تبث الأمل في قلوب المؤمنين، وتصحيح قضية المهدي (ع) الشغل الشاغل للناس.. فالآيات والدلائل التي تقع في هذا الشهر هي بمقدار لا يكون للبشر أن يتجاهلها مثل:

كسوف الشمس وخسوف القمر في غير وقتهما

تتدخل القدرة الإلهية (قانون المعجزات) وتعطي إشارة خصيصا لتنبيه المؤمنين المخلصين على الظهور.. وذلك بأن تنكسف الشمس في شهر رمضان في الثالث عشر أو الرابع عشر منه، وتخسف القمر في نفس الشهر في الخامس والعشرين منه. والمبرر لحدوث هاتين العلامتين قبل الظهور، على عكس المألوف وبشكل لم يسبق له نظير منذ أول البشرية إلى حين حدوثه هو:

أ. تربيخ فكرة المهدي (ع) عند المسلمين عامة.

ب. الإيعاز إلى المؤمنين المخلصين إلى قرب الظهور.

عن ثعلبة الأزدي قال: قال أبو جعفر (ع): (آيتان تكونان قبل قيام القائم: كسوف الشمس في النصف من رمضان وخسوف القمر في آخره، قال: قلت: يا ابن رسول الله، تنكسف الشمس في آخر الشهر والقمر في النصف، فقال أبو جعفر (ع) أنا أعلم بما قلت: إنهما آيتان لم تكونا منذ هبط آدم).

عن وردان أخي الكميت عن أبي جعفر الباقر (ع) أنه قال: (إن بين يدي هذا الأمر انكساف القمر لخمس تبقى ـ هذه الرواية تحدد الخسوف أول الشهر وليس آخره ـ والشمس لخمس عشر وذلك في شهر رمضان وعنده يسقط حساب المنجمين، وعن علي بن أبي حمزة عن أبي بصير عن أبي عبدالله (ع) أنه قال: علامة خروج المهدي كسوف الشمس في شهر رمضان في ثلاث عشرة أو أربع عشرة منه).

خسوف القمر يكون عادة بتوسط الأرض بين الشمس والقمر، وزمانه وسط الشهر. وكسوف الشمس يكون عادة بتوسط القمر بين الأرض والشمس وموعده أواخر الشهر. أما تصور حدوث الخسوف والكسوف في غير وقتهما من الشهر كما دلت الروايات، وأن البداء لا يلحق هذا الحدث.. فله عدة احتمالات وتصورات:

أولا: أن يتم ذلك بشكل إعجازي وبسبب (العلمي) الاعتيادي:

لكن مع اختلاف بسيط، هو الفرق في التوقيت.. ولا يدلنا في هذا الإعجاز ولا تصور كيفيته، حسبنا أنه يقع، وهذا لم يحدث من قبل منذ هبوط آدم، وعندها يسقط حساب المنجمين.

ثانيا: أن يتم ذلك بتوسط جرم كبير:

(من الأجرام التي تعتبر عليا تائهة في الفضاء) يقترب من المجموعة الشمسية، فيحول هذا الجرم بين أشعة الشمس ووصولها إلى الأرض فيكون الكسوف وبعد عشرة أيام، يحجب هذا الجرم أيضا عن وصول نور الشمس إلى القمر في أواخر الشهر، أي حين يكون القمر بحالة الهلال، فيقع خسوف جزئي أو كلي أو مؤلف منهما بحسب حجم الجرم وسرعته.. ومن علامات الظهور التي ذكرت ولها علاقة بالموضوع، هو ذهاب نور الشمس من طلوعها إلى ثلثي النهار، وذلك بأن يتوسط جرم فضائي بين الشمس والأرض، فيمنع وصول أشعة الشمس إلى الأرض لمدة ثلثي النهار، وهذا بالطبع يختلف عن الكسوف الذي يستغرق فقط من ساعة إلى ثلاث ساعات.

ثالثاً: أن يتم ذلك بسبب حدوث تغيرات في الشمس

والتفسير العلمي لذلك، بأن تحدث انفجارات هائلة أو تحولات فيزيائية معينة في الشمس، بحيث إنها لا ترسل أشعتها لمدة معينة من الزمن، أو قد يحدث انفجاران متتاليان في الشمس في الشهر نفسه: (رمضان) أحدهما يسبب الكسوف (وسط الشهر)، والآخر يسبب الخسوف (آخر الشهر والقمر هلال)... ولعل هذا السبب هو الأقرب والأشد احتمالاً أو هو المتوقع.. خاصة إذا ربطنا ذلك بالآيات والعلامات التي تكون من الشمس ـ كما أوضحنا سابقاً في أحداث شهر رجب ـ ركود الشمس في زمن السفياني (ولعل ذلك بسبب انفجار قوي في الشمس، يمنعها عن التحرك أو حركة عكسية بطيئة كردة فعل على الانفجار لمدة ساعتين أو ثلاث)، وظهور بدن بارز في عين الشمس ـ في أحداث شهر رجب ـ نتيجة لهذا الانفجار القوي في الشمس، تحدث منطقة كائنة على سطح الشمس على شكل وجه وصدر إنسان، ولاحظ العلماء مؤخراً حدوث هذا في الشمس وأطلقوا عليه (ظاهرة التقع)، ومما يؤكد ذلك الحديث الشريف (عن أمير المؤمنين (ع): في حديث طويل عند ذكر الصيحة والنداء في رمضان (٢٣منه) ومن الغد عند الظهر تتلون الشمس وتصفر فتصير سوداء مظلمة)

وهذا دليل واضح على وقوع الخسوف للقمر يوم (٢٥من شهر رمضان) بسبب ظلمة الشمس.. ولعل هذا أفضل تفسير علمي، وأقرب احتمال توصلنا إليه ـ لم يشر إليه أحد من قبل- بعد تكفير مضن عميق في علامات الظهور والآيات السماوية بعيداً عن المعجزة.

الصيحة السماوية من المحتوم

هذه العلامة إحدى المحتومات الحتمية.. والصيحة عبارة عن صوت ونداء، يسمع من السماء في الليلة الثالثة والعشرين من شهر رمضان وهي ليلة القدر يسمعه أهل الأرض، كل قوم بلغتهم، فيذعر النائم وتقعد القائم، وتوقظ القاعد وتخرج العتاة من خدرها شدة ما لها من الهيبة، والمنادي بهذا النداء جبرائيل (ع) (قرب الصحيح) بلسان فصيح: ألا إن الحق مع المهدي (ع) وشيعته. ثم ينادي إبليس اللعين بعد ذلك وسط النهار (قرب المغرب) بين الأرض والسماء ليسمعه جميع الناس: ألا إن الحق مع عثمان وشيعته (السفياني: عثمان بن عنبسة).

عن أبي حمزة قال: قلت لأبي جعفر (ع): (خروج السفياني من المحتوم؟ قال: نعم، والنداء من المحتوم.. قلت له: وكيف يكون النداء؟ فقال: ينادي مناد من السماء أول النهار ألا إن الحق مع آل علي وشيعته، ثم ينادي إبليس في آخر النهار ألا إن الحق مع عثمان وشيعته، فعند ذلك يرتاب المبطلون).

فالمبرر لحدوث هذه الصيحة السماوية هو:

أ. التنبيه على قرب الظهور.

ب. إيجاد الإستعداد التفسي لدى المؤمنين المخلصين.

خاصة وان توقيت حدوث هذه العلامة في أفضل ليالي السنة، وفي أفضل الشهور، والتوجه الديني في هذا الوقت يبلغ ذروته لدى المسلمين.. وسكون ردة الفعل وأهميته متلائمة مع مضمون، كونه يشير إلى القائد (المهدي (ع)) الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، فعند ذلك يظهر المهدي على أفواه الناس، ويشرئبون له، ولا يكون لهم ذكر غيره.

عن أبي بصير عن أبي جعفر الباقر (ع) إنه قال: (الصيحة لا تكون إلا في شهر رمضان، لأن شهر رمضان شهر الله وهي صيحة جبرائيل إلى هذا الخلق، ثم قال ينادي مناد من السماء باسم القائم، فيسمع من بالمشرق ومن بالمغرب، لا يبقى راقد إلا استيقظ، ولا قائم إلا قعد ولا قاعد إلا قام على رجليه، فزعاً من ذلك الصوت، فرحم الله من اعتبر بذلك الصوت، فأجاب: فإن الصوت صوت جبرائيل الروح الأمين، وقال (ع) الصوت في شهر رمضان في ليلة جمعة ليلة ثلاث وعشرين، فلا تشكوا في ذلك واسمعوا وأطيعوا، وفي آخر النهار صوت إبليس اللعين ينادي ألا إن فلاناً قتل مظلوماً ليتكلف الناس ويقتلهم، فكم في ذلك اليوم من شاك متحير قد هوى في النار، فإذا سمعتم الصوت في شهر رمضان، فلا تشكوا فيه إنه صوت جبرائيل، وعلامة ذلك أنه ينادي باسم القائم واسم أبيه عليهما السلام، حتى تسمعه العذراء في خدرها فتحرض أباها وأخاها على الخروج، وقال لابد من هذين الصوتين قبل خروج القائم، صوت من السماء وهو صوت جبرائيل باسم صاحب هذا الأمر واسم أبيه، والصوت الذي من الأرض هو صوت إبليس اللعين، ينادي باسم فلان أنه قتل مظلوماً يريد بذلك الفتنة، فاتبعوا الصوت الأول وإياكم والأخيران تفتتنوا به. . ثم قال (ع) بعد حديث طويل. . إذا اختلف بنو فلان فيما بينهم، فعند ذلك فانتظروا الفرج، وليس فرجكم إلا في اختلاف بني فلان، فإذا اختلفوا فتوقعوا الصيحة في شهر رمضان وخروج القائم إن الله يفعل ما يشاء).

عن عبد الله بن سنان قال: (كنت عند أبي عبد الله (ع) سمعت رجلاً من همدان يقول له: إن هؤلاء العامة يعيروننا ويقولون لنا: إنكم تزعمون أن منادياً ينادي من السماء باسم صاحب هذا الأمر، وكان متكئاً فغضب وجلس ثم قال: لا تروه عني وأروده عن أبي ولا حرج عليكم في ذلك، أشهد أني قد سمعت أبي (ع) يقول: والله إن ذلك في كتاب الله (ع) لبين حيث يقول: (إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين).

فلا يبقى في الأرض يومئذ أحد إلا خضع، ودمعت رقبتها، فيؤمن أهل الأرض، إذا سمعوا الصوت من السماء، ألا إن الحق في علي بن أبي طالب (ع) وشيعته قال: فإذا كان من الغد صعد إبليس في الهوى حتى يتوارى عن الأرض ثم ينادي، ألا إن الحق في عثمان بن عفان وشيعته، فإنه قتل مظلوماً فاطلبوا بدمه، قال: فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت على الحق، وهو النداء الأول ويرتاب يومئذ الذين في قلوبهم مرض، والمرض والله عداوتنا، فعند ذلك يتمردون منا، ويتناولونا فيقولون إن المنادي الأول سحر من سحر أهل هذا البيت، ثم تلا أبو عبد الله (ع) قول الله (ع): (وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر).

عن زرارة بن أعين قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: (ينادي مناد من السماء إن فلاناً هو الأمير وينادي مناد إن علياً وشيعتهم الفائزون، قلت: فمن يقاتل المهدي بعد هذا، قال: رجل من بني أمية، وإن الشيطان ينادي إن فلاناً وشيعته هم الفائزون، قلت: فمن يعرف الصادق من الكاذب، قال: يعرفه الذين كانوا يروون حديثنا، ويقولون إنه يكون قبل أن يكون، ويعلمون أنهم هم المحقون الصادقون).

وهذا النداء مصداق لقوله تعالى (أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون).

إذاً هذا النداء والصيحة السماوية (صوت جبرائيل) لحدث كوني كبير غير معهود، فيه غضب إعجازي، بسبب فرعاً ورعباً في قلوب أعداء الله، ويكون بشارة كبرى للمؤمنين عن قرب الفرج. . وهذا مصداق لقوله تعالى (إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين).

وقوله تعالى (واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب! يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج).

ماذا يجب على المؤمنين أن يفعلوا أثناء حدوث الصيحة أو الفزعة؟

إن تعاليم أهل البيت تؤكد الآتي:

أ. فإذا صليتم الفجر من يوم الجمعة المذكور، فادخلوا بيوتكم،

واغلقوا أبوابكم، وسدوا الكوى، ووثروا أنفسكم، وسدوا آذانكم ـ ففي الخبر: إن من آثار هذه الصيحة أن يصعق له سبعون ألفاً، ويصم له سبعون ألفاً، من شدة وقوة هذا الصوت

فإذا أحسستم بالصيحة فخروا سجداً وقولوا: سبحان ربنا القدوس، فإنه من فعل ذلك نجا، ومن برز لها هلك .

هذا، إلى جانب ما ينبغي من الشكر الواجب لله تعالى على كل من وفقه الله سبحانه وتعالى لبلوغ نعمة إدراك العهد الميمون بظهور القائم المنتظر (عجل الله تعالى فرجه).

ب. تخزين الطعام ما يكفي الفرد والعائلة مدة عام:

عن الإمام الباقر (ع): (آية الحوادث في رمضان: علامة في السماء من بعدها اختلاف الناس، فإذا أدركتها فاكثر من الطعام).

عند حدوث الصيحة السماوية يقع بعدها اختلاف الناس وحروب وفتن (وهي إشارة إلى معركة قرقيسيا) ويقع بعده قحط وغلاء في الأطعمة.. فمن التعاليم القيمة التي أخبر بها الأئمة عليهم السلام تحفظاً على المسلمين والمؤمنين من شيعتهم لئلا يقعوا في الضيق عند وقوع الحوادث، الإكثار من تخزين الطعام والإستعداد للمؤونة والمراد منه مقدار سنة بحسب ما يكفي الفرد ومن يعول ـ سيأتي ذكر الموضوع لاحقاً ـ.. لله در هؤلاء الأئمة العظام عليهم السلام ما أرءوفهم وما أعظم رأفتهم بشيعتهم ومحبيهم، حقاً إنهم فخر لمن يواليهم ويرتبط بهم.

مبايعة ثلاثين ألفاً من كلب للسفياني

يخرج السفياني في شهر رجب، ويحقق انتصارات عسكرية وميدانية وسياسية، وتتسع رقعة نفوذه، وحينها تنضم إليه وتواليه ائتلافات والقبائل غير المتدينة.. (عن النبي صلى الله عليه وآله قال: يخرج السفياني في ستين وثلاثمائة راكب، حتى يأتي دمشق فلا يأتي عليهم شهر رمضان حتى يبايعه من كلب ثلاثون ألفاً)

فقبيلة كلب هم أخوال السفياني، وهم قبائل الدروز، وسوف يثورون معه، وهذه القبيلة كانت في أيام معاوية تعتنق النصرانية، وقد تزوج معاوية منهم أم يزيد قاتل الإمام الحسين (ع)، فالسفياني من أولاد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.. وتسكن عائلة بلدة الرملة من منطقة الوادي اليابس في شرقي فلسطين، وغربي الأردن، وجنوب غربي سوريا، وجنوب غربي دمشق بالتحديد، على بعد أميال معدودة عنها.

أحداث شهر شوال

الأحداث التي ابتدأت متتابعاً، تتواصل وتتفاعل أحداثها وتبرز معالمها. بشكل واضح على السطح، علماً بأن حركة السفياني تحقق انتصارات سريعة في شهور معدودة.. فعبرت الروايات عن الأحداث التي تقع في هذا الشهر:

مثل: تظهر عصابة في شوال

(السفياني وأتباعه).

مثل: في شوال يشول أمر القوم

(أي يثور ثائرهم، ويكثر تكليهم، ويشتد غضبهم، وتقرق كلمة الناس).

مثل: وفي شوال البلاء

(وقوع البلاء على الناس بسبب الحروب والفتن).

مثل: وفي شوال مهمهة

(أي تكون البلاد قفراء خالية من الرجال والشباب لفقدهم في الحروب والفتن).

مثل: وفي شوال معمعة

عن سهل بن حوشب قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم: (سيكون في رمضان صوت وفي شوال معمعة)

... عن ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إذا كانت الصيحة في رمضان، فانها تكون معمعة في شوال، وتميز القبائل وتحارب في ذي القعدة).

فمضمون الروايات الشريفة تدل على وقوع معمعة في شهر شوال، والمعمعة في اللغة: صوت الحريق في القصب، وصوت الأبطال في الحرب، وهي كناية عن وقوع حرب نارية شديدة، ويؤكد ذلك انه قال: وتميز القبائل في ذي القعدة (أي تتشتى القبائل الطعام وتخزنه لما أصابه من تلوث الغازات السامة).. ومعمعة شوال إشارة واضحة إلى معركة قرقيسيا.

قرقيسيا: بلدة في شمالي سوريا تقع بين الفرات ومصب نهر الخابور فيه،

على أطراف بادية الشام، تبعد حوالي مائة كلم عن الحدود العراقية، وحوالي مائتي كلم عن الحدود التركية، وتقع بقرب مدينة دير الزور.. سيكتشف فيها كنز من ذهب أو فضة أو غيرهما (بترول) كما عبرت عن ذلك الروايات: (تحسر الفرات عن جبل من ذهب وفضة فيقتتل عليه من كل تسعة سبعة).

فتختلف عليه فئات متعددة هي:

١. الترك: الذين نزلوا الجزيرة (أرض ما بين النهرين) من تركيا.

٢. الروم: اليهود والدول الغربية الذين نزلوا فلسطين.

٣. السفياني: المسيطر على بلاد الشام.

٤. عبد الله: لم تدل الروايات عليه (الظاهر انه صاحب المغرب).

٥. قيس: مركز راياتها مصر.

٤. ولد العباس: لمن يأتي من العراق.

فمتى بين أطراف النزاع ملحمة كبرى ومعمعة عظيمة وقتال شديد، لا ينتهي حتى يقتل مائة ألف (وفي رواية أخرى أربعمائة ألف) في مدة قصيرة، وهذا إشارة إلى استعمال أسلحة ذات دمار شامل (نووية ـ ذرية ـ غازات كيمياوية سامة أو جرثومية أو الكترونية) في هذه الحرب، مما سيؤثر على الحيوانات والنباتات (الأطعمة) بسبب الأسلحة المستعملة في المعركة.. هذه الواقعة إحدى معارك الحرب العالمية لم يكن مثلها ولا يكون.. وفي نهاية مطاف المعركة يكون النصر حليفاً للسفياني.

جاءت الروايات الشريفة بدلالة واضحة على ذلك:

ففي خبر عمار بن ياسر أنه قال: (ويخرج أهل الغرب إلى مصر، فإذا دخلوا أهلك إمارة السفياني، ويخرج قبل ذلك من يدعو آل محمد عليهم السلام، وينزل الترك الجزيرة وتنزل الروم فلسطين، ويسبق عبد الله حتى يلتقي جنودها بقرقيسيا على النهر، ويكون قتال عظيم، ويسير صاحب المغرب، فيقتل الرجال ويسبي النساء، ثم يرجع في قيس، حتى ينزل الجزيرة السفياني، فيسبق اليماني ويحوز السفياني ما جمعوا ثم يسير إلى الكوفة).

وعن جابر بن يزيد الجعفي قال: قال أبو جعفر الباقر (ع): .. في حديث طويل.. ومارقة تمرق من ناحية الترك، ويعقبها مرج الروم، وسيقبل إخوان الترك حتى ينزلوا الجزيرة، وسيقبل مارقة الروم حتى ينزلوا الرملة، فتلك السنة يا جابر فيها اختلاف كثير في كل أرض من ناحية المغرب، فاول أرض المغرب أرض الشام، يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات: راية الأصهب، وراية الأبقع، وراية السفياني، فيلتقي السفياني بالأبقع فيقتتلون فيقتله السفياني ومن تبعه، ويقتل الأصهب، ثم لا يكون له همة إلا الاقتتال نحو العراق، ويمر جيشه بقرقيسيا فيقتتلون بها، فيقتل

بها من الجبارين مائة ألف، ويبعث السفياني جيشاً إلى الكوفة.

عن عبد الله بن أبي يعفور قال: حدثنا الباقر (ع): (أن لولد العباس والمرواني لوقعة بقرقيسيا يشيب فيها الغلام الخزور (أي الشديد القوي) ويرفع الله عنهم النصر، ويوحي إلى طير السماء وسباع الأرض اشبعي من لحوم الجبارين، ثم يخرج السفياني).

عن حذيفة ابن منصور عن أبي عبد الله (ع) أنه قال: (إن لله مائدة ـ وفي غير هذه الرواية تابوتة ـ بقرقيسيا، يطلع مطلع من السماء، فينادي يا طير السماء ويا سباع الأرض هلموا إلى الشبع من لحوم الجبارين).

عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر الباقر (ع) يقول: (.. في حديث طويل.. أنتم ترون أعداءكم يعملون في معاصي الله ويقتل بعضهم بعضاً على الدنيا ودنكم، وأنتم في بيوتكم آمنون في عزلة عنهم، وكفى بالسفياني نقمة لكم من عدوكم وهو من العلامات لكم، مع أن الفاسق لو قد خرج (في رجب) لكنتم شهراً أو شهرين (رمضان) بعد خروجه لم يكن عليكم بأس حتى يقتل خلقاً كثيراً دونكم).

وعلى أية حال، فبعد معركة قرقيسيا يتم التدمير والإضعاف والقضاء على كل القوى السياسية والعسكرية في المنطقة، الذين يحتمل إن يحاربوا المهدي (ع) عند ظهوره، ولا يبقى إلا السفياني منتصراً متطرساً.

احداث شهر ذي القعدة

من نتائج معركة قرقيسيا الدمار الشامل الذي ستحدثه في الحرث والنسل، فمن جهة مقتل الرجال (مائة ألف على أقل تقدير) وفساد الطعام (الحيوانات والنباتات) من جهة أخرى، هذا كله بسبب الأسلحة الفتاكة التي استخدمت في المعركة والحرب ـ غازات سامة وأسلحة نووية وقنابل ذرية ـ فحدث القحط والشح في الطعام، فبدأت القبائل في هذا الشهر تبحث عن الطعام (وبالخصوص التمر) لأفرادها وتقاتل لأجله.

(عن رسول الله صلى الله عليه وآله إذا كانت الصيحة في رمضان، فإنها تكون معمعة (معركة قرقيسيا) في شوال، وتميرالقبائل وتحارب في ذي القعدة، ويسلب الحاج وتحك الدماء في ذي الحجة).

تميرالقبائل

تميرالقبائل: أي إذا حمل الطعام إليهم من بلد آخر، والميرة هو الطعام الذي تمتاره العشائر من بلد إلى آخر، فالمعنى أن القبائل يذهبون إلى البلاد الأخرى لشراء الطعام لأنفسهم، ويمتارون الأطعمة لعام السنة، ويحرزونه خوفاً من حدوث الشح والقحط والغلاء وتلوث الأغذية بسبب الحروب والقتال والأسلحة المدمرة.

عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا عبدالله (ع) يقول: (إن قدام القائم علامات تكون من الله تعالى للمؤمنين (اختبارا لهم)، قلت: فما هي جعلني الله فداك؟ قال: قول الله (ع) (ولنبلونكم (يعني المؤمنين قبل خروج القائم) بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين).

تميرالقبائل وتقاتل على الطعام في ذي القعدة.. وتستمر على ذلك حتى الأشهر القادمة، ومما يؤكد ذلك إنه قال: ويسلب الحاج في ذي الحجة (أي يسرقون وينهبون أمتعة الحجاج وأموالهم).

عن فيروز الديلمي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (في حديث

طويل ـ فالصوت في شهر رمضان، والمعمعة في شوال، وتميرالقبائل في ذي القعدة، ويغار على الحاج في ذي الحجة، والمحرم، وما المحرم؟ أوله بلاء على أمتي، وآخره فرج لأمتي، الراحلة يقتبها، يحنو عليها المؤمن خير له من دسكرة تنقل مائة ألف)

فالدسكرة (مخزن للطعام ولوضع الغلاة فيها)، فيكون المعنى أن الذئاب والتمر للجهادع الإمام بقية الله (ع) أفضل من جمع الطعام في دسكرة تكفي غلة لمائة ألف رجل، لأن الدسكرة لا تنفعه ولا تفيده، بل التوفيق للجهادع الإمام (ع) هو الذي ينفعه في الدنيا والآخرة، وفيه خير الدنيا والآخرة.

قبل هذا نجد إن تعاليم أئمة أهل البيت عليهم السلام، التي علموا شيعتهم ومحبيهم وموالييهم، بعد سماع الصيحة في رمضان أن يكثروا من تخزين الطعام.. أي قبل أن تحدث الواقعة (معركة قرقيسيا) والحروب والفتن، وحينئذ يكون شيعة آل البيت عليهم السلام قد احتاطوا لتخزين الطعام، وكانت لهم فرصة قبل غيرهم بشهرين على الأقل، وقبل أن يتلوث الطعام، بفضل وبركة تعاليم الأئمة عليهم السلام، وهذا من العلم المسطور في الكتب والأسرار الغيبية التي تفضل بها علينا سادتنا وقادتنا عليهم أفضل الصلاة والسلام.

مذبحة بغداد

بعد معركة قرقيسيا، يستقل السفياني حالة الضعف السياسي في العراق، فيقوم بحملة عسكرية تدخل قوات العراق وترتكب مجازر فادحة في بغداد (تبدأ في ٢١ أو ٢٢ من شهر ذي القعدة) ومذابح في الكوفة (يوم الزينة يوم عيد الأضحى المبارك في شهر ذي الحجة) وغيرها من المدن، حتى تدخل قوات الخراساني (الإيرانيين).

عن الإمام الصادق (ع): (ـ في حديث طويل ـ ويعم العراق خوف شديد لا يكون معه قرار، ويقع الموت الذريع بعد أن يدخل جيش إلى بغداد فيسبيها ثلاثة أيام ويقتل من أهلها ستين ألفاً (وقيل سبعون) ويخرب دورها، ثم يقيم بها ثاني عشرة ليلة فيقسم أموالها، ويكون أسلم مكان فيها الكرخ)

عن ابن وهب قال تمثل أبو عبد الله (ع) ببيت من شعر لابن أبي عقيب:

ويخرب الزوراء منهم لدى الضحى ثمانون ألفاً مثل ما تخر البدن

حتى قال: ـ يقتل في الزوراء ثمانون ألفاً، منهم ثمانون رجلاً من ولد فلان، كلهم يصلح للخلافة.

عن أمير المؤمنين (ع) قال: (ـ في حديث طويل ـ فيخرج من المدينة الزوراء واليهم، أمير في خمسة آلاف من الكوفة، فيقتل على جسرها سبعين ألفاً، حتى تحمى الناس من الغرات ثلاثة أيام من دماء نتن الأجساد)

عن الإمام الصادق (ع): (يكون إحراق رجل عظيم القدر من شيعة بني العباس، عند الجسر مما يلي الكرخ بمدينة بغداد).

عن الإمام الحسين (ع) قال: (ـ في حديث طويل ـ ويبعث جيشاً إلى الزوراء (بغداد) مائة وثلاثون ألفاً، فيقتل على جسرها إلى مدة ثلاثة أيام سبعون ألف نفس، ويقتص اثنا عشر ألف بكر، وترى ماء الدجلة محمراً من الدم ومن نتن الأجساد).

الزوراء هي بغداد، والذي بناها هو المنصور الدوانيقي، وقد تكرر ذكر الجسر في روايات كثيرة، وهو الجسر المنعقد في طرف الكرخ ببغداد من محلة الحفير، مقابل مدينة الطب الواقعة في الطرف الآخر من نهر دجلة، وإنما تكرر ذكره فالظاهر إن هذا الجسر هو الذي تقع عليه الواقعة بجيش السفياني مع الجيش العراقي فيقتل عليه سبعون ألف جندي وتسيل دماؤهم في نهر دجلة حتى يحمر ماء النهر من الدم وينتن الماء من الدم وجيف الأجساد حتى يمتنع الناس من شرب ماء النهر ثلاثة أيام.

عن الإمام الصادق (ع) قال: (ويل للزوراء من الرايات الصفر ورايات المغرب ورايات السفياني).

عن المفضل بن عمر عن الإمام الصادق (ع) قال المفضل: (يا سيدي فالزوراء التي تكون في بغداد وما يكون حالها في ذلك الزمان؟ فقال: تكون محل عذاب الله وغضبه والويل لها من الرايات الصفر ومن الرايات التي تسير إليها في كل قريب وبعيد، والله لينزلن من صنوف العذاب ما نزل بسائر الأمم المتردية من أول الدهر إلى آخره، ولينزلن بها من العذاب ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، وسيأتيها طوفان بالسيول فالويل لمن اتخذ ها مسكناً، والله إن بغداد تعمر في بعض الأوقات حتى إن الرائي يقول هذه الدنيا لا غير، ويظن أن بناتها الحور العين وأولادها أولاد الجنة، ويظن أن لا يرزق الله إلا فيها، ويظهر الكذب على الله، والحكم بغير الحق وشهادة الزور وشرب الخمر والزنا وأكل مال الحرام وسفك

الدماء، بعد ذلك يخرجها الله تعالى بالمتن، وعلى يديه هذه العساكر حتى إن الماء عليها لايرى منها إلا السور بل يقول هذه أرض بغداد، ثم تخرج الفتى الصبيح الحسن من نحو الديلم وقزوين فيصيح بصوت له يا آل محمد أجيبوا الملهوف فتجيبه كنوز الطالقان، كنوز ولا كنوز من ذهب ولا فضة، بل هي رجال كزبر الحديد لكأني أنظر إليهم على البراذين الشهب بأيديهم الحراب تتعادى شوقاً إلى الحرب كتعادي الذئاب، أميرهم رجل من بني تميم يقال له شعيب بن صالح فيقبل الحسن فيهم ووجهه كدائرة القمر، فيأتي على الظلمة فيقتلهم حتى يرد الكوفة.

يواصل جيش السفياني في ارتكاب المجازر الطائفية في بغداد، ثم يرسل جيشه إلى الكوفة (النجف) وتكون بها وقعة شديدة، تذبل منها العقول، ولا تتوقف هذه المجازر إلا بدخول القوات الإيرانية للعراق بقيادة الخراساني.

أحداث شهر ذي الحجة

كلما اقتربنا من زمن الظهور المقدس أو من منطقة بزوغه، كثرت في الروايات والأحاديث التفاصيل، حتى تتناول الأمكنة والأيام والساعات.. وبالتالي، نستطيع أن نحدد يوم وقوع الحدث حسب معطيات الروايات.

كثير من الروايات الشريفة، عبرت عن شهر ذي الحجة بأنه شهر الدم، عن أبي بصير عن أبي عبد الله (ع) قال: (- في حديث طويل - قلت فذو الحجة، قال: ذاك شهر الدم)

قال رسول صلى الله عليه وآله: (ويسلب الحاج وتسفك الدماء في ذي الحجة)

فمن الأحداث المهمة التي تقع في هذا الشهر (حدث مهم وهو من المحتومات الخمسة)، فضلاً عن أحداث كثيرة تطرقت إليها الروايات وهي:

يوم الزينة أي يوم عيد الأضحى المبارك (العاشر من ذي الحجة): بعد المجازر التي ارتكبها جيش السفياني في بغداد ودهانة فيها ثماني عشرة ليلة، يتوجه جنوده إلى الكوفة (النجف) ويرتكبون مذابح ومجازر لاعد لها ولا حصر.

يبعث السفياني جيشاً لغزو الكوفة والنجف قوامه (مائة وثلاثون ألفاً) فينزلون بالروحاء والفارق وموضع مريم وعيسى بالقادسية (أي ينزلون على طريق بابل إلى الكوفة، والروحاء موضع قريب من الغرات وقيل أنه نهر عيسى (ع)، والفارق هو موضع لتشعب الطرق، وهو مفرق لعدة طرق: طريق منه يذهب إلى القادسية - أي الديوانية - وطريق منه يذهب إلى بابل وبغداد، وطريق منه يذهب إلى ذي الكفل والكوفة والنجف وغيرها.

يسير من جيش السفياني الذي يغزو النجف ثمانون ألفاً، حتى ينزلوا موضع قبر هود (ع) بالنخيلة (أي رحبة وادي السلام: مقبرة النجف الأشرف الكبرى) فيجيئون إليهم يوم الزينة (أي يوم عيد الأضحى) عن طريق بابل الكوفة، ثم يتجهون إلى النجف، فيسبي الجيش من الكوفة والنجف سبعين ألف بنت بكر - أي غير متزوجات - ويوضعن في الحامل - أي في السيارات - ويذهب بهن إلى الثوية موضع قبر كميل بن زياد، وبعض أصحاب أمير المؤمنين (ع)، وقد بنى لكميل صحن وحرم كبير وقد بنيت الأحياء والبيوت من حوله، فتجمع السبايا من البنات والنساء في صحنه وتوضع الغنائم فيه.

وبعد أن يمعن جيش السفياني في الكوفة قتلاً وصلباً وسبياً.. يقتل أعوان آل محمد صلى الله عليه وآله ورجالاً من المحسوبين عليهم، وينادي منادٍ في الكوفة: من جاء برأس من

شيعة علي، فله ألف درهم، فيثب الجار على جاره، وهما على مذهبين مختلفين في الاسلام، ويقول: هذا منهم فيضرب عنقه، ويسلم رأسه إلى سلطات السفياني، فيأخذ منها ألف درهم.

ولا تستبع حركة ضعيفة وتمرد صغير يحدث في الكوفة من قبل أهلها. التخلص من سلطة السفياني، بل سوف تفشل و سيتمكن السفياني من قتل قائد الحركة بين الحيرة والكوفة.

وكأنه يكون قد انهزم بعد فشل حركته، فيتمكن السفياني من القاء القبض عليه في الطريق فيقتله، ويقتل أيضاً سبعين من الصالحين (أي علماء الدين)، وعلى رأسهم رجل عظيم القدر، يحرقه (أي السفياني) ويذر رماده في الهواء بين جالولاء وخانقين، بعد أن يقتل في الكوفة أربعة آلاف شخص.

تخبر الروايات أنه توجد في النجف والكوفة جماعة أو حزب غير متدين يخرج في مظاهرات ومسيرات مؤيدة للسفياني عددهم مائة ألف بين مشرك ومنافق حتى يصلون دمشق.

وبعد أن فتك جيش السفياني بالنجف، وقتل العلماء والصلحاء والمؤمنين، وهدم قبر أمير المؤمنين (ع) وسبي نساء النجف ونهب أموالهم.. يبدأ بالزحف نحو إيران، فيصل إلى منطقة اصطخر (منطقة شيراز).

يقوم السيد الخراساني، ويستصرخ المؤمنين من أهل إيران، ويطلب منهم نصره أهل العراق، فيجتمع له جيش عظيم مع القوة والاستعداد، على مقدمة شعيب بن صالح، فيلتقي الخراساني (الرايات السود) مع السفياني بباب اصطخر، فيكون بينهم ملحمة عظيمة، فتقتصر الرايات السود، وتهرب خيل السفياني (وهذه أول هزيمة للسفياني بعد انتصاراته المتكررة والسريعة السابقة) ويقوم السيد اليماني من اليمن (واسمه حسن أو حسين) وقد سمع بهذه الحوادث وعلة الكوارث، فيصل في أسرع وقت إلى الكوفة، فيلتقي مع جيش السيد الخراساني مؤيداً وناصراً له على جيش السفياني، فيوجهون أسلحتهم على جيش السفياني ويخرجونهم من النجف، ويرجعون السبايا والغنائم إلى أهلها.. فعند ذلك تتمنى الناس المهدي ويطلبونه.

جاءت الروايات الشريفة بدلالات صريحة لإيضاح معالم الأحداث التي تقع في الكوفة والنجف.

فعن الأصبغ بن نباتة قال سمعت أمير المؤمنين (ع) يقول: (.. ويبعث مائة وثلاثين ألفاً إلى الكوفة ويسلبون الرحاء والفاروق فيسير منهم ستون ألفاً حتى ينزلوا الكوفة موضع قبر هود (ع) بالنخيلة فيحيون عليهم يوم الزينة وأمير الناس جبار عنيد يقال له الكاهن الساحر.. وفي مقطع آخر من الحديث.. ويسبي من الكوفة سبعون ألف بكر لا يكشف عنها كف ولا قناع حتى يوضعن في المحامل يذهب بهن إلى الثوية وهي الغري، ثم يخرج من الكوفة في مائة ألف ما بين مشرك ومنافق حتى يقدموا دمشق لا يصدهم عنها صاد ولا رام ذات العماد، وتقبل رايات من الأرض غير معلمة ليست بقطن ولا كتان ولا حرير مختوم في رأس القناة بخاتم السيد الأكبر، يسوقها رجل من آل محمد تظهر بالمشرق، يوجد ريحها بالمغرب كالمسك الأذفر يسير الرعب أمامها شهراً، حتى ينزلوا الكوفة طالبين بدماء آبائهم فيهزمهم على ذلك إذا قبلت خيل اليماني والخراساني يستبقان كأنهما فرسا رهان شعث غبر جرد أصلاب نواصي وأقداح إذا نظرت إلى أحدهم برجل باطنه فيقول لا خير في مجلبنا بعد يومنا هذا، اللهم فانا التائبون وهم الأبدال الذين وصفهم الله في كتابه العزيز (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)

ونظرائهم من آل محمد عن جابر بن يزيد الجعفي قال: قال: أبو جعفر الباقر (ع): (.. في حديث طويل.. ويبعث السفياني جيشاً إلى الكوفة وعدتهم سبعون ألفاً فيصيبون من أهل الكوفة قتلاً وصلباً وسبياً فبينما هم كذلك إذ أقبلت رايات من قبل خراسان وتطوي المنازل طياً حثيثاً ومعهم نفر من أصحاب القائم ثم يخرج رجل من موالي أهل الكوفة في ضعفاء فيقتل أمير جيش السفياني بين الحيرة والكوفة).

عن أبي عبدالله (ع): في خبر طويل أنه قال: (لايكون ذلك حتى يخرج خارج من آل أبي سفيان يملك ثمانية أشهر كعمل المرأة، ولايكون حتى يخرج من ولد الشيخ فيسير حتى يقتل بيطن الجف فوالله كأني أنظر إلى رماحهم وسيوفهم وأمتعتهم إلى حائط من حيطان الجف يوم الإثنين ويستشهد يوم الأربعاء).

عن الأصبغ بن نباتة قال: سمعت أمير المؤمنين (ع): (.. في حديث طويل.. حصار الكوفة بالرصد والخندق وتخريق الزوايا في سكك الكوفة وتعطيل المساجد أربعين ليلة وكشف الهيكل وخفق رايات ثلاثة حول المسجد الأكبر تنشر القاتل والمقتول في النار وقتل سريع وموت ذريع وقتل النفس الزكية بظهر الكوفة في سبعين).

عن أمير المؤمنين (ع): (ويكون قتل سبعين من الصالحين (علماء دين)، وعلى رأسهم رجل عظيم القدر، يحرقه (أي السفياني) ويذر رماده في الهواء بين جلولاء وخانقين، بعد أن يقتل في الكوفة أربعة آلاف.

عن عمر بن إبان الكلبي عن أبي عبدالله (ع) قال: (كأني بالسفياني قد طرح رحله في رحبتكم بالكوفة فينادي منادٍ: من جاء برأس شيعة علي فله ألف درهم، فيثب الجار على جاره ويقول هذا منهم فيضرب عنقه ويأخذ ألف درهم، أما إنكم لو منذ لا تكون إلا الأولاد البغايا كأني أنظر إلى صاحب البرقع، قلت ومن صاحب البرقع، قال: رجل منكم يقول بقولكم يلبس البرقع فيحوشكم فيمر فكم ولا تعرفونه فيقتلكم رجلاً رجلاً أما إنه لا يكون إلا ابن بغي).

عن أمير المؤمنين (ع): (إذا خرجت خيل السفياني إلى الكوفة بعث في طلب أهل خراسان، ويخرج أهل خراسان في طلب المهدي، فيلتقي (أي السفياني) هو والهاشمي (أي الخراساني) براية سوداء على مقدمة شعيب بن صالح، فيلتقي هو والسفياني بباب اصطخر، فيكون بينهم ملحمة عظيمة، فتفر (أي تنتصر) الرايات السود وتهرب خيل السفياني، فعند ذلك يتمنى الناس المهدي ويطلبونه.

اضطرابات منى

تصف الأحاديث الشريفة اضطرابا يقع بين الحجاج في منى أثناء موسم الحج، ويبدو أنه امتداد للخلاف بين أهل الحجاز حول السلطة.

عن الإمام الصادق (ع): (يحج الناس معاً، ويعرفون (أي يقفون بعرفات) معاً على غير إمام، فبينا هم نزول بمنى يأخذهم مثل الكثيب، فتثور القبائل فيما بينها حتى تسيل (جمرة) العقبة بالدماء، فيفزعون، ويلوذون بالكعبة).

ويفهم من الحديث الشريف، أن الناس يعيشون حالة التوتر إلى حد أنهم بمجرد أن يكملوا أداء مناسكهم، أو قبل إكمالها، يشتبكون في منى فتحدث الإضطرابات، أثناء أداء نسك رمي الجمار في منى، ويسلب الحجاج، وينهبون أموالهم ويقتلون وتنتهك المحارم.

عن سهل بن حوشب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (يكون في رمضان صوت، وفي شوال معمعة، وفي ذي القعدة تحارب القبائل، وعلامة نهب الحج وتكون ملحمة بمنى ويكثر فيها القتل وتسيل فيها الدماء حتى تسيل دماؤهم على الجمرة العقبة).

عن عبدالله بن سنان قال: سمعت أبا عبدالله (ع) يقول: (يشغل الناس موت وقتل حتى يلجأ الناس عند ذلك إلى الحرم فينادي منادٍ صادق من شدة القتال، فيهم القتل والقتال صاحبكم فلان).

قتل ذي النفس الزكية: (من المحتوم)

بعد وقوع كثير من الأحداث والأخبار السابقة، تبدأ معالم يوم الغبر المقدس تظهر للناس بجلاء، ويبدأ الإمام المهدي (ع) بإرسال نائبه (رسوله) للناس في مكة المكرمة في عملية اختبار وتهيئة للثورة المباركة، فيقوم الفتى الهاشمي (محمد بن الحسن - ذو النفس الزكية) فيدخل المسجد الحرام في اليوم الخامس والعشرين من ذي الحجة ويقف بين الركن والمقام ويبلغ أهل مكة رسالة شفوية من الإمام المهدي (ع)، وهذه الرسالة لا تشتمل على شيء من السب والشتم أو التهديد، إنما تشتمل على الاستصراخ والاستنجاد بأهل مكة.. فيقوم بقايا النظام في الحجاز بارتكاب جريمة شنعاء ويقتلونه في الحال بين الركن والمقام، فتكون هذه الجريمة إيذاناً بنهاية حكمهم، وليس بين قتله وظهور الإمام (ع) إلا خمس عشرة ليلة.

وكذلك نفس الحال في مدينة المصطفى صلى الله عليه وآله يقوم بقايا النظام بارتكاب جريمة بشعة أخرى، لا تقل عن سابقتها وهي قتل ابن عم ذي النفس الزكية واسمه محمد و شقيقة فاطمة، ويصلبونهما على باب مسجد النبي صلى الله عليه وآله.

عن أبي عبدالله (ع) أنه قال: (... وقتل النفس الزكية من المحتوم).

عن أبي بصير عن أبي جعفر (ع): في حديث طويل.. إلى أن قال: (يقول القائم (ع) لأصحابه: يا قوم، إن أهل مكة لا يريدونني ولكنني مرسل إليهم لأحتج عليهم بما ينبغي لمثلي أن يحتج عليهم، فيدعو رجلاً من أصحابه فيقول له: إمض إلى أهل مكة فقل: يا أهل مكة، أنا رسول فلان (الإمام المهدي (ع)) إليكم، وهو يقول لكم: إنا أهل بيت الرحمة ومعدن الرسالة والخلافة، ونحن ذرية محمد صلى الله عليه وآله وسلالة النبيين، وإنا قد ظلمنا واضطهدنا وتمرنا واستئثر منا حتى منذ قبض نبينا إلى يومنا هذا، ونحن نستنصركم فانصرونا، فإذا تكلم بهذا الفتى بهذا الكلام أتوا إليه فذبحوه بين الركن والمقام وهو النفس الزكية).

عن عباية بن ربعي الأسدي عن أمير المؤمنين (ع): (.. ألا أخبركم بآخر ملك بني فلان؟ قتل نفس حرام، في يوم حرام، في بلد حرام، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما لهم من ملك بعده غير خمس عشرة ليلة).

عن أبي صالح مولى بني العذار قال: (سمعت أبا عبدالله (ع) يقول: ليس بين قائم آل محمد وبين قتل النفس الزكية إلا خمس عشر ليلة).

عن زرارة بن أعين قال سمعت أبا عبدالله (ع) يقول: (... لابد من قتل غلام بالمدينة (مدينة الرسول صلى الله عليه وآله) قلت: جعلت فداك أليس يقتله جيش السفياني؟ قال: لا، ولكنه يقتله جيش بني فلان، يخرج حتى يدخل المدينة فلا يدري الناس أي شيء دخل، فيأخذ الغلام فيقتله، فإذا قتله بغياً وعدواناً وظلماً، لم يمهلهم الله (ع) فعند ذلك توقعوا الفرج).

عن الإمام الباقر (ع): (وعند ذلك تقتل النفس الزكية في مكة، وأخوة في المدينة ضيعة)

إن الذي يقتل في المدينة المنورة ويصلب هو وأخته فاطمة، هما من أبناء عم ذي النفس الزكية، وقد قال الإمام الصادق (ع): (يقتل المظلوم ويشرب، ويقتل ابن عمه في الحرم).

إن من المؤكد أن (النفس الزكية) الذي يعتبر قتله من العلائم المحتومة، هو

(محمد بن الحسن) الذي يمنع بين الركن والمقام، قبل ظهور الامام

بخمس عشرة ليلة.. وقد عبرت عنه الروايات الشريفة بعدة أسماء مثل:

(ذو النفس الزكية) لأنه يقتل بلا اي ذنب، وقد قال تعالى على لسان موسى (ع) للخضر: (أقتلت نفسا زكية)

اي بريئة من الذنوب.

(المستنصر) لأنه يبدأ كلمته قبل قتله بالاستنصار لآل محمد.

أو (رجل هاشمي)، (غلام من آل محمد)، (الحسني) ما يثبت انه من نسل رسول الله صلى الله عليه وآله ومن السادة.

أحداث شهر محرم

نصل إلى آخر جزء من المخطط الذي سرنا عليه في هذا الفصل، حيث تبدأ في هذا الشهر خاتمة كل تلك الأحداث والعلامات وذلك بشروع نور الفجر المقدس في اليوم العاشر منه، ومن ثم تبدأ عالمية التحرير والدعوة للإسلام من جديد ونشر العدل والقسط في أرجاء المعمورة، ووضع خاتمة لكل جهود الأنبياء والأولياء والصالحين والشهداء وذلك تحقيق أهدافهم التي ضحوا من أجلها.

نصل إلى بداية مرحلة العهد الميمون، وبداية تحقق الوعد الإلهي في كتابه الكريم وبشارة رسول الله صلى الله عليه وآله:

١. قال تعالى: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون).

٢. وقوله تعالى: (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون)

٣. وقوله تعالى: (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون)

٤. وقوله تعالى: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)

٥. وبشارة رسول الله صلى الله عليه وآله التي قالها في خطبة يوم الغدير وبحضور (١٢٠) ألف مسلم: (.. معاشر الناس: النور من الله (ع) في مسلوك، ثم في علي، ثم في النسل مني إلى القائم المهدي (ع)، الذي يأخذ بحق الله وبكل حق هو لنا..)

هذا اليوم الذي عبر عنه الإمام الباقر: (عليه السلام) (أما إني لو أدركت ذلك لاستبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر)

هذا اليوم الذي ينظره أهل السماء قبل أهل الأرض.. هذا اليوم العظيم المدخر لتحقيق أكبر الأهداف وأسمى الغايات.. نشر الإسلام الصحيح وتطبيقه على العالم.

أولا: يوم الفجر المقدس: (وعد الهي)

تدل الأحاديث على أن مبعوثين من بلاد العالم الإسلامي يفدون إلى الحجاز فيبحثون عن المهدي (ع) سراً فيبايعونه (سبعة من علماء الدين وأعوانهم)

في هذه الأثناء يكون المهدي (ع) قد خرج من المدينة المنورة متوجهاً إلى مكة المكرمة خائفاً يترقب على سنة موسى بن عمران (ع) في حين يبدأ وزراؤه وأصحابه (٣١٣ رجلا) بالتوافد إلى مكة، فيجتمعون من آفاق شتى على غير ميعاد في ليلة واحدة.

في يوم السبت (عاشوراء - العاشر من المحرم) صباحاً (قبيل طلوع الشمس) وبعد أن يصلي ركعتين خلف مقام إبراهيم (ع) في الحرم المكي يقف بين الركن والمقام ويعلن خطبته الأولى بأن يعرف الناس بنفسه الشريفة، ويدعوا الناس إلى بيعته، وأول من يبايعه (الطائر الأبيض الواقف على ميزاب الكعبة) جبرائيل (ع)، ثم أصحابه الكرام (٣١٣) ثم المؤمنون والصالحون، الذين أتوا النصرة وتوفقوا للجهاد معه، فيبقى في مكة المكرمة حتى يجتمع عنده عشرة آلاف مناصر (العقد - الخاتمة).

عن يونس بن ظبيان عن أبي عبدالله (ع) قال: (إذا كان ليلة الجمعة أهبط الرب تعالى ملكاً إلى سماء الدنيا فإذا طلع الفجر جلس ذلك الملك على العرش فوق البيت المعمور، ونصب لمحمد وعلي والحسن والحسين عليهم السلام منابر من نور، فيصعدون عليها، وتجمع لهم الملائكة والنبيون والمؤمنون، وتفتح أبواب السماء، فإذا زالت الشمس، قال رسول الله صلى الله عليه وآله يا رب ميعادك الذي وعدت به في كتابك وهو هذه الآية (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا)

ثم يقول الملائكة والنبيون مثل ذلك ثم يقر محمد وعلي والحسن والحسين سجداً ثم يقول يا رب اغضب فإنه قد هتك حريمك وقتل أصفياؤك وأذل عبادك الصالحون فيفعل الله ما يشاء وذلك يوم معلوم)

يوم السبت (عاشوراء) العاشر من محرم الحرام

عن أبي بصير قال: قال أبو عبدالله (ع) (.. يقوم (القائم) في يوم عاشوراء، وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين بن علي (ع) الكافي به في يوم السبت العاشر من المحرم قائماً بين الركن والمقام، جبرئيل بين يديه ينادي بالبيعة له فتصير شيعته من أطراف الأرض تطوى لهم طياً حتى يبايعوه فيملأ الله به الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً)

عن علي بن مهزيار عن أبي جعفر الباقر (ع) قال: (كأني بالقائم يوم عاشوراء، يوم السبت قائماً بين الركن والمقام)

عن المفضل بن عمر عن الإمام الصادق (ع): (... ينظر وحده ويأتي البيت وحده ويلج الكعبة وحده ويجن عليه الليل وحده، فإذا نامت العيون وغسق الليل نزل إليه جبرئيل وميكائيل والملائكة صفوفاً فيقول له جبرئيل: يا سيدي فوالك مقبول، وأمرك جائز فسح يده على وجهه ويحمد ويقول الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء، فنعم أجر العاملين، ويقف بين الركن والمقام فيصرخ صرخة فيقول: يا معاشر نقبائي وأهل خاصتي ومن ذخرهم الله لنصرتي قبل ظهوري على وجه الأرض، انتوني طائعين فيرد صيحته عليهم وهم في محاريبهم وعلى فرشهم في شرق الأرض وغربها، فيسمعون في صيحة واحدة في أذن كل رجل فيجيبون نحواً ولا يمضي لهم إلا كلمحة بصر حتى يكون كلهم بين يديه بين الركن والمقام فيأمرهم الله (ع) النور فيصير عموداً من السماء إلى الأرض

فيقضي به كل مؤمن على وجه الأرض ويدخل عليه نور من جوف بيته فتفرح نفوس المؤمنين بذلك النور، وهم لا يعلمون بظهور قائمنا أهل البيت عليهم السلام، ثم يصبحون وقوفاً بين يديه وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً بعدة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر)

عن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبدالله (ع): (إذا أذن الإمام دعى الله باسمه العبراني فاتحيت له صحابته الثلاثمائة والثلاثة عشر قزع كقزع الخريف، فهم أصحاب الألوية، منهم من يفقد عن فراشه ليلاً فيصبح بمكة، ومنهم من يرى يسير في السحاب نهاراً يعرف باسمه واسم أبيه وحلية ونسبه، قلت: جعلت فداك أيهم أعظم إيماناً، قال: الذي يسير في السحاب نهاراً وهم المفقودون وفيهم نزلت هذه الآية (أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعاً)

عن أبي بصير عن أبي عبدالله (ع): (.. فهؤلاء ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً بعدد أهل بدر يجمعهم الله (ع) بمكة في ليلة واحدة وهي ليلة الجمعة فيوافوه في صبيحتها إلى المسجد الحرام ولا تخلف منهم رجل واحد وهم متشررون بمكة في أزقتها فيلتمسون منازل يسكنونها فينكرهم أهل مكة، وذلك أنهم لم يعلموا بقافلة قد دخلت من البلدان بحج ولا بعمرة ولا بتجارة، فيقول بعضهم لبعض: إنا لنرى في يومنا هذا قوماً لم نكن رأيناهم قبل يومنا، ليسوا من بلد واحد ولا أهل بلد واحد ولا أهل بدو ولا معهم إبل ولا دواب فيسألهم كذلك، وقد دنوا أبوابهم إذ يقبل رجل من بني مخزوم يتخطى رقاب الناس حتى يأتي رئيسهم، فيقول: لقد رأيت في ليلتي هذه رؤيا عجيبة وإني منها خائف وقلبي منها وجل، فيقول له أقصص رؤياك فيقول رأيت كوة نار انفتحت من عنان السماء، فلم تزل تهوي، حتى انحطت إلى الكعبة فدارت فيها فإذا هي جراد ذات أجنحة خضر كالملاحف فطافت بالكعبة ما شاء الله، ثم تطايرت شرقاً وغرباً ولا تمر بلد إلا أحرقته ولا بخضرة إلا حطمته، فاستيقظت وأنا مذعور القلب وجل، فيقولون لقد رأيت هؤلاء فانطلق بنا إلى المقفى ليعبرها (يفسرها) وهو رجل من ثقيف فيقص عليه الرؤيا فيقول: لقد رأيت عجباً وقد طرقكم في ليلتكم جند من جنود الله لا قوة لكم بهم، فيقولون لقد رأينا في يومنا هذا عجباً، ويحدثونه بأمر القوم ثم ينهضون من عنده، ويهمون بالوثوب عليهم ولقد ملأ الله قلوبهم منهم رعباً وخوفاً فيقول بعضهم لبعض وهم يتآمرون بذلك، لا تعجلوا على القوم إنهم لم يأتوكم بعد بسكر، ولا أظهروا خلافاً فلعل الرجل منهم يكون في القبيلة من قبائلكم، فإن بدا لكم منهم شيء فأنتم وهم. أما القوم فإنا نراهم مستكينين، ويسامهم حسنة وهم في حرم الله الذي لا يباح من دخله حتى يحدث به حدثاً، ولم يحدث القوم حدثاً يجب محاربتهم! فيقول ـ المخزومي وهو رئيس القوم وعمدتهم ـ إنا لا نأمن أن يكون ورائهم مادة لهم (أي أعوان وذخيرة) فإذا التأمت إليهم كشف أمرهم وعظم شأنهم فانهضوهم وهم في قلة من عددهم فصفية يد قبل أن تأتيهم المادة، فإن هؤلاء لم يأتوكم بمكة ويكون لهم شأن، وما أحسب تأويل رؤيا صاحبكم إلا حتفاً فاحملوهم بلدكم واجلسوا للذي هو الأمر الممكن، فيقول قائلهم: إن من كان يأتيكم أمثالهم فلا خوف منهم فإنه لا سلاح للقوم ولا كراع ولا حصن يلجأون إليه وهم غرباء محلون، فإن أتى جيش لهم نهضتم إلى هؤلاء أولاً فكانوا أكثر تباء الطعام، فلا يزالون في هذا الكلام ونحوه حتى يحجز الليل بين الناس، ثم يضرب الله آذانهم وعيونهم بالنوم فلا يجتمعوا بعد غداتهم إلى أن يقوم القائم (ع) يلتقي بعضهم بعضاً كأنهم سوائب وأم وإذا اقتربوا افترقوا عشاء والتقوا غدوة).

ويكون بذلك قد تم في مكة المكرمة لقاء الإمام (ع) بأصحابه وحواريه ووزرائه بعد أن التقى قبل ذلك بنقبائهم وأفضلهم (اثني عشر من الأصحاب).

بيانه الأول: (الخطبة)

إن القائم (ع) إذا حان موعد خروجه يوم عاشوراء صبيحة يوم السبت دخل المسجد الحرام، فيستقبل القبلة ويجعل ظهره إلى المقام ثم يصلي ركعتين. ثم يقف الإمام

المهدي (ع) في أول ظهوره المقدس قريباً من الكعبة المشرفة مستدبراً إياها بين الركن والمقام، ومولياً للجماهير ليقول لهم كلمته الأولى، ويبتدئ خطبته التاريخية:

بعد حمد الله والثناء عليه، والصلاة على محمد وآله الطاهرين.. فينادي: يا أيها الناس إنا نستنصر الله ومن أجابنا من الناس، فإنا أهل بيت نبيكم محمد صلى الله عليه وآله ونحن أولى الناس بالله وبمحمد صلى الله وآله فمن حاجني في آدم فأنا أولى الناس بآدم، ومن حاجني في نوح فأنا أولى الناس بنوح، ومن حاجني في إبراهيم فأنا أولى الناس بإبراهيم، ومن حاجني في محمد فأنا أولى الناس بمحمد صلى الله عليه وآله، ومن حاجني في النبيين فأنا أولى الناس بالنبيين، ومن حاجني في كتاب الله فأنا أولى الناس بكتاب الله، ألبس الله يقول في محكم كتابه (إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم)

فأنا بقية من آدم، وذخيرة من نوح، ومصطفى من إبراهيم، وصفوة من محمد صلى الله عليه وآله.. ألا ومن حاجني في سنة رسول الله فأنا أولى الناس بسنة رسول الله، فأنشد الله من سمع كلامي اليوم، ليبلغ الشاهد منكم الغائب، وأسألكم بحق الله ورسوله وبحقي فإن لي عليكم حق القربى من رسول الله، إلا أعنتموناو منعتمونا ممن يظلمنا، فقد أخفنا وظلمنا، وطردنا من ديارنا وأبنائنا، وبغى علينا ودفعنا عن حقنا، فاقتدى أهل الباطل علينا.. فالله الله فينا لا تخذلونا، وانصرونا يرحمكم الله).

ثم يرفع الإمام يديه إلى السماء، ويدعو دعاء مختصراً ويقول (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض).

البيعة والأنصار

ما إن يكمل الإمام روحي فداه كلامه حتى يحاول شرطة الحرم أن يعتقلوه أو يقتلوه كما فعلوا قبل خمسة عشر يوماً بقتل ذي النفس الزكية بنفس المكان، فيتقدم أصحاب الإمام (ع) ويدفعونهم عنه ويحيطون به وينزل جبرائيل (ع) من على ظهر الكعبة فيكون أول المبايعين، ثم يبايعه أصحابه الثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً وأنصاره المتواجدون حينها.

عن المفضل بن عمر عن الصادق (ع): (.. يا مفضل يسند القائم ظهره إلى الحرم ويمد يده فتجري يمناه من غير سوء ويقول هذه يد الله وعن الله وبأمر الله ثم يتلو هذه الآية: (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه).

فيكون أول من يقبل يده جبرائيل، ثم يبايعه وتبايعه الملائكة ونجباء الجن ثم النقباء، ويصيح الناس بمكة فيقولون من هذا الرجل الذي بجانب الكعبة، وما هذا الخلق الذي معه وما هذه الآية التي رأيناها الليلة ولم نر مثلها) ويكون هذا قبيل طلوع الشمس.

عن علي بن مهزيار قال: قال الإمام الباقر (عليه السلام): (كأني بالقائم يوم عاشوراء يوم السبت قائماً بين الركن والمقام بين يديه جبرائيل ينادي البيعة له فيلفو ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً كما ملئت ظلماً وجوراً).

عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر (ع): (.. كان جبرائيل لينزاب في صورة طير أبيض فيكون أول خلق الله مبايعة له أعني جبرائيل، ويبايعه الناس الثلاثمائة وثلاثة عشر فمن كان أبطأ بالمسير وافى في تلك الساعة، ومن افتقد من فراشه وهو قول أمير المؤمنين علي (ع) (المفقودون من فرشهم) وهو قول الله (ع) (فاستبقوا الخيرات أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعاً)

(قال: الخيرات الولاية لنا أهل البيت)

عن المفضل بن عمر عن الإمام الصادق (ع): (.. يبعث الله جبرئيل (ع) حتى يأتيه فينزل على الحطيم يقول: إلى أي شيء تدعو؟ فيخبره القائم، فيقول جبرائيل: أنا أول من يبايعك ابسط يدك فيمسح على يده، وقد وافاه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً فيبايعونه، ويقيم بمكة حتى تتم أصحابه عشر آلاف نفس ثم يسير منها إلى المدينة)

عن جابر الجعفي قال: قال أبو جعفر (ع): (يبايع القائم بين الركن والمقام ثلاثمائة وثلاثة عشر عدة أهل بدر فيهم النجباء من أهل مصر والأبدال من أهل الشام، والأخيار من أهل العراق)

عن أمير المؤمنين (ع): (أنه يأخذ البيعة عن أصحابه على أن لا يسرقوا ولا يزنوا، ولا يسوا مسلماً، ولا يقتلوا محرماً، ولا يهتكوا حريماً محرماً، ولا يهجموا منزلاً، ولا يضربوا أحداً إلا بالحق، ولا يكنزوا ذهباً ولا فضة ولا براً ولا شعيراً، ولا يأكلوا مال اليتيم، ولا يشهدوا بما لا يعلمون، ولا يخبروا مسغداً، ولا يشربوا مسكراً، ولا يلبسوا الخز ولا الحرير، ولا يستظلوا بالذهب، ولا يتطوحوا طريحاً، ولا يخيفوا سبيلاً، ولا ينفقوا بغلام، ولا يحبسوا طعاماً من بر أو شعير ويرضون بالقليل، ويشتمون على الطيب، ويكرهون النجلة، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويلبسون الخشن من الثياب، ويتوسدون التراب على الخدود، ويجاهدون في الله حق جهاده، ويشترط على نفسه لهم، أن يمشي حيث يمشون ويلبس كما يلبسون، ويركب كما يركبون، ويكون من حيث يريدون، ويرضى بالقليل، ويملأ الأرض بعون الله عدلاً كما ملئت جوراً بعيد الله حق عبادته، ولا يتخذ حاجباً ولا بواباً).

النداء باسم القائم (ع):

بعد أن تتم البيعة للإمام (ع)، يقوم جبرائيل (عليه السلام) فينادي باسمه:

عن أبان بن تغلب قال: قال أبو عبد الله (ع): (أول من يبايع القائم جبرائيل، ينزل في صورة طير أبيض فينادي ثم يضع رجلاً على رجلاً على بيت الله الحرام ورجلاً على بيت المقدس ثم ينادي بصوت ذلق تسمعه الخلايق، أتى أمر الله فلا تستعجلوه).

في قوله تعالى (واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب! يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج)

عن الصادق (ع) قال: (ينادي مناد باسم القائم واسم أبيه عليهما السلام، والصيحة في هذه الآية صيحة من السماء، وذلك يوم خروج القائم (ع)).

عن شهر بن حوشب قال: بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (يكون في رمضان صوت، وفي شوال همهمة، وفي ذي القعدة تتحارب القبائل، وفي ذي الحجة ينتهب الحاج، وفي المحرم ينادي مناد من السماء: ألا إن صفوة الله من خلقه فلان فاسمعوا له وأطيعوا)

عن المفضل بن عمر عن الإمام الصادق (ع): (.. في ذلك اليوم (عاشوراء) فإذا طلعت الشمس وأضاءت، صاح صائح بالخلائق من عين الشمس بلسان عربي مبين، يسمع من في السماوات والأرضين: يا معشر الخلائق هذا مهدي آل محمد، ويسميه باسم جده رسول الله صلى الله عليه وآله ويكنيه وينبه، ولا تبقى أذن من الخلائق الحية إلا سمع ذلك النداء، وتقبل الخلائق من البدو والحضر والبر والبحر، يحدث بعضهم بعضاً، ويتفهم بعضهم بعضاً ما سمعوا آباءهم)

عن الإمام الرضا (ع): (.. وهو الذي ينادي مناد من السماء يسمعه جميع أهل الأرض بالدعاء إليه ألا إن حجة الله قد ظهر عند بيت الله فاتبعوه فإن الحق معه وفيه)

على القارىء الكريم أن يستفيد من مجموع الأحاديث السابقة في هذا الفصل، إن هناك عدة نداءات:

أ. النداء الاول: يكون في شهر رجب (على شكل ثلاثة نداءات).

ب. النداء الثاني: يكون في شهر رمضان (ليلة القدر ٢٣ ـ الصيحة).

ج. النداء الثالث: يكون في شهر محرم (عاشوراء ـ يوم الخروج).

بعد هذا النداء والبيعة، يتم للإمام المهدي (ع) السيطرة على مكة المكرمة ويبقى فيها حتى يتشكل نواة جيشه (عشرة آلاف رجل) وفي هذه الأثناء يوجه الإمام (ع) بعض الخطب إلى الجماهير المتواجدة في مكة وتبث للعالم، ويضع الخطوط العامة بحيثه ويقوم بإنجاز عدة أمور في مكة المكرمة نشير إليها باختصار:

أ. إعادة المسجد الحرام إلى ما كان عليه أيام النبي إبراهيم (ع).

ب. إعادة مقام إبراهيم إلى موضعه الأول، كما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله بجوار الكعبة.

ج. النهي عن الطواف المستحب، ودونك بأن يسلم صاحب النافلة لصاحب الفريضة.

د. قطع أيدي بني شيبة.. إقامة حدود الله باعتبارهم سراق بيت الله الحرام.

متى ما اكتمل قوام جيش الإمام (ع) عشرة الآف رجل يبدأ المسير إلى المدينة المنورة، ومن ثم إلى إيران (منطقة اصفهان) ومن ثم نحو العراق (وتكون الكوفة عاصمة حكمه) ومن ثم يتوجه نحو بيت المقدس.

ثانياً: خسف البيداء: (من المحتوم)

بعد أن يسيطر السفياني خبر ظهور الإمام المهدي (ع) يبعث بجيش إلى الأماكن المقدسة في الحجاز، فيصل جيش السفياني إلى المدينة المنورة في (١٢محرم)، أي بعد خروج الإمام (ع) بيومين، وأمير جيش الغدور رجل من بني كلب يقال له (خزيمة) أطمس العين الشمال وعلى عينه ظفرة غليظة، وينزل المدينة في دار أبي الحسن الأموي.. ويبقى الجيش الأموي في مدينة الرسول (ع) مدة ثلاثة أيام، ينهبونها ويرتكبون فيها المجازر ويقتلون بأهلها ويسبون بناتها ونساءها، وقد يكسرون منبر الرسول صلى الله عليه وآله ويهدمون القبر الشريف وتروث خيلهم في مسجد المصطفى صلى الله عليه وآله.. ثم يخرج جيش السفياني من المدينة قاصداً غزو مكة المكرمة والقضاء على حركة المهدي (ع) في بدايات ظهوره، ولأهمية هذا الجيش يسمى بجيش المحلات

فإذا توسط الجيش البيداء الواقعة بين مكة والمدينة بعد انتهاء الجبال على بعد اثني عشر ميلاً من منطقة (ذات الجيش)، وهي أرض بيضاء مستوية قرب بدر الكبرى، يصل الجيش المنطقة وقت الليل فيبيت الجيش فيها (ليلة غرة ـ ١٥محرم) فيأمر الله تعالى جبرائيل (ع) فيصرخ فيهم صرخة الغضب وينادي: يا بيداء أبيدي القوم الظالمين، فتخسف الأرض بهم وبقوائمهم المسلحة، لا يفلت منهم إلا (بشير ونذير) رجلان من جهينة، يضرب الملك على وجهيهما فتحول إلى القفاء، فيذهب أحدهما بشيراً للقائم (ع) بأمر الملك، حيث يأمره أن

يذهب للحجة (ع) ويتوب على يده وهو بشرة بهلاك جيش السفياني بالخسف، والآخر بعثه نذيراً للسفياني بالشام ليندره، ويخبره بهلاك جيشه فيصل اليه ويخبره بذلك ويموت النذير.

وتصبح مكة بعد هذا الخسف منطقة الأمان، لا يجرأ أحد ان يذهب اليها من الملوك والحكام، فكل قائد أو ظالم يطلب منه ويكلف بالذهاب الى مكة وغزوها، يستقيل ويتراجع ولا يقبل خوفاً من وقوع الخسف به، فيبقى حرم الله محفوظاً لا يقربه ظالم أو غاشم، فيستقر الأمر للإمام ـ روحي فداه ـ فيترتب جيشه فيهاد، يجتمع اليه المؤمنون.

وبعد ان تكمل العدة من الجند (عشرة آلاف) يسير من مكة متوجهاً الى المدينة المنورة فيحرر جيش الإمام (ع) على موضع الخسف، فيخبرهم الإمام (ع) بمكان الخسف. . وبعد هلاك قوات السفياني في الحجاز (الخسف بالبيداء) والهزيمة التي مني بها على يد الخراساني واليماني في العراق، تنتقل المعركة الى ساحة، ويقوم بتجميع قواته في الشام استعداداً لأكبر معارك المنطقة في أحداث الظهور، معركة تحرير القدس التي يمتد محورها من دمشق الى طبرية فالقدس.

جاءت الأحاديث بدلالات صريحة توضح بمن يكون الخسف وزمانه ومكانه وكيفيته والناجي منه:

عن عمر بن حنظلة عن أبي عبدالله (ع) انه قال: (للقائم خمس علامات السفياني واليماني والصيحة من السماء وقتل النفس الزكية والخسف بالبيداء)

عن أبي عبدالله (ع): (. . وخسف البيداء من المحتوم)

عن الاصبغ بن نباتة قال: سمعت أمير المؤمنين (ع) يقول: (. . وخروج السفياني براية حمراء، أمير هارجل من بني كلب، واثنى عشر ألف عنان من خيل السفياني تتوجه الى مكة والمدينة، أمير هارجل من بني أمية يقال له خزيمة، أخطس العين الشمال، على عينه نفرة غليظة يستشل بالرجال، لا ترد له راية حتى ينزل بالمدينة في دار يقال لها: دار أبي الحسن الأموي، ويبعث خيلاً في طلب رجل من آل محمد قد اجتمع اليه ناس من الشيعة، ثم يعود الى مكة في جيش أميره من غطفان، اذا توسط القاع الأبيض خسف به فلا يجد إلا رجلان يحول الله وجههما الى قفاهما فيكونا آية لمن خلفهما)

ويومئذ تأويل هذه الآية (ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب! وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد! وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد! وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم كانوا في شك مريب)

وقوله تعالى (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولاً)

عن الإمام الصادق (ع): (. . ويبعث السفياني عسكراً الى المدينة، فيخربونها، ويهدمون القبر الشريف، وتروث بغالهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله)

عن حذيفة بن اليمان عن النبي صلى الله عليه وآله: (. . فيرسل الجيش الثاني بالمدينة فينهبونها ثلاثة أيام بليلها ثم يخرجون متوجهين الى مكة حتى اذا كانوا بالبيداء، بعث الله جبرائيل فيقول يا جبرائيل اذهب فاقمعهم فيضربهم بجلد ضربة يخسف الله بهم عندها، ولا يفلت منها إلا رجلان من جهينة. فلذلك جاء القول (وعند جهينة الخبر اليقين) ولذلك قوله تعالى (ولو ترى إذ فزعوا))

عن جابر بن يزيد الجعفي عن الإمام الباقر (ع): (. . ويبعث السفياني بعثاً الى المدينة فينفي المهدي منها الى مكة، فيبلغ أمير الجيش السفياني أن المهدي قد خرج الى مكة، فيبعث جيشاً على أثره، فلا يدركه حتى يدخل مكة خائفاً يترقب على سنة موسى بن عمران، قال: وينزل أمير جيش السفياني البيداء، فينادي مناد من السماء: يا بيداء أبيدي القوم، فيخسف

بهم)

عن الإمام الباقر(ع): (.. السفياني من ذرية أبي سفيان بن حرب، فيرسل إليهم بعثاً فيظفرون بالبيداء في ليلة مقمرة فيقول راع ناظر إليهم: يا ويح أهل مكة ما جاء، فيذهب ثم يرجع فلا يراهم فيقول سبحان الله ارتحلوا في ساعة واحدة فيأتي منزلهم فيجد قطيعة قد خسف بعضها وبعضها على ظهر الأرض فيعاينها فلا يطيقها فيعلم أنهم قد خسف بهم)

عن أمير المؤمنين (ع): (.. وأما جيش المدينة فإنه إذا توسط البيداء صاح به جبرائيل صيحة عظيمة، فلا يبقى منهم أحد وخسف الله به الأرض، ويكون آخر الجيش رجلان أحدهما بشيراً والآخر نذيراً، فيصيح بهما جبرئيل فيقول الله وجهاهما إلى القطا، ويرجع نذيراً إلى السفياني ويخبره بما أصاب الجيش)

عن المفضل بن عمر عن الإمام الصادق (ع): (.. ثم يقبل على القائم رجل وجهه إلى قفاه، وقفاه إلى صدره، ويقف بين يديه فيقول: يا سيدي أنا بشير أمرني ملك من الملائكة أن أبشرك بهلاك جيش السفياني بالبيداء، فيقول له القائم: بين قفسك وقصة أخيك؟ فيقول الرجل: كنت وأخي في جيش السفياني، وخرجنا الدنيا من دمشق إلى الزوراء وتركنا الحاء، وخرجنا الكوفة وخرجنا المدينة، وكسرنا المنبر وراثت بغالنا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وخرجنا منها.. نريد إخراب البيت وقتل أهله، فلما صرنا في البيداء عرسنا فيها (نزلنا) فصاح بنا صائح: يا بيداء أبيدي القوم الظالمين، فانفغرت الأرض وابتلعت كل الجيش، فوالله ما بقي على وجه الأرض عقال ناقة فما سواه غيري وغير أخي، فإذا نحن بملك قد ضرب وجوهنا فصارت إلى ورائنا كما ترى، فقال لأخي: ويلك يا نذير إمض إلى الملعون السفياني بدمشق فأنذره بظهور المهدي من آل محمد صلى الله عليه وآله وعرفه أن الله قد أهلك جيشه بالبيداء.. وقال لي: يا بشير الحق بالمهدي بمكة وبشره بهلاك الظالمين، وتب على يده فإنه يقبل توبتك، فيمر القائم يده على وجهه فيعود سوياً كما كان ويبايعه ويكون معه).

عن الإمام الباقر(ع): يخرج (القائم) عائذاً إلى المدينة حتى يمر بالبيداء، فيقول هذا مكان القوم الذين خسف بهم، وهي الآية التي قال الله تعالى: (أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون! أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين)

المصادر والمراجع

- غيبة النعماني ص١٧٩، بحار الأنوار ج٥٢ ص٢٤٠، بشارة الإسلام ص١٢٢
- بحار الأنوار ج٥٢ ص٢١٠، بشارة الإسلام ص١٢٣
- غيبة النعماني ص١٧١، بحار الأنوار ج٥٢ ص٢٣٢
- غيبة الشيخ الطوسي ص٢٦٧، بحار الأنوار ج٥٢ ص٢٠٩، بشارة الإسلام ص١٤
- الإرشاد للمفيد ج٢ ص٣٧٩، كمال الدين ص٦٤٩، غيبة الطوسي ص٢٦٧، إعلام الورى ص٤٢٦
- إعلام الورى ص٤٣٠، بحار الأنوار ج٢ ص٢٩١، منتخب الأثر ص٦٤ ١٤ الإرشاد للمفيد ج٢ ص٣٧٩، إعلام الورى ص٤٣٠
- إعلام الورى ص٤٢٨، بشارة الإسلام ص١٢٥، الإرشاد للمفيد ج٢ ص٣٧٧، غيبة الطوسي ص٢٧٢

- إعلام الورى ص۴۲۹، غيبة الطوسي ص۲۶۹
- إعلام الورى ص۴۲۸، بشارة الإسلام ص۱۲۵، الإرشاد للمفيد ج۲ ص۳۷۷، غيبة الطوسي ص۲۷۲
- المهدون للمهدي ص۴۹، كمال الدين ص۶۵۵، بحار الأنوار ج۵۲ ص۱۸۲
- غيبة النعماني ص۱۸۵، الإرشاد للمفيد ج۲ ص۳۷۲، غيبة الطوسي ص۲۶۷
- سورة البقرة (۱۵۵)
- بيان الأئمة ج۱ ص۳۳۵
- بحار الأنوار ج۵۲ ص۳۳۷، إلزام الناصب ج۲ ص۱۵۹، تاريخ ما بعد الظهور ص۱۳۷
- سورة مريم (۳۷)
- بشارة الإسلام ص۲۱، يوم الخلاص ص۲۹۳
- سورة النساء (۴۷)
- سورة سبأ (۵۱)
- الصفياني ـ محمد فقيه ص۱۰۶
- سورة الش الإرشاد للمفيد ج۲ ص۳۷۴، غيبة النعماني ص۱۸۱، إعلام الورى ص۴۲۹، غيبة الطوسي ص۲۷۰، بشارة الإسلام ص۹۶، يوم الخلاص ص۵۱۶، تاريخ ما بعد الظهور ص۱۱۸عراء (۴)
- سورة يونس (۳۵)
- سورة الشعراء (۴)
- سورة ق (۴۱-۴۲)
- منتخب الأثر ص۴۵۱، يوم الخلاص ص۵۵۷، بيان الأئمة ج۲ ص۳۵۴
- بحار الأنوار ج۵۲ ص۲۷۲، بشارة الإسلام ص۱۴۲، يوم الخلاص ص۷۰۵
- منتخب الأثر ص۴۵۱، يوم الخلاص ص۵۵۷، بيان الأئمة ج۲ ص۳۵۴

تنبؤات النبي محمد(ص) حول مصير العالم الإسلامي أشراط الساعة الصغرى

الدكتور خالد رمزي كريم[1]

إن من دلائل النبوة ما أخبر صلى الله عليه وسلم أنه يكون بين يدي الساعة، وهو ما يسميه العلماء بأشراط الساعة الصغرى، وهذا الحاضر الذي نراه اليوم ـ كان غيباً أطلع الله عليه نبيه، ليكون شاهداً على نبوته ورسالته.

ومن الأخبار المتعلقة باقتراب الساعة ما حدثنا عنه صلى الله عليه وسلم بقوله: "من أشراط الساعة أن يقل العلم، ويظهر الجهل، ويظهر الزنا، وتكثر النساء، ويقل الرجال، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد". (١)

وزاد في رواية في الصحيحين: "ويشرب الخمر، ويظهر الزنا". (٢)

وفي رواية أخرى: "وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج، وهو القتل". (٣)

وفي رواية: "يتقارب الزمان، وينقص العمل، ويلقى الشح". (٤)

فهذه ثمان علامات تكون بين يدي الساعة:

أولها: ظهور الجهل وقلة العلم الشرعي بين الناس، وذلك لقبض العلماء وظهور الرؤوس الجهال الذين يفتون بغير علم، فيضلون ويضلون، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا

---

١. مدير الأبحاث والدراسات الإستراتيجية للمملكة الأردنية الهاشمية ـ عمان.

واضلوا)). [٥]

قال ابن بطال: "وجميع ما تضمنه هذا الحديث من الأشراط، وقد رأينا عيانًا، فقد نقص العلم وظهر الجهل". (٦)

وتعقبه ابن حجر فقال: "الذي يظهر أن الذي شاهده كان منذ الكثير مع وجود مقابله [أي العلم]، والمراد من الحديث استحكام ذلك، حتى لا يبقى ما يقابله إلا النادر. فلا يبقى إلا الجهل الصرف، ولا يمنع من ذلك وجود طائفة من أهل العلم؛ لأنهم يكونون حينئذ مغمورين في أولئك". (٧)

ولئن كان ذلك في زمن ابن بطال ثم ابن حجر فإنه في زماننا أظهر وأبين، ولا يخفى هذا على عاقل يرى ما رزئنا به اليوم من موت العلماء، وتصدر الأدعياء.

وأما العلامة الثانية فهي شيوع شرب الخمر بين المسلمين، وقد أنبأ صلى الله عليه وسلم أن الذين سيشربونها؛ يسمونها بغير اسمها، وأنهم يستحلونها، ولا يرون أنها الخمر التي حرمها الله، قال صلى الله عليه وسلم: "ليشربن ناس من أمتي الخمر، يسمونها بغير اسمها"، وزاد في رواية الدارمي: "فيستحلونها". (٨)

وبيانه فيما أخرجه البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحِرَ والحرير والخمر والمعازف". (٩)

قال القرطبي: "في هذا الحديث علم من أعلام النبوة، إذ أخبر عن أمور ستقع؛ فوقعت، خصوصًا في هذه الأزمان". (١٠)

وأما ثالث أشراط الساعة؛ فهو انتشار الزنا وشيوعه بين الناس، وهو أمر يكثر - عياذًا بالله - عند غير المسلمين، وهذه الشناعة استقبحتها الأمم طوال تاريخ الإنسانية، وأصبحت الآن تعرض في وسائل التقنية الحديثة، وعمدت بعض الدول إلى تقنينها، وأجازتها قوانينها وتشريعاتها، بل جعلها بعضهم ضربًا من ضروب التجارة والكسب. (١١)

ورابع الأشراط: كثرة الفتن وما يستتبعها من كثرة الهرج الذي هو القتل، وقد أنبأ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "والذي نفسي بيده ليأتين على الناس زمان لا يدري القاتل في أي شيء قتل، ولا يدري المقتول على أي شيء قتل". (١٢)

ونجد مصداق هذه النبوءة النبوية في كثرة الحروب والفتن التي يقتل فيها الأبرياء، فلا يدري القاتل من يقتل، ولا لماذا يقتل، ومثله المقتول، ومثاله ما يقع حاليًا في سوريا والعراق وليبيا. يقتل المرء هناك ولا يدري فيما قتل.... حسبنا الله ونعم الوكيل.

وهذا يذكرنا العلامة الخامسة من علامات النبوة، الواردة في قول النبي صلى الله عليه وسلم: "وتكثر النساء ويقل الرجال، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد"، فإن الرجال هم وقود الحروب دون غيرهم.

قال ابن حجر: "قيل سببه أن الفتن تكثر فيكثر القتل في الرجال؛ لأنهم أهل الحرب دون النساء... والظاهر أنها علامة محضة لا لسبب آخر، بل يقدر الله في آخر الزمان أن يقتل من يولد من الذكور، ويكثر من يولد من الإناث". (١٣)

وإلى مصداق هذه النبوءة وقرب تحققها تشير الإحصاءات العالمية، حيث وصلت نسبة الذكور حسب إحصاءات الأمم المتحدة عام ٢٠٠٢م إلى ٤٨%، وتتوقع دائرة الإحصاءات الأمريكية أن تصل نسبة الذكور عام ٢١٠٠م إلى ٣٨% من سكان الولايات المتحدة الأمريكية، وهو ما ذكره أن ما أخبر به صلى الله عليه وسلم في طريقه إلى التحقق.

وأما العلامة السادسة ما يكون بين يدي الساعة من تقارب الزمان، فقد قال صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة حتى يُقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان..".

وقال: "يتقارب الزمان، وينقص العمل، ويلقى الشح". (١٥)

قال التوربشتي: "يحمل ذلك على قلة بركة الزمان، وذهاب فائدته في كل مكان، أو على أن الناس لكثرة اهتمامهم بما دهمهم من النوازل والشدائد وشغل قلبهم بالفتن العظام؛ لا يدرون كيف تنقضي أيامهم ولياليهم". (١٦)

وقال الخطابي: "معناه قصر زمان الأعمار وقلة البركة فيها.. وقيل: قصر مدة هذه الأيام والليالي؛ على ما روي أن الزمان يتقارب حتى يكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، والجمعة كاليوم، واليوم كالساعة، والساعة كاحتراق السعفة". (١٧)

وهكذا فقد حمل العلماء الحديث على ثلاثة معان: قصر الأعمار أو ذهاب بركتها أو تقارب الزمان حقيقة.

فأما المعنيان الأولان فهما شاهدان بكثرة بين الناس اليوم، وبخاصة ذهاب بركة العمر، حيث تنقضي السنة، والواحد منا يظنها شهراً، وينقضي الشهر، ولا نحسبه إلا أسبوعاً

وأما المعنى الثالث الذي يقتضي بتناقص الزمان حقيقة، فلعله يكون قبيل الساعة حين يختل الكثير مما نعهده من نواميس الكون التي جعلها الله، فتشرق الشمس من مغربها، وتتكلم السباع، إلى غير ه مما هو خارج عن مألوفنا في سنن الله الكونية.

وسابع أشراط الساعة التي تنبأ النبي صلى الله عليه وسلم أنها تكون؛ كثرة الزلازل وتقارب أوقاتها، وهو أمر يعجب المرء لكثرة في هذه الأيام، وهو في ازدياد مستمر، حتى لا يكاد يمضي الشهر إلا وتهتز الأرض هنا أو هناك.

وأما ثامن علامات الساعة ودلائل النبوة فهو إخباره عن كثرة الشح بين الناس، لقوله صلى الله عليه وسلم: "ويلقى الشح".

قال ابن حجر: "فالمراد إلقاؤه في قلوب الناس على اختلاف أحوالهم، حتى يحمل العالم بعلمه، فيمسك التعليم والفتوى، ويحمل الصانع بصناعة حتى يترك تعليم غيره، ويحمل الغني بماله حتى يهلك الفقير، وليس المراد وجود أصل الشح؛ لأنه لم يزل موجوداً". (١٨)

وروى الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تقوم الساعة حتى يكثر المال، ويفيض حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحداً يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً". (١٩)

ولما سبق الحديث عن كثرة المال فإنا نتحدث هنا عن عود أرض العرب مروجاً وأنهاراً، فالبشارة النبوية تضمنت خبرين: أولهما: أن أرض العرب ـ أي جزيرة العرب ـ كانت مروجاً وأنهاراً، أي كانت خضراء كثيرة المياه، والثاني: أنها ستعود كذلك قبل قيام الساعة. ومن المعلوم أن جزيرة العرب تتعدم الأنهار فيها اليوم، وتقل المساحات الخضراء في ربوعها.

وحين تحدث القرآن عن قوم نبي الله هود، قوم عاد الذين عاشوا في جنوب جزيرة العرب وقريباً من صحراء الربع الخالي، قال ممتناً عليهم: "واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون، أمدكم بأنعام وبنين، وجنات وعيون" (الشعراء: ١٣٢-١٣٤)، فذكر أن بلادهم المقفرة اليوم كانت مروجاً وبساتين كثيرة المياه. (٢٠)

وليست بلاد عاد الوحيدة من المدائن القديمة التي دفنتها ذرات رمال الصحراء، التي أغرقت بكثبانها الكثير من المدن التي كانت عامرة في غابر الأيام، كمدينة الفاو ومدينة أوبار الكائنتين حديثاً في جنوب جزيرة العرب، ومثل هذه المدن لاتشاد في صحراء جرداء، بل في واحة خضراء كثيرة المياه. (٢١)

وهذا الخبر نجد مصداقه أيضاً عند علماء الجولوجيا والآثار، حيث يؤكدون أن جزيرة العرب كانت قبل عشرين ألف سنة رقعة خضراء كثيرة المياه والأنهار، وفيها الكثير من أنواع الحيوانات التي تتواجد عادة في المراعي والغابات، كما تشهد بذلك ما بقي من آثارهم.

ومن أشراط الساعة الأخرى التي تنبأ النبي صلى الله عليه وسلم أنها تكون بين يدي الساعة ونراها تكثر في حياة الناس اليوم قوله صلى الله عليه وسلم: "يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه، أمن الحلال أم من الحرام". (٢٢)

وقال ابن التين: "أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بهذا تحذيراً من فتنة المال، وهو من بعض دلائل نبوته لإخباره بالأمور التي لم تكن في زمنه، ووجه الذم من جهة التسوية بين الأمرين، وإلا فأخذ المال من الحلال ليس مذموماً من حيث هو". (٢٣)

وابتلي المسلمون اليوم بانتشار الربا ودخول معاملاته في شتى صور الحياة الاقتصادية ليصدق فينا قول النبي صلى الله عليه وسلم: "يأتي على الناس زمان يأكلون الربا، فمن لم يأكله أصابه من غباره". (٢٤)

قال السندي متحدثاً عن هذه البلية: "هو زماننا هذا، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وفيه معجزة بينة له صلى الله تعالى عليه وسلم". (٢٥)

وروى الإمام أحمد أمراً آخر تنبأ النبي صلى الله عليه وسلم بأنه يكون في آخر الزمان، ونراه يتكثر في أيامنا، ألا وهو أن يخفي المرء بسلامه معارفه دون بقية المسلمين، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إن من أشراط الساعة أن يسلم الرجل على الرجل، لا يسلم عليه إلا للمعرفة)). (٢٦)

وفي رواية أخرى أنه صلى الله عليه وسلم قال: "إن بين يدي الساعة تسليم الخاصة، وفشو التجارة، حتى تعين المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام، وشهادة الزور، وكتمان شهادة الحق، وظهور القلم". (٢٧)

وهكذا فإخبار النبي صلى الله عليه وسلم عما يفعله اليوم كثير من الناس، وهو تسليم المرء على خاصة من أقرباء وأصدقاء ودون بقية المسلمين الذين لا يعرفهم.

وقد تضمن الحديث السالف أموراً أخرى كثرت في دنيا الناس، وبخاصة قطع الأرحام وشهادة الزور وكتمان الحق.

ومن براهين النبوة المتعلقة بأشراط الساعة قوله صلى الله عليه وسلم: "من أشراط الساعة أن يتباهى الناس في المساجد". (٢٨)

ولما تيقن ابن عباس تحقق هذا الخبر النبوي قال: "لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى". (٢٩)

قال ابن رسلان: "هذا الحديث فيه معجزة ظاهرة لإخباره صلى الله عليه وسلم عما سيقع بعده، فإن تزويق المساجد والمباهاة بزخرفتها كثير من الملوك والأمراء في هذا الزمان بالقاهرة والشام وبيت المقدس". (٣٠)

ومن هذه الأخبار العجيبة الباهرة إخباره صلى الله عليه وسلم بتطاول الناس في البنيان، قال هذا في وقت ما عرف الناس فيه شاهق البنيان، ففي صحيح مسلم أن جبريل سأل

النبي صلى الله عليه وسلم عن أمارات الساعة فقال صلى الله عليه وسلم: "أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان". (٣١)

قال النووي: "معناه أن أهل البادية وأشباههم من أهل الحاجة والخلقة تنبسط لهم الدنيا حتى يتباهون في البنيان". (٣٢)

وقد تحقق هذا في زماننا، فقد عم العلم، وكثر المال، وارتفع بفضل الله ـ البنيان، ووصل الأمر بالناس إلى التفاخر فيه، وأغدق الله من فضله وجوده على بلاد كانت تشكو الفقر، فاضحت ـ بفضل الله ـ أغنى بلاد الدنيا، فتطاول أهلها مع غيرهم في البنيان، وهو مصداق ما أنبأ عنه صلى الله عليه وسلم. (٣٣)

ومما أخبر صلى الله عليه وسلم أنه يكون قبيل الساعة، وتحقق في زماننا؛ استغناء الناس عن ركوب الدواب، التي استبدلوها بأنجع التقنية الحديثة من السيارات والطائرات وغيرها من وسائل الانتقال، وهو أمر حديث أشار إليه القرآن بقوله "والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون" النحل: ٨.

وذكر النبي صلى الله عليه وسلم في حديث آخر بعض صفات المركوبات التي ستحدثها الناس وبعض ما سيرافقها من المنكرات فقال: "سيكون في آخر أمتي رجال يركبون على السروج كأشباه الرجال، ينزلون على أبواب المسجد، نساؤهم كاسيات عاريات على رءوسهم كأسنمة البخت العجاف". (٣٤)

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن بعض الشرور التي تصيب أمته بين يدي الساعة، ونرى كثيراً منها بين المسلمين اليوم، ومنها أنا نرى في بعض بلاد المسلمين من يقرأ القرآن في المآتم وعلى القبور أو على أبواب المساجد يرجو من وراء ذلك المال أو الشهرة، لا الأجر والثواب، بل إن بعضهم يقرأ بحسب ما يعطى من المال، وهذا مصداق لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عنه حين قال: "من قرأ القرآن فليسأل الله به، فإنه سيجيء أقوام يقرؤون القرآن يسألون به الناس". (٣٥)

وفي رواية للبيهقي: "فإن القرآن يتعلمه ثلاثة: رجل يباهي به، ورجل يستأكل به، ورجل يقرأه لله عز وجل". (٣٦)

والناظر في أحوال الكثيرين من شباب وفتيات المسلمين يسوءه ما يراه من تقليد للآخرين في زيهم وشاراتهم وعاداتهم وتقاليدهم، بل وقصات شعورهم، فقد صدق فيهم قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم. قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟". (٣٧)

قال النووي: "السنن بفتح السين والنون، وهو الطريق، والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب التمثيل بشدة الموافقة لهم، والمراد الموافقة في المعاصي والمخالفات، لا في الكفر، وفي هذا معجزة ظاهرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد وقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم". (٣٨)

وأما ملتشحين المسلمات من تبرج وتكشف في جلالبيبهن وملابسهن التي أضحت صورة من صور الفوضى لا الستر، فهذا تحقيق لما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا)). (٣٩)

ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم: ((رؤوسهن كأسنمة البخت)) كما نقل النووي: "يعظمن رؤوسهن بالخمر والعمائم وغيرها مما يلف على الرأس، حتى تشبه أسنمة الإبل". (٤٠)

قال النووي: "هذا الحديث من معجزات النبوة، فقد وقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم، فإما أصحاب السياط فهم ظلمان ولاة الشرطة، وأما الكاسيات فهن كما جاء أن المرأة تكتسي شيئاً من بدنها إظهاراً لجمالها، فهن كاسيات عاريات، يلبسن شيئاً رقاقاً تصف ما تحتها، كما يأتي في الصورة، لكنهن عاريات في المعنى". (٤١)

ومما يكون بين يدي الساعة أيضاً ضياع الأمانة بين الناس، وبهذا تبأبه النبي صلى الله عليه وسلم حين جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟

يقول أبو هريرة رضي الله عنه: فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى صلى الله عليه وسلم حديثه قال: "أين أراه السائل عن الساعة؟ قال: ها أنا يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وسلم: "فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة"، قال: كيف إضاعتها؟ قال: "إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة". (٤٢)

قال ابن بطال في معناه: "أن الأمة قد ائتمنهم الله على عباده، وفرض عليهم النصيحة لهم، فينبغي لهم تولية أهل الدين، فإذا قلدوا غير أهل الدين فقد ضيعوا الأمانة التي قلدهم الله تعالى إياها". (٤٣)

فمن ضياع الأمانة متى آخر الزمان أن تسند المسؤوليات للأولى أربابها من أصحاب الكفاءات، بل إلى ما يملكه المرء من معارف وأموال يسترضى بها الآخرين، وما تزال الأمانة تنقل بين الناس حتى يأتي عليهم زمان تنقلب فيه الموازين، وترفع فيه الأمانة" فيصبح الناس يتبايعون، فلا يكاد أحدهم يؤدي الأمانة فيقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً، ويقال للرجل: ما أعقله! وما أظرفه! وما أجلده! وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان". (٤٤)

وتعاني أمة الإسلام حالة غريبة من التشرذم والضعف، وأصبحت بلاداً كلأً مستباحاً للقاصي والداني، ولم يشبع لها أنها جاوزت المليار والربع من المسلمين، فهم غثاء كغثاء السيل، فصدق فيهم حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها" فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: "بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، وليتنزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن"، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: "حب الدنيا وكراهية الموت". (٤٥)... إنه نبوءة من لا ينطق عن الهوى، وهو علم آخر من أعلام نبوة صلى الله عليه وسلم ورسالته.

وهكذا فإن وقوع ما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بعد مضي هذه القرون من تنبئه بهذه الأحداث وتلك المظاهر لبرهان صدق ودليل حق على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم.

المراجع حسب الترقيم التسلسلي

(١) رواه البخاري (٧٩)، ومسلم (٤٨٢٥).

(٢) رواه البخاري (٨٠)، ومسلم (٢٦٧١).

(٣) رواه البخاري (١٠٣٦).

(٤) رواه البخاري (٦٠٣٧)، ومسلم (١٥٧).

(٥) رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

(٦) فتح الباري (١٨/١٣).

(٧) فتح الباري (١٣/١٨).

(٨) رواه النسائي (٥٦٥٨)، وأبوداود (٣٦٨٨)، وأحمد (١٧٦٠٧)، والدارمي (٢١٠٠).

(٩) ذكره البخاري معلقاً بصيغة الجزم في باب: "ماجاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه."

(١٠) رواه البخاري (٥٥٨١)، ومسلم (٣٠٣٢).

(١١) نقله عنه ابن حجر في الفتح (١٠/١٧٩).

(١٢) رواه مسلم ٢٩٠٨.

(١٣) فتح الباري (١/٢١٥).

(١٤) رواه البخاري (١٠٣٦).

(١٥) رواه البخاري (٦٠٣٧)، ومسلم (١٥٧).

(١٦) تحفة الأحوذي (٦/٥١٤).

(١٧) عون المعبود (١١/٢٢٣).

(١٨) فتح الباري (١٣/٢٠).

(١٩) أخرجه مسلم ح (١٥٧).

(٢٠) مجلة الإعجاز العلمي، العدد السادس (ص ٣٣).

(٢١) إنه الحق، هيئة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي (ص ٣٤).

(٢٢) رواه البخاري ح (٢٠٥٩).

(٢٣) فتح الباري (٤/٣٤٧).

(٢٤) رواه النسائي (٤٣٧٩)، وأبوداود (٢٨٩٣)، وابن ماجه ٢٢٧٨.

(٢٥) حاشية السندي على النسائي ٧/٢٤٣.

(٢٦) رواه أحمد (٣٨٣٨).

(٢٧) رواه أحمد (٣٨٦٠)، والبخاري في الأدب المفرد (١٠٤٩)

(٢٨) رواه النسائي (٦٨٩)، وأبوداود (٤٤٩)، وابن ماجه (٧٣٩)

(٢٩) انحران ذكرهما البخاري معلقين في باب "بنيان المساجد."

(٣٠) عون المعبود ٢/٨٤

(٣١) رواه مسلم ٨.

(٣٢) شرح صحيح مسلم ١/١٥٩.

(٣٣) رواه مسلم ٢٥٥.

(٣٤) رواه أحمد ٧٠٤٣.

(٣٥) رواه الترمذي (٢٩١٧)، وأحمد (١٩٣٨٤).

(٣٦) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢٦٣٠).

(٣٧) رواه البخاري (٧٣٢٠)، ومسلم (٢٦٦٩

(٣٨) شرح صحيح مسلم (١٦/٢١٩-٢٢٠).

(٣٩) رواه مسلم (٢١٢٨).

(٤٠) شرح صحيح مسلم (١٧/١٩٠-١٩١).

(٤١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/١٩٠)، وانظر فيض القدير للمناوي ٤/٢٠٨.

(٤٢) رواه البخاري ٦٤٩٦).

(٤٣) فتح الباري ١١/٣٤٢).

(٤٤) رواه البخاري (٧٠٨٦).

(٤٥) رواه أبو داود (٣٧٤٥)، وأحمد (٢١٣٦٣)